بحوث ندوة

الهند في الرحلات العربيّة الحديثة

1445هـ/ 2024م

إشراف

البروفيسور سيد عليم أشرف الجائسي

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها

اعتنى بترتيبها وتنقيحها وتهذيبها

الدكتور محمد شاكر رضا

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها

نشرها

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، حيدرآباد، الهند

© حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

India in Modern Arabic Travelogues

ISBN: 978-93-341-5184-8

Edited by :

Dr. Mohammed Shakir Raza

Email: shakir.efl@gmail.com

Mobile: 09704967694

الرقم الدولي	:	978-93-341-5184-8
اسم الكتاب	:	الهند في الرحلات العربية الحديثة
إشراف	:	البروفيسور سيد عليم أشرف الجائسي
تأليف	:	دكتور محمد شاكر رضا
الطباعة الأولى	:	ربيع الآخر 1446هـ / أكتوبر 2024م
السعر	:	750 روبية هندية
الناشر	:	قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية (جامعة حكومية) بحيدرآباد الهند. www.manuu.edu.in

الهند في الرحلات العربيّة الحديثة

جدید عربی سفرناموں میں ہندوستان

أصحاب البحوث

1 البروفيسور سيد عليم أشرف الجائسي
2 البروفيسور حبيب الله خان
3 البروفيسور سيد كفيل أحمد القاسمي
4 البروفيسور سيد جهانغير
5 البروفيسور سيد راشد نسيم
6 البروفيسور مظفر عالم
7 الدكتور جاويد نديم الندوي
8 الدكتور محمد أنظر الندوي
9 الدكتور جمشيد أحمد الندوي
10 الدكتور ثمامة فيصل
11 الدكتور محمد شاكر رضا
12 الدكتور قمر شعبان الندوي
13 الدكتور سعيد بن مخاشن
14 الدكتور المفتي محمّد شرف عالم
15 الدكتورة ثمينة كوثر
16 الدكتور طلحة فرحان
17 الدكتور محمد أعظم الندوي
18 الدكتور عبد الحكيم
19 الدكتور محمد شمس الدين
20 سيد جميل الدين النظامي
21 محمد طارق رضا الأزهري
22 پروفيسر محمد اقبال حسين ندوى
23 ڈاکٹرمحمداکرم السلام اعظمی

محتويات

رقم	البحوث	صفحة
	رسالة من رئيس الجامعة (Message of the Vice Chancellor)	**6**
	بين يدي الكتاب	**10**
1	الرحلات العربية إلى الهند عبر العصور (تقديم)	**14**
2	الرحلات العربية إلى الهند في القرنين التاسع عشر والعشرين	**36**
3	ذكر الهند فى كتاب رحلات عبد الوهاب عزام	**54**
4	الدكتور عبد الله القتم، رحالة الكويت إلى الهند	**64**
5	رحلة أمينة السعيد "مشاهدات في الهند" بين عرض ونقد	**76**
6	رحلة إلى الهند: رحلة في قالب الرواية	**82**
7	الهند كما وصفها محمد المخزنجي: مشاهد وانطباعات	**93**
8	أدب الرحلة العربية المعاصرة إلى الهند - دراسة واستعراض	**104**
9	نظرة عابرة على موسوعة الرحلات الهندية للأستاذ محمد سعيد الطريحي	**121**
10	"عجالة في رحلة الهند" لمحمد رشيد رضا: دراسة تحليلية	**147**
11	الهند في رحلة "مشاهَدَاتي في بلاد الهند" للهادي إبراهيم المشيرقي	**159**
12	رحلة علي الطنطاوي إلى الهند: أدب في تأريخ وتأريخ في أدب	**173**
13	صورة الهند وأهلها في رحلات محمد بن ناصر العبودي	**185**
14	علي الطنطاوي ورحلته إلى الهند	**194**
15	سياحتي في بلاد الهند الإنكليزية و كشمير للأمير يوسف كمال	**206**
16	تصوير الهند وثقافتها في رحلة فتح الله أنطاكي: دراسة وصفية	**216**
17	محمد بن ناصر العبودي ورحلاته إلى الهند: الوعي الثقافي والتصوير الفني	**235**
18	الصورة الثقافية لجنوب الهند في رحلات الشيخ ناصر العبودى	**248**
19	وصف الهند في رحلة "حول العالم في 200 يوم" لأنيس منصور	**259**
20	لمحات عن منطقة الدكن وثقافتها في الرحلات العربية المنتخبة	**270**
21	رحلة نوال السعداوي إلى الهند: مشاهدات وانطباعات	**279**
22	سفرنامه اور محمد المجذوب کا سفر نامه	**288**
23	ہندستانی عورت ایک مصری سیاح کی نظرمیں	**302**

شیخ الجامعہ کا پیغام

باسمه سبحانه

سفر نامہ نویسی کی تاریخ شاید وہیں سے شروع ہوتی ہے جہاں سے انسانوں نے نئی بستیوں کی شناخت کا راستہ اختیار کیا۔ مسافرین نے کیا لکھا اور کہاں لکھا یہ تو ماضی کے حادثات ہی بتا پائیں گے مگر وہ مکتوب سرمایہ جو محفوظ ہو سکا ہے ان پر تحقیقات کے مشاغل رہتی دنیا تک کم نہ ہوں گے۔ ہر زبان کی ادبی زندگی میں ان سفر ناموں کے ایک ایک ورق یقیناً فال نیک ثابت ہوئے ہوں گے۔ ان سفر ناموں کو کس صنف ادب میں شمار کیا جائے اس موضوع پر بھی مباحث کی کمی نہیں ہے۔ بطور مثال "سیاحت نامہ ابراہیم بیگ" کو بہت سے صاحبان فہم نے ناول نگاری کا حرف آغاز مانا ہے۔ دوسری جانب تکنیکی اعتبار سے ایک اور گروہ اندیشمندان، کوئی اور نام دینے پر رضامند نہیں۔ یوں تو ہر اسلوب پہ معرکہ آرائی ہو سکتی ہے مگر سفر ناموں کی ایک خاص روش تنہا عربی ادب کے لیے مایہ ناز نہیں بلکہ دنیا کے ہر ادب نے اسے مناسب مقام عطا کیا ہے۔

کتاب حاضر بعنوان "الهند في الرحلات العربية الحديثة" (جدید عربی سفر ناموں میں ہندوستان) شعبہ عربی مانو کے ایک سمینار کے منتخب مقالات کا مجموعہ ہے جس کی تدوین پروفیسر سید علیم اشرف جائسی صاحب نے کی ہے اور ڈاکٹر محمد شاکر رضا صاحب نے اسے مرحلہ اشاعت تک پہنچا دیا ہے۔ وہ تحقیقی مطالعے جو اس کتاب میں شامل ہیں سفر نامہ کے

مختلف پہلوؤں پر روشنی ڈال رہے ہیں۔ مجھے اس بات کا بھی احساس ہے کہ شعبہ عربی مولانا آزاد نیشنل اردو یونیورسٹی کے اساتید مشکل سے مشکل کام کو بڑی آسانی کے ساتھ بخیر وخوبی انجام دے سکتے ہیں۔ عربی زبان پر مہارت اور دنیائے عرب تک اپنی آواز کو پہنچانا انہیں صورتوں کی ایک کڑی ہے۔

جن حضرات کے تحقیقی مقالے اس کتاب میں شامل کیے گئے ہیں میں انہیں بھی لائق صد احترام سمجھتا ہوں اور وہ اس لیے کہ حتی الامکان جائسی صاحب اور ان کے رفقائے کار نے انتخاب میں کوئی تساہلی نہیں برتی ہوگی۔ الغرض اپنی مسرت کے اظہار میں کسی قسم کی کوتاہی نہ کرتے ہوئے راقم الحروف بنفس نفیس قارئین کے تئیں خواہشمند ہے کہ بر حسب افادیت اس کتاب کی قدر وقیمت پر اپنی منصفانہ اور فاضلانہ رائے سے دنیائے ادب کو ضرور مطلع فرمائیں تاکہ تحقیق وتجسس کی راہیں ہموار ہوں۔

خیر اندیش

پروفیسر سید عین الحسن

وائس چانسلر

مولانا آزاد نیشنل اردو یونیورسٹی حیدرآباد

رسالة من رئيس الجامعة

باسمه سبحانه

ربما بدأت كتابة الرحلات من حيث بدأ الإنسان استكشاف المستوطنات الجديدة على وجه الأرض. ماذا كتب المسافرون من وقائع رحلاتهم؟ ومتى كتبوا؟ هذا مما لا يقوله إلا الحوادث التاريخية ، غير أن الثروة المكتوبة التي بقيت محفوظة ستظل موضوع تحقيقات لا تنتهي أبدا. ولابد أن تكون كل صفحة من صفحات هذه الرحلات قد أثبتت أنها ميمونة في الحياة الأدبية لكل لغة. وإن المداولات كانت ولا تزال مشتعلة الأوار حول تصنيف أدب الرحلات إلى فئة معينة من أصناف الأدب، فعلى سبيل المثال، يعتبر العديد من الباحثين أن كتاب "سياحت نامه إبراهيم بيغ" هي بداية الكتابة الروائية، بينما نجد هناك مجموعة أخرى من الباحثين الحذرين من الناحية الفنية غير راغبة في إعطاء (أدب الرحلات) أي اسم آخر. وهكذا يمكن أن يكون هناك صراع على كل أسلوب، ولكن أسلوباً متميزا في سرد الرحلات ليس خاصاً بالأدب العربي وحده، بل أن أدب الرحلات قد اكتسب مكانة مرموقة في الآداب العالمية كلها.

الكتاب الذي بين أيدينا بعنوان "الهند في الرحلات العربية الحديثة" هو مجموعة من المقالات المختارة التي قدمت في الندوة التي نظمها قسم اللغة العربية بجامعة مانو، جمعها وحررها الأستاذ الدكتور سيد عليم أشرف جائسي، ونشرها الدكتور محمد شاكر رضا. وإن المقالات التي يحتويها الكتاب تسلط الأضواء على جوانب مختلفة من أدب الرحلات. وأنا أدرك

هذا الأمر إدراكا كاملا بأن أساتذة قسم اللغة العربية بجامعة مولانا آزاد الوطنية يستطيعون إنجاز المهام الصعبة بسهولة فائقة، ومن ضمن تلك الإنجازات إيصال أصواتهم إلى العالم العربي بفضل براعتهم في اللغة العربية.

أعتبر الباحثين الذين أسهمت مقالاتهم البحثية في هذا الكتاب جديرين بالتقدير، وذلك لأن الأستاذ جائسي وفريقه لم يتهاونوا أبداً في اختيارهم. أخيراً، لا يمكنني إخفاء سروري وأنا أدعو القراء الكرام إلى تقديم تقييماتهم العادلة والتحليلات العميقة بناءً على فائدة هذا الكتاب، حتى تتمكن الساحة الأدبية من الاستفادة بشكل أعمق وتفتح الأبواب لمزيد من الاستكشافات.

مخلصكم

البروفيسور سيد عين الحسن

رئيس جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية،حيدرآباد

بقلم المحرّر

بين يدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الأولين والآخرين إمام الأتقياء والمتورعين سيدنا محمد أفصح العرب وأفصح من نطق بالضاد، وعلى آله الأطهار وصحبه الأوفياء أجمعين،أمابعد!

فإن الهند قطر عظيم يسكنه مئات الملايين من البشر. وهي ليست بلاد العجائب والغرائب فحسب، بل هي مهبط أول إنسان أب البشر سيدنا آدم عليه السلام، وهي زبدة العوالم، وخلاصة ناطقة لجميع أدوار التاريخ، وصورة صادقة للأطوار المتأرجحة بين القرون الماضية والحضارة الحديثة. ولذا جذبت الهند أنظار العلماء، والسيّاح، والمتفننين، والشعراء من أصحاب المواهب من الشرق والغرب، وأثارت فيهم حب الاستطلاع، فهم تناولوا الهند وناقشوا عنها في مؤلفاتهم بشغف وولوع، ونقلوا صورتها بألسنتهم بوصفهم الأخاذ الجذاب، بالعربية وغيرها. ونجد أن السياح العرب والمسلمين لم يتخلفوا من غيرهم في هذا المجال أيضا، فلم يقتصروا في استكشافها في القرون الماضية، أمثال المسعودي، والبيروني، وابن بطوطة وغيرهم، بل سار على دربهم من جاء بعدهم، وهذه السلسلة المباركة ما زالت تتواصل في عصرنا المعاصر، بل ازدادت نتيجة توفر الوسائل والتسهيلات عبر الزمن، وستستمر إن شاء الله تعالى.

ويسعدني أن أقدم إليكم هذا الكتاب الفريد من نوعه الذي يحوي بحوثا ومقالات للأساتذة الكبار والباحثين الأفاضل من الجامعات الهندية الكائنة في شتى ولايات الهند، والتي هي عصارة تجاربهم الممتدة عبر العقود

والأقطار، والتي تم عرضها واستعراضها في الندوة الوطنية التي نظمها قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، حيدرآباد، الهند، خلال السادس والسابع (6-7) من شهر مارس 2024م حول الموضوع "**الرحلات العربية حول الهند في القرنين التاسع عشر والعشرين: التصوير الفني والتفهم الثقافي**".

تناول أصحاب السعادة المؤلفون في مقالاتهم وبحوثهم الرحلات العربية الحديثة حول الهند الحبيبة، وتحدثوا فيها عن طبائعها الرائعة، ونكهتها العطرة، وجمالها المثير. وتناول السادة المساهمون نظرة الرُّحل العرب إلى الهند الحديثة، وأسلوبهم النقي الصافي في الحديث عن تاريخها وحضارتها وثقافتها، وحنكتهم في وصفها، ووصف مدنها، ومبانيها ومعالمها، وأهلها، وعاداتهم، وطقوسهم، وديانتهم، ووجباتهم، وملابسهم المزخرفة المزركشة، وأذواقهم، وأعيادهم، وأفراحهم، وأتراحهم ... ممّا لفتت عيونهم، والتقطتها عدستهم. وهؤلاء الرحالون ينتمون إلى الأقطار العربية المختلفة بما فيها المملكة العربية السعودية، وجمهورية العراق، والجمهورية العربية السورية، وجمهورية مصر العربية، ودولة ليبيا، ودولة الكويت وما إلى ذلك.

الكتاب الذي بين أيديكم "**الهند في الرحلات العربية الحديثة**" يهدف إبراز دور الرحالين العرب في اكتشاف الهند الحديثة، ويمنح فرصة للباحثين للحصول على الرؤية الحديثة والمعاصرة حول نوع أدبي مثير، تزداد شعبيته وتأثيره بشكل مذهل في اتجاهات متعددة. وبحثنا كثيرا عما وُضع في اللغة العربية عن الهند في الرحلات العربية الحديثة، فلم نجد سوى مقالات قليلة هشة مبثوثة في بعض المجلات العربية لا تروي غلة الباحثين المعاصرين، ولا تلبي متطلبات البحث الجاد. ونحن على يقين بأن هذا الكتاب سيكون مصدرا مهما، وسيفتح مجالات عديدة واسعة أمام

الباحثين والقارئين المتحمسين الجادين في عالم يتطلع دائما للأفضل والأجمل، ويحث لمن يريد أن يبدع ويخترع، لأن العالم يتغير، والتغير يسبب الإبداع. وهذه الأسباب دفعتنا لإصدار هذا الكتاب الذي يتناول في طياته الهند والرحلات العربية الحديثة.

إن هذا الكتاب مساهمة يساهم به قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، بحيدرآباد، الهند، مخلصا في خدمة اللغة العربية. وأرجو – كما ذكرت - أن يكون هذا العمل مساهمة بنّاءة في مجال الدراسات الهندية العربية، ويكون نافعا للطلاب والباحثين، والمولعين بالدراسات الهندية العربية. وأرحب ردود الباحثين والقراء وتعليقاتهم، وآمل أن ينال الكتاب إعجابهم ورضاهم.

ويتحتم علي أن أشكر عرفانا وتقديرا جميع الأساتذة والباحثين الذين شاركوا ببحوثهم الرصينة ومقالاتهم القيمة العلمية المليئة بالمعلومات المختلفة والمتنوعة ، وأثروا بها هذا الكتاب.

وأخص بالذكر سعادة الدكتور البروفيسور سيد عين الحسن رئيس جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية بحيدرآباد الهند الذي شجّعني للقيام بهذا العمل، وأبدى فرحته وسروره تجاه هذا الإنجاز، وكرّمنا بتزويدنا بمقدمة، فقام فيها بتعريف هذا الكتاب، وعبّر عن أهميته، ووجّه القراء لتناوله وتقييمه في ضوء آرائهم السديدة. وأعرب سعادته عن إشادته البالغة لقسم اللغة العربية وأعضاء هيئة التدريس، وكفاءاتهم ومهاراتهم في اللغة العربية وتمكنهم لإيصال بحوثهم وإبداعاتهم الأدبية والفكرية إلى الأقطار العربية.

وأشكر سعادة الدكتور البروفيسور سيد عليم أشرف الجائسي، رئيس

قسم اللغة العربية وآدابها، لإشرافه ونصائحه البناءة المفيدة التي زادت في تحسين هذا الكتاب، وكان سعادته سببا رئيسيا لإصدار هذا الكتاب.

وأشكر زملائي الأعزة في قسم اللغة العربية – الدكتور جاويد نديم الندوي، والدكتور سعيد بن مخاشن، والدكتورة ثمينة كوثر (تابش)، والدكتور المفتي محمد شرف عالم، والدكتور طلحة فرحان، والدكتور محمد شمس الدين، والدكتور آصف لئيق – لتكاتفهم وتعاضدهم أثناء قيامي بهذا العمل، فجزاءهم الله أحسن الجزاء.

وأخيرا وليس آخرا، أشكر الله تعالى لتوفيقه إياي بهذا العمل العلمي الأنيق والفريد من نوعه، فإن وفقت فإليه يرجع الفضل كله، وإن حصل تقصير فالعبد مقصر، والكمال لله تعالى. والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه، ومعلم البشرية جمعاء، وأفصح من نطق بالضاد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الأوفياء المخلصين.

دكتور محمد شاكر رضا
منسق الندوة وأستاذ مساعد في قسم اللغة العربية
جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية
بحيدرآباد، الهند
22 أكتوبر 2024م
18 ربيع الآخر 1446هـ

أ. د. سيد عليم أشرف الجائسي*

(تقديم)

الرحلات العربية إلى الهند عبر العصور
مرآة صادقة للوصف الفني والفهم الثقافي

مدخل إلى الرحلة وأدبها

إن السمة البارزة والمتميزة للكائن البشري دون غيره من الكائنات الحية، حب الاستطلاع ورغبة قوية في معرفة البلاد وما فيها من الظواهر الطبيعة والمظاهر الاجتماعية، وهذه الرغبة الفطرية هى المسئولة بالدرجة الأولى عن دفع الإنسان إلى السفر والترحال لمعرفة الأماكن والرجال. وقد حرض الإسلام أتباعه على السير في الأرض، وعده مدخلا للتأمل والاعتبار، وذريعة للمعرفة والاسترزاق، ووسيلة للتعقل والتدبر والتعرف على سنة الله الجارية في خلقه وعباده. وقد دعا القرآن إلى السفر والسير في مواضيع منها قوله تعالى: "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ".[1] وقوله تعالى: "أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم..."[2] وقوله تعالى:"وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ"[3] وغيرها من الآيات الكثيرة.

علما بأن أدب الرحلة يعد من أهم الفنون الأدبية في الآداب العالمية، وهو

---

* - رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، حيدرآباد الهند.

1 العنكبوت: 20

2 غافر: 82

3 سبأ: 18

أدب يصور فيه الرحالة ما جرى له من أمور، وشاهده من بلاد وعباد، وما صادفه من وقائع وأحوال أثناء رحلته من بلد إلى بلد، ومن مكان إلى آخر، وما عاينه خلال تنقلاته من مجتمعات بشرية، وما اطلع عليه من أنماط حياة الشعوب المختلفة، وعاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم.

الرحلة لغة: فقد وردت كلمة الرحلة في المعاجم العربية بمعنى التنقل والسفر من مكان إلى مكان آخر، يقول ابن فارس: " الراء والحاء واللام، أصل واحد يدل على المضي في السفر."[4]

الرحلة اصطلاحا: "السفر والانتقال من مكان إلى مكان آخر لتحقيق هدف معين ماديا كان أو معنويا."[5]

فهذه هى الرحلة لغة واصطلاحا، وأما أدب الرحلة فيعرفُ بأنه عبارة عن المؤلفات، والمدونات، والمذكرات، والمخطوطات، والرسائل التي وصلت إلينا من أقدم العصور إلى يومنا هذا، و تشتمل على المشاهداتِ، والروايات والأحوال والقصص التي عاصرها الرحالون في أماكن شتى زاروها ووصلوا إليها، ويحتوي أدب الرحلة على نقلِ مواصفات الطبيعة الموجودة في مناطق العالم مكتشفة كانت أم غير مكتشفة، ويلقى الأضواء على الأحوال، والعادات، والتقاليد السائدة عند الشعوب المرتحل إليهم، الذين استوطنوا وعاشوا في تلك المناطق، ويصور حضارتهم وثقافتهم وديانتهم وكل ناحية من نواحي حياتهم تصويرا فنيا دقيقا، ويجعل من خلاله جسرا معرفيا بين الشعبين والأمتين، يفتح بابا لتجارة السلع والبضائع وتبادل العلوم والثقافة في كليهما.

إن أدب الرحلة عبارة عن كتابة يحكي فيها الرحالة وقائع رحلته و أحداثها،

---

[4] مقاييس اللغة، سوريا: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م ، 2: 497.

[5] عبد الحكيم الصعيدي، الرحلة في الإسلام : أنواعها وآدابها، الطبعة الأولى؛ القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، 1996م ، 15.

وما شاهده وعاينه من آثار ومعالم مازجا ذلك بانطباعاته ومشاعره الذاتية حول المرتحل إليهم، وهذا يتطلب من الرحالة أن يكون ذا مستوى ثقافي عال يؤهله أن يسرد أحداث رحلته بصورة رائعة وجذابة، وغايته- كما يقول الحاتمي- " إفادة القارئ وإمتاعه"[6]

ويعتبر أدب الرحلات من أهم أنواع الأدب الذي يتميز بروح المغامرة والاستكشاف. ولا نعرف شيئا ثابتا عن أول عمل في مجال أدب الرحلة، أما ما اطلع عليه الباحثون إلى الآن هو كتاب رحالة إغريقي هيرودوت (Herodotus) (425-484 ق.م.)، الذي زار مصر وقبرص وفينيقيا وآشور وإيران، وتوغل في الشمال إلى البوسفور، وجمع مشاهداته في هذه الرحلات في تاريخه الكبير.[7]

وإن العمل الثاني المتاح في مجال أدب الرحلة هو كتاب "إنديكا"(Indica) لميجاستينس الذي كان مؤرخًا ودبلوماسيًا وجغرافيًا يونانيًا قديمًا، اشتهر بعمله كسفير لدى بلاط شاندراجوبتا موريا، مؤسس إمبراطورية موريا في الهند. عمل سفيرًا لسلوقس الأول نيكاتور، أحد جنرالات الإسكندر الأكبر، وحاكم الإمبراطورية السلوقية، قام بهذه الرحلة في عام 330 ق. م. وهذا الكتاب عبارة عن سرد مفصل للهند خلال تلك الفترة.[8]

علما بأن أدب الرحلة يمتاز بميزات كثيرة وبخصائص متعددة، هو النوع الوحيد الذي لايقدم فيه الكاتب مجتمعه الخاص، بل المجتمع البعيد والغريب، أمام العالم، ويكون غالبا في سرده لأحوال ذلك المجتمع غيرَ

---

[6] محمد الحاتمي، الرحلات المغربية السوسية، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2012م، 20.

[7] شوقي ضيف، الرحلات، الطبعة الرابعة؛ القاهرة: دارالمعارف، د. ت. 8.

[8] راجع للتفصيل: Ancient India, as described by Megasthenes and Arrian, J. V. Mc Crindle, London: Tribuner &Co. 1877. وكان الأستاذ ج.ف. ميك كندال يعمل مديرا في الكلية الحكومية بباتنا، في ولاية بيهار. وكان خبيرا باللغات الكلاسيكية، ولغويا بارزا.

محايد وغير منحاز لأن ليست له في ذلك المجتمع صلة ولا قرابة، فتكون بياناته أقرب إلى الحق والصواب، وهنا تكمن أهمية أدب الرحلة. يقول محمد أمين الشنقيطي: " إن أدب الرحلات يعتبر فنا متميزا حيث يتطلب قدرة على التعبير ودقة في التصوير، لأنه يصف المواقع والمواقف، وما يمر له مما يستحق للتسجيل بوضوح العبارة حتى يجعله كالمحسوس المدرك بالإشارة مع حسن اختيار وذوق فيما يختار، ويبرز ما شاهده من مرئيات بأدق وأصدق العبارات، وأعذب مايكون من كلمات وعبارات، مما يتطلب ذوقا حساسا، ولا يقوي على ذلك إلا عالم أريب أو مثقف أديب، وخبير بأوضاع البلاد سياسيا واقتصاديا وجغرافيا."[9]

تاريخ الرحلات العربية

إن تاريخ الرحلات العربية يرجع إلى عصر متوغل في القدم، ومنذ فجر التأريخ نرى السفن العربية متجها إلى الهند وجزر شرق الهند محملة بالبضائع الهندية والصينية، وكانت شهرة الهند والصين من أجل ثروتهما المعدنية والحيوانية والزراعية قد طبقت الآفاق، وبسبب هذه الثروة المتنوعة الهائلة نشأ ما يعرف بالتجارة الشرقية التي تنافس عليها المتنافسون من العرب والروم ، والفرس ، والشعوب الأوروبية ، و كانت الريادة في هذا المجال للتجار والبحارين العرب ، و نجد منذ مطلع التأريخ إن السفن العربية تنقل البضائع الهندية إلى موانى البحرين ، و حضرموت ، و عمان ، و مسقط ، و غيرها ثم تحمل تلك البضائع على ظهور الجمال إلى الحجاز ، و الشام ، و مصر و من هناك تصل إلى أوروبا عن طريق البحر الأبيض المتوسط، ونجد في التوراة هذه القوافل العربية متجهة إلى مصر عن طريق الشام ، وتشير التوراة إلى أن إحدى هذه القوافل هي التي التقطت يوسف عليه السلام من البئر وذهبت به إلى

[9] رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، القاهرة: دار ابن تيمية، د. ت.، 5.

مصر.[10]

وقد ازدهرت الرحلات العربية في بحر العرب، والمحيط الهندي والبحر الأحمر عندما قامت مملكة سبأ في جنوب الجزيرة العربية وأصبحت التجارة الشرقية – التي تنافس عليه المتنافسون – في يد العرب اليمنيين " كانوا هم العنصر الغالب فيها"[11]

وإن الرخاء الذي كان يعم بلاد اليمن في تلك الفترة ، ويصفه لنا "هيرودتس" و "استرابون" و "ارتيميدور" و غيرهم من المؤرخين الأغارقة في" بلاد اليمن السعيدة " ، يرجع إلى رحلات العرب اليمنيين التجارية.[12]

وقد ورد ذكر الرحلات العربية المتمثلة في الرحلات التجارية لقريش في القرآن الكريم، التي كانت تتجه في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام في قوله تعالى: "لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ. إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشّتَآءِ وَالصّيْفِ" [13] وكانت القريش تمثل قلادة عقد في التجارة الشرقية الممتدة بين أوروبا غربا والصين شرقا، وبأيديهم كانت تنقل بضائع الهند والصين إلى موانى الأنطاكية والإسكندرية.[14]

وهذا هو عرض موجز لبداية رحلات العرب برا وبحرا. وفيما يتعلق بأدب الرحلة العربية، يرى الدكتور شعيب حليفي أن أدب الرحلة بدأ باللغة العربية في القرن التاسع الميلادي. وصارت دائرة التاليف والكتابة المتصلة بالمسالك والممالك تتسع، وصار عددها تزداد يوما فيوما. وكانت الكتب والرسائل في هذا المجال مرتبطة غالبا بتخصصات الرحالين، مثل: التاريخ،

[10] انظر : الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، الإصحاح ، 37.

[11] أحمد أمين ، فجر الإسلام ،الطبعة السابعة ؛ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1955م ، 13.

[12] جوستاف لي بان ، حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، مطبعة عيسي البابي الحلبي و شركائه ، د.ت. ، 94.

[13] سورة قريش: 1، 2.

[14] جواد علي ، المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية؛ بغداد: جامعة بغداد، 1993م، 4: 6.

والجغرافيا، والأدب، والسفارة والمجتمع البشري وغيرها.[15]

لقد أسهم العرب إسهاما جديرا بالذكر والثناء في نشأة أدب الرحلات و تطوره، وبهم تكامل هذا الأدب وإنهم فاقوا أقرانهم في السبق وأبدعوا في هذا الأدب وتفننوا فيه، وصوروا البلاد والعباد في أدق صورة وأصدق وضع، واخترقوا الآفاق واكتشفوا مجاهيل الأرض، وساهموا من خلال رحلاتهم في تطوير المعارف التأريخية والجغرافية والاجتماعية.

إن السمات الرئيسية لكتب الرحلات العربية هى الواقعية والصدق والحياد، وتتميز الرحلات العربية بأن أصحابها قد وازنوا بين الرغبة في رؤية بديع صنع الله في كونه وبين ما صنعته أيدي الإنسان.[16]

أعلام الرحالين العرب

عرف العرب أدب الرحلات منذ القديم، وكانت عنايتهم بهذا الأدب عظيمة في سائر العصور. ولعلَّ من أقدم نماذج أدب الرحلة هو رحلة سليمان التاجر السيرافي بحراً في المحيط الهندي في القرن الثالث الهجري، وكذلك رحلة سلام الترجمان إلى حصون جبال القوقاز عام 227هـ، بتكليف من الخليفة العباسي الواثق بالله بن المعتصم المتوفى 232هـ؛ بحثا عن سدِّ يأجوج ومأجوج. ويرى الدكتور شعيب حليفي أن أدب الرحلة بدأ في اللغة العربية في القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري، إذ أقبل العرب على التاليف والكتابة بالمسالك والممالك، وكانت الكتب والرسائل المؤلفة في هذا

[15] الرحلة في الأدب العربي: التجنس، اليات الكتابة، خطاب المتخيل. ط.1.مصر.الهيئة العامة لقصور الكتاب. كتابات نقدية عدد 121، 2002م، 5.

[16] الموافي ناصر عبد الرزاق، الرحلة في الأدب العربي حتى القرن الرابع الهجري، الطبعة الأولى؛ مصر: دار النشر للجامعات المصرية، 1995م، 31.

المجال مرتبة بتخصصات كاتبيها مثل: التأريخ والجغرافيا والأدب والسفارة. ونقدم فيما يأتي أسماء بعض أعلام الرحالين العرب على سبيل المثال لا الحصر.

1- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين المتوفى 345هـ: هو من أقدم الرحالة الجغرافيين، وكتابه " مروج الذهب ومعادن الجوهر" يعتبر من أنفس الأعمال في أدب الرحلات، ويشتمل هذا الكتاب على العلوم المتنوعة، منها التاريخ والجغرافيا والسياسة والحضارة.
2- ابن فضلان، وكان من رحالي القرن العاشر الميلادي، وهو أول من رحل إلى بلاد الروس ووصفها وصفا دقيقا لا نظير له، ويعتبر وقائع رحلته مصدرا مهما وموثوقا به لدى الأوروبيين أنفسهم، ويعتمدون عليه في معرفة الروس آنذاك، وقد اعترف علماء الغرب بقيمة ما دونه ابن فضلان في رسالته كما اعترفوا بدقة وصفه لمشاهداته، وثمنوا ملاحظاته عاليا.
3- ابن بطوطة، وهو شمس الدين محمد بن عبد الله الطنجي المتوفى سنة 1368 الميلادية، ويعتبر رحلته مصدرا موثوقا به، وأشهر الرحلات العربية لطول مدتها وسعة رقعتها، فقد دامت رحلته من بلد إلى بلد ومن منطقة إلى أخرى خمسا وعشرين سنة، زار فيها البلاد العربية، والفارس، والهند، والصين، والتركستان، وفي الهند رحب به سلطان دلهي محمد بن تغلق وأكرمه وأعطاه منصب القضاء، وسافر طول الهند وعرضها ووصفها وصفا تناول فيه الهند بنواح شتى، تحدث عن الجغرافيا، المجتمع، الدين، الثقافة. وذكر ثروات الهند الطبيعية، وأنهارها العظيمة، إلى جانب هذا ذكر الاحتفالات الدينية، والعادات المحلية والتقاليد الهندوسية والطقوس الغريبة، كما أشار إلى الأنظمة الإدارية، والهندسة

المعمارية وغيرها. ويعتبر كتابه "تحفة النظارفي غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" الذي جمع فيه ابن بطوطة وقائع رحلته من أهم الوثائق التاريخية.

4- ابن حوقل، هو محمد بن حوقل البغدادي المتوفى عام 397هـ، ويعد كتابه "صورة الأرض" على رأس قائمة كتب الرحلات، يتضمن الكتاب وصفا دقيقا وصورة صادقة لما شاهده أثناء رحلاته لجزء كبير وواسع من أرجاء الكرة الأرضية المعمورة.

5- اليعقوبي، هو أحمد بن يعقوب قام بكثير من الرحلات التي جاب بها البلاد، وله "كتاب البلدان" من أنفس ما كتب في الموضوع.

6- المقدسي: محمد بن أحمد المتوفى 990م، من أشهر الرحالين في القرن الرابع الهجري، وكتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" كتاب يتضمن في طياته جميع العلوم الاجتماعية، وصف فيه المقدسي المناطق الشمالية الهندية وصفا جميلا صادقا، وتناول الحكومات العربية الإسلامية القائمة في شمال غربي الهند بالذكر والبيان، كما تناول الجاليات العربية المتواجدة آنذاك في السند والملتان وغيرهما.

7- الإدريسي، محمد بن عبد العزيز الشريف المتوفى 1166م، يعتبر من مؤسسي علم الجغرافيا: اشتهر برسم خرائط البلدان التي شاهدها، وكان عالما فلسفيا طبيبا رياضيا، وكتابه " نزهة المشتاق" أشهر من نار على علم.

8- ابن جبير، هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، وُلد في بلدة بلنسية (Valencia) المتوفى 1217م هو أحد أعظم الرحالة المسلمين في العصور الوسطى. واشتهر برحلته الشهيرة إلى المشرق، التي بدأت عام 1183م. كان هدف ابن جبير الأساسي من رحلته هو أداء فريضة الحج، لكنه استفاد من هذه الفرصة ليجوب

العديد من البلدان الإسلامية، مسجلاً انطباعاته ومشاهداته في كتابه الشهير "رحلة ابن جبير." تعد "رحلة ابن جبير" واحدة من أهم المصادر الأدبية والتاريخية للعصور الوسطى. فهي تقدم لنا صورة مفصلة عن الحياة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا خلال القرن الثاني عشر. كما أنها تلقي الضوء على فترة كانت فيها المنطقة تعيش تفاعلاً حضارياً مكثفاً، خصوصاً في ظل الحملات الصليبية[17].

أنواع الرحلات

إن الرحلة تختلف أنواعها اختلاف أهدافها، وقد قسمها العلماء عدة أقسام، ومنهم الدكتور محمد الفاسي الذي قسم الرحلة إلى خمسة عشر قسما، منها: الحجازية، والسياحية، والرسمية، والدراسية، والأثرية، والاستكشافية، والزيارية، والسياسية، والعلمية، والسفارية.[18]

وقسم الدكتور حليفي أدب الرحلات إلى قسمين:

1- أدب الرحلة الحقيقية: هو الذي يعتمد على تجارب واقعية لشخصيات حقيقية خلال رحلاتهم واستكشافاتهم. يتميز هذا النوع بالمصداقية والتوثيق التاريخي، وغالبًا ما يهدف إلى تقديم وصف دقيق للأماكن، والشعوب، والعادات، والثقافات التي يتم استكشافها. عادةً ما يكون كاتب أدب الرحلة الحقيقية مسافرًا أو مستكشفًا يكتب عن تجربته بشكل مباشر.

2- أدب الرحلة الخيالية: هو نوع أدبي يستند إلى أحداث أو أماكن خيالية ولا يعكس بالضرورة تجارب حقيقية. يُستخدم هذا النوع

[17] مجلة أداب الكوفة، العدد:51، ج:1، شعبان 1443هـ/ آذار 2022م

[18] انظر مقدمة تخقيقه لكتاب " الإكسير في فكاك الأسير" نقلا عن الرحلة في الأدب العربي، مرجع سابق.34.

لإيصال أفكار فلسفية، اجتماعية، أو نقدية من خلال خلق عوالم أو رحلات افتراضية. غالبًا ما يكون هذا الأدب مزيجًا من الخيال والمغامرة، وأحيانًا يتضمن عناصر من الخيال العلمي.[19]

وقسم الآخرون أدب الرحلة وفقا لغرض الرحلة إلى أقسام عديدة، مثل: أدب الرحلة القصصي، وأدب الرحلة الجغرافي، وأدب الرحلة الثقافي، وأدب الرحلة المشاعري ، وأدب الرحلة الديني وغيرها.[20]

الرحلات العربية إلى الهند

شهدت العلاقات العربية الهندية تطورًا ملحوظًا عبر العصور، حيث قام العديد من الرحالة العرب بزيارات هندية لأغراض تجارية، دينية، وثقافية. إليك أهم الرحلات العربية إلى الهند عبر العصور: الرحلات العربية إلى الهند في العصور المختلفة كانت غنية بالتجارب الثقافية والدينية والاقتصادية. هذه الرحلات لعبت دورًا مهمًا في تعزيز العلاقات بين العالمين: العربي والهندي، وأسهمت في نقل المعرفة والثقافة بين الحضارتين. إليك أهم الرحلات العربية إلى الهند: أولا، الرحلات التي قامت في العصور الوسطى منها: رحلة المقدسي المتوفى 990م، رحلة ابن حوقل (947م - 990م)، رحلة ابن بطوطة (1304م - 1368م)، رحلة ابن فضلان (921م)، رحلة الإدريسي (1099م- 1180م) رحلة ابن جبير (1145م - 1217م) وغيرها من الرحلات. ولا نطيل الكلام في هذه الرحلات ومحتواها، فإن ما جاء فيها معروف ومشتهر بين أوساط العلماء والمثقفين بل يعرفها كل قاص ودان.

وإذا انتقلنا من العصور الوسطى إلى العصر الحديث، لوجدنا أن الرحلات

[19] الرحلة في الأدب العربي، مرجع سابق، 120.

[20] (انظر: الرحلة وأدبها في اللغة العربية: دراسة تاريخية، محمد رضى القاسمي، https://darululoom-deoband.com/arabicarticles/archives/2866

العربية في المضي قدما نحو الهند كانت باستمرار وبكثرة تجعل من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، إحصاءها. ونذكر - فيما يلي - بعضًا من هذه الرحلات بشكل مختصر.

1- ماراثناسيوس اغناطيوس نورى

وكان من أساقفة بغداد، زار الهند عام 1899م لجمع التبرعات لبناء مدرسة لأطفال المسيحيين فى بغداد أولا، ولتلبية رغبته فى التجوال والترحال ثانيا. لقد زار نوري أثناء رحلته مدنا هندية كثيرة، منها كراتشى، وممبائي، وبونا، وكولكاتا، وحيداباد، ودون مشاهداته في هذه المدن وانطباعاته فى كتاب سماه بـ "رحلة إلي الهند" وأقام نوري فى مدينة حيدراباد قرابة شهر كامل التقى فيه أسقف المدينة، والجدير بالذكر أن نوري قد ذكر - فيما ذكر من أحوال المدينة وآثارها - أن هذا أسقف يتلقى راتبا من الحكومة الآصفية قدره أربعمائة وخمسون روبية شهريا. والتقى نوري في حيدراباد النواب خورشيد جاه، ورئيس الوزراء محمد فضل الدين إسكندر يار، ووزير المالية السيد علي البلكرامي وغيرهم من وجهاء الإمارة الآصفية، ووصف الأماكن الأثرية في المدينة وصفا رائعا، كما وصف الهند أرضا وشعبا.[21]

2 - **الأمير يوسف كمال**

كان الأمير يوسف كمال من أسرة محمد على باشا والي مصر، وكان رحالة وجغرافيا مصريا مغرما بالفنون الجميلة، أسس مدرسة الفنون الجميلة سنة 1905م، وعين رئيس الجامعة القاهرة، وله كتاب بعنوان " سياحتي في بلاد الهند الانجليزية و كشمير" جمع فيه وقائع رحلته ومشاهدات أسفاره التى بدأت من كشمير شمالا وانتهت فى كيرالا جنوبا. يحتوى كتابه على وصف جميل للمدن والآثار الهندية. ومن المدن الهندية التى زارها الأمير

[21] رحلة إلى الهند، دار السويدي، أبو ظبي: الطبعة الأولى؛ 2003م.

مدينة حيدراباد أيضا، ووصفها أيما وصف، كما وصف أميرها عثمان علي بأنه مولع بالنساء وانتقده على ذلك. وطاف الأمير كمال طول الهند وعرضها وسجل مشاهداته في كتابه المذكور أعلاه في أسلوب أدبي جذاب.

3- محمد ثابت المصرى

قام هذا الرحالة بزيارة الهند في مستهل الأربعينات من القرن المنصرم، وتجول فى مدن هندية كثيرة، مثل: دلهي، وممبائي، وكولكاتا، وتشاناى، وآجرا، ووصف آثارها ومعالمها التاريخية وسكانها وتقاليدهم وعاداتهم، ودون يوميات رحلته فى كتاب أسماه "جولة فى ربوع أسيا".[22] وهذا الكتاب هو مثال رائع لمذكرات رحلة أدبية.

4- فتح الله الأنطاكي

زار الأنطاكي الهند عام 1932م للسياحة فيها ومعرفة أحوالها، وأقام فى الهند ثمانية شهور وجمع ما شاهده فى هذه المدة فى كتاب " الهند كما رأيتها". إنه قدم إلى إمارة حيدراباد ووصفها بأنها أعظم الإمارات الهندية المستقلة، وأثنى على أميرها ثناء بالغا، وأشاد بتدينه وجوده وكرمه كثيرا. ومما لا غبار عليه أن محتويات رحلة فتح الله الأنطاكي تعتبر وثيقة تاريخية مهمة.[23]

5 - أمينة السعيد

كاتبة مصرية وإحدى رائدات الحركة النسائية في مصر وخارجها، زارت الهند عام 1946م للمشاركة فى إحدى الندوات الدولية حول النساء التى تم عقدها فى مدينه حيدراباد السندية، تحدثت أمينة فى كتابها "مشاهدات فى

[22] الطبعة الرابعة؛مصر: المطبعة الرحمانيه.

[23] الهند كمارأيتها، الطبعة الأولى؛ مصر: المطبعة وديع أبو الفاضل، د.ت.

الهند" [24]عن رحلتها إلى الهند، وركزت على وضع المرأة الهندية تركيزا خاصا، وبينته بشيئ من التفصيل، انتقدت فيه حرمان المرأة من حقوقها على وجه العموم فى الهند، وأثارت قضية حجاب المرأة وزواجها في سن الطفولة. وترى – حسب ظنها- أن أعظم عقبة أمام المرأة الهندية تمنعها من الرقى والتقدم والازدهار هى الحجاب. وتصف أمينة السعيد مدنا هندية وطقوسا هندية، وناقشت الفنون الهندية وأجرت مناقشات طويلة حول هذه الفنون وأبدت آرائها فيها أيضا. ومما يلفت الانتباه إليه أنها قامت بالمقارنة بين أوضاع الشعب المصرى والهندي، واتصفت رحلتها بأسلوب أدبى رشيق مصتبغ بالصبغة القصصية.

6- الشيخ علي الطنطاوي

قام الشيخ علي الطنطاوي بزيارة الهند مرتين، وكانت الرحلة الأولى عام 1954م في بعثة المؤتمر الإسلامي، واستغرقت هذه الزيارة ثمانية شهور سافر فيها عددا من البلاد الشرقية، منها العراق والباكستان، والهند واندونيسيا وماليزيا وغيرها، وكما ذكر خلال هذه الرحلة زار الهند أيضا، وتجول في كثير من المدن الهندية وتناول بالذكر بعض المعالم الأثرية لملوك المسلمين في العصور الغابرة، ووصفها وصف عالم أديب في كتابه " صور من الشرق"، ذكر منارة قطب وجامع قوة الإسلام بلغة متينة وأسلوب رشيق:

" أحدثكم عن آثار المماليك، وقد وقفت عليها في أطراف دلهي، عن مسجد قوة الإسلام الذي عاد أطلالا، لكنها أطلال فيها من الروعة والضخامة ما ليس للقصور العوامر، وعن منارة قطب الدين وهى تشرف على الدنيا من علو سبعين مترا، كأنها من ضخامتها جبل، وهى جبل من الأمجاد

[24] دار المعارف ، مصر: 1946م.

والمكرمات"[25]

وزار الشيخ الهند في رحلته الثانية عام 1957م ودون ما عاينه وما شاهده في وقائع رحلته مفصلا ومسهبا من مدن الهند الجميلة ومبانيها الفخمة، وسكانها مختلفة ألوانهم وأشكالهم وعاداتهم وأعيادهم ومتباين مأكلهم وملبسهم بأسلوب ملئ بجمال الوصف ودقة التصوير وعذوبة البيان ورشاقة الأفكار.

7- نقولا زيادة

نزل نقولا زيادة الهند مرتين اثنتين، الأولى عام 1958م للمشاركة في المؤتمر العلمي الذي عقد في جامعة علي كره الإسلامية، وكان نقولا زيادة آنذاك أستاذا زائرا في جامعة هارفارد الأمريكية. وكانت الرحلة الثانية إلى الهند باعتباره أستاذا ضيفا في الجامعة ذاتها، وأثناء إقامته زار نقولا مجموعة من المدن الهندية حيث سافر إليها لإلقاء المحاضرات في جامعاتها، واستغل هذه الرحلات العلمية لزيارة كثير من الأماكن الأثرية، واحتك بالشعب الهندي واطلع على أحوالهم الدينية والاجتماعية، وذكر هذه التجارب والمشاهدات في كتابه " حول العالم 76 عاما" وهو كتاب يشتمل على رحلاته التي استغرقت ست وسبعين سنة من حياته، ابتداء من رحلته الأولى مهاجرا من فلسطين في العقد الثاني من القرن العشرين ونهاية إلى آخر رحلاته في التسعينات من القرن نفسه.

ومن الرحلات العربية الأخرى التي استرعت انتباه القراء بصفة عامة والمتطلعين إلى الإندولوجيا خاصة؛ ما يلي:

- حول العالم في 200 يوم لأنيس منصور.[26]

[25] صور من الشرق، الطبعة الأولى؛ جدة: دار المنارة، 1992م، 12.

[26] الطبعة الثامنة؛ القاهرة: دار الشروق، 2010م.

- رحلاتي في العالم لنوال السعداوي.[27]
- رؤية يمنية في أدب الرحلات لعبد الوهاب العمراني اليمني.[28]
- رحلات محمد ناصر العبودي ، وهى عبارة عن مجموعة من كتب تتناول رحلاته المتعددة إلى الهند.
- رحلات محمد سعيد الطريحي

التصوير الفني والفهم الثقافي في الرحلات العربية إلى الهند

وكانت الرحلات العربية إلى الهند على مدار التاريخ موضوعًا غنيًا بالتفاعل الثقافي والفني. العديد من الرحالة العرب الذين زاروا الهند قد أعجبوا بما شاهدوا من مآثر تاريخية والثقافة العتيدة فدونوا مشاهداتهم وملاحظاتهم، مما ساهم في إثراء معرفتنا بالثقافات الشرقية، وانعكس هذا كله في الأدب العربي. ولم تنقطع سلسلة الرحلات العربية حتى القرن التاسع عشر والعشرين ومن بين هؤلاء الرحالين من سبق ذكرهم ومن لم يذكروا، مثل: عبد الرحمان الكواكبي المتوفى 1902م، وعبد الرحمان منيف، ومحمد سهيد الطريحي من مواليد 1954م وغيرهم. وقد لعبت هذه الرحلات دورًا مهمًا في التعريف بالهند وتوعية العالم بالحضارة والثقافة الهندية، هنا نظرة على تأثير هذه الرحلات في التصوير الفني والتفهم الثقافي:

1. التصوير الفني:

- **المناظر الطبيعية والهندسة المعمارية:** الرحالة العرب الذين زاروا الهند تأثروا بشكل كبير بالمناظر الطبيعية الخلابة والمعالم المعمارية المدهشة مثل تاج محل، والقلعة الحمراء، ومنارة قطب الدين،

[27] الطبعة الثانية؛ القاهرة: مكتبة مدبولي، 2006م.

[28] بيروت: مؤسسة الرسالة، 2013م.

والمعابد الهندوسية، كهوف أجانتا أو إلورا ، والقلاع والقصور في ولاية راجستهان، ووديان كشمير المليئة بالزهور. هذا التأثر انعكس في الأدب العربي عبر وصف تفصيلي لهذه المعالم الأثرية والجمال الطبيعي الخلاب .

- **الوصف الدقيق للثقافة الهندية:** إن الكتاب العرب الذين كتبوا عن الهند في كتب رحلاتهم قاموا بتقديم وصف دقيق لملابس الشعب الهندي، والتقاليد والعادات اليومية. كان لهذه الأوصاف أثر كبير في إثراء الأدب العربي وإلهام الفنانين في تصوير الحياة الهندية.
- **التأثير المتبادل في الفنون:** إن التفاعل العلمي والثقافي والتجاري بين الهند والعالم العربي أدى إلى ظهور تأثيرات هندية في الأدب العربي والفنون العربية، مثل استخدام الألوان الزاهية والتفاصيل الدقيقة، التي كانت جزءًا من الفنون الزخرفية في الهند.

2. التفهم الثقافي:

- **الدين والفلسفة:** إن ما تضمنته هذه الرحلات يدل على الفهم الثقافي العميق للهند. و إن العديد من الرحالة العرب كانوا مهتمين بفهم التقاليد الدينية والفلسفية للهند عبر التفاعل مع علماء الهند وعامتهم، وتأثروا بالديانات الهندية مثل الهندوسية والبوذية، وسعوا إلى تقديم هذه المفاهيم إلى الجمهور العربي.
- **التجارة والاقتصاد:** التجار العرب لعبوا دورًا هامًا في الربط بين الاقتصادين الهندي والعربي. عبر التجارة، نقلوا ليس فقط السلع مثل التوابل والمنسوجات، بل أيضًا الأفكار والتقنيات الهندية التي أثرت في العالم العربي. وانتقلت عددا لابأس به من الكلمات الهندية إلى اللغة العربية.
- **اللغة والأدب:** نتيجة للتبادل الثقافي، دخلت العديد من الكلمات

الهندية إلى اللغة العربية، خاصة في المجالات المتعلقة بالأطياب، مثل: الصندل، والمسك، والكافور، والتوابل، مثل: الفلفل، والزنجبيل، والأدوية، مثل: إطريفل، والفواكه، مثل: النارجيل.[29] ذكر السيوطي في كتابه "المتوكلي" أن ثلاث كلمات هندية وردت في القران الكريم، وهى: ابلعي و طوبى و سندس.[30] وقال سيد مرتضى الزبيدي: إن كلمة طوبى هندية الأصل.[31]

الأدب العربي يحتوي على إشارات متعددة إلى الهند، سواء في قصص الرحالة أو في النصوص التي تناقش الفلسفات الهندية.

تأثير هذه الرحلات:

- ساعدت على بناء جسر من التفاهم المتبادل بين الحضارتين العربية والهندية. كانت الهند مصدراً للإلهام الفني والفكري، في حين أن العرب ساهموا في نقل تلك المعارف إلى بقية العالم الإسلامي.
- كانت الرحلات العربية إلى الهند مفتاحًا لتعزيز التواصل الثقافي وتبادل المعرفة، مما أثرى الأدب والفنون والفلسفة في كلا الثقافتين.
- الرحلات التاريخية والاجتماعية والأدبية لها أهمية كبيرة في إثراء المعرفة الإنسانية وتوسيع أفق الفهم الثقافي بين الشعوب والحضارات.

إليك بعض النقاط التي توضح أهمية هذه الرحلات بصفة عامة:

---

[29] الجائسي، سيد عليم أشرف، فصول في التعريف بالهند العلابية الإسلامية، الطبعة الأولى؛ دار العلوم جائس، 2003م، 94، 95.

[30] الجائسي، سيد عليم أشرف، قران كريم مين معرب الفاظ، الطبعة الأولى؛ دار العلوم جائس، 2006م، 129، 130.

[31] انظر: تاج العروس، منشورات دار الحياة، مصورة عن الطبعة الأولى؛ مصر: المطبعة الخيرية، 1306ه، 5: 300.

1. توسيع المعرفة الجغرافية والتاريخية:

- الرحلات تساهم في توثيق الأماكن الجغرافية غير المعروفة وتقديم معلومات مفصلة حول المعالم الطبيعية، المدن، والمجتمعات التي قد تكون غير مألوفة. من خلال كتابة الرحلات، تم توثيق ثقافات وشعوب مختلفة عبر القرون.
- كما أن الرحلات التاريخية تقدم رؤى حول تطور المجتمعات، الأحداث السياسية الكبرى، والتحولات الاقتصادية في مختلف الحضارات.

2. التفاعل الثقافي والحضاري:

- الرحلات تساهم في التبادل الثقافي بين الحضارات، حيث ينقل الرحالة العادات والتقاليد والمعتقدات بين الشعوب. هذا التفاعل يعزز الفهم المتبادل ويقلل من سوء الفهم والصراعات القائمة على الجهل الثقافي.
- من خلال التعرف على الثقافات الأخرى، يتم اكتساب أفكار جديدة يمكن أن تساهم في تطوير المجتمعات التي يعود إليها الرحالة.

3. تعزيز الأدب والفنون:

- أدب الرحلات يُعتبر نوعًا أدبيًا فريدًا يثري المكتبة الأدبية. من خلاله، يُقدم الرحالة رؤى فنية وأدبية حول المجتمعات الأخرى. هذه الكتابات قد تُلهم الأدباء والفنانين لتقديم أعمال جديدة مستوحاة من تلك الرحلات.
- الأدب المستند إلى الرحلات يتيح للقراء تجربة المغامرة والاكتشاف دون الحاجة إلى السفر الفعلي، مما يجعلها وسيلة قوية لنقل التجارب البشرية.

4. التأثير على الفهم الاجتماعي والإنساني:

- الرحلات الاجتماعية تساهم في فهم القضايا الاجتماعية مثل الفقر، الطبقات الاجتماعية، العدالة، والتعليم، عبر تجارب مباشرة عاشها الرحالة في مجتمعات مختلفة. هذه التجارب تُظهر للقراء كيف تعيش المجتمعات الأخرى، وما هي تحدياتها وفرصها.
- يُمكن لهذه الرحلات أن تؤدي إلى تحفيز النقاش حول القضايا الاجتماعية والإنسانية المهمة في العالم.

5. توثيق التجارب الإنسانية:

- الرحلات التاريخية تُعتبر مصادر هامة لتوثيق التجارب الإنسانية عبر الزمن. من خلال تجارب الرحالة، يمكننا فهم التحديات والمغامرات التي واجهها الإنسان في سعيه لاكتشاف العالم.
- تسجل هذه الرحلات قصصًا شخصية وثقافية تساهم في الحفاظ على الذاكرة الإنسانية والهوية الثقافية للأمم.

6. التأثير على العلوم والتكنولوجيا:

بعض الرحلات ساهمت بشكل كبير في تطور العلوم والتكنولوجيا. على سبيل المثال، من خلال ملاحظات الرحالة عن النباتات والحيوانات غير المعروفة، تطورت العلوم الطبيعية. كما أن الرحلات التي وثقت طرق التجارة والتقنيات أدت إلى تقدم تكنولوجي واقتصادي.

7. التقريب بين الشعوب وبناء جسور السلام:

الرحلات تؤدي إلى تقليص الفجوة بين الشعوب المختلفة، وتعزز التفاهم المتبادل. عندما يتعرف الأفراد على ثقافات أخرى من

خلال الرحالة، ينشأ لديهم احترام أكبر تجاه تلك الثقافات مما يسهم في تعزيز السلام والتعايش بين المجتمعات.

الخلاصة:

ومما لا يتطرق إليه شك أن الرحلات التاريخية والاجتماعية والأدبية تلعب دورًا محوريًا في تشكيل الوعي الإنساني وفهم العالم. من خلال استكشاف المناطق الجغرافية والتفاعل مع الثقافات المختلفة، أسهمت في تعزيز العلوم والفنون، والفهم الاجتماعي والثقافي، مما يساهم في تشكيل حضارة إنسانية أكثر شمولية وتفهمًا.

في القرنين التاسع عشر والعشرين، شهدت العلاقات بين العالم العربي والهند استمرارًا وتنوعًا في رحلات العرب إلى شبه القارة الهندية، مع التركيز على التبادل الثقافي، التجاري، والديني. هنا بعض من أبرز الرحلات العربية إلى الهند في هذين القرنين:

1. رحلات التجار والحجاج:

- استمرت رحلات التجار العرب إلى الهند خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وكانت هذه الرحلات جزءًا مهمًا من التواصل الاقتصادي بين المنطقتين. الكثير من التجار العرب من منطقة الخليج واليمن كانوا يتجهون إلى المدن الهندية التجارية الكبرى مثل مومباي وكلكتا لمزاولة أعمالهم التجارية.
- وإن ما يربط بين العرب والهند، رحلة الحجاج الهنود، فقد كانت الهند محطة مهمة للحجاج المسلمين الذين كانوا يتوجهون إلى مكة والمدينة بالطريق البحري في القرن التاسع عشر وبالطريق الجوي في القرن العشرين، مما عزز التواصل الثقافي والديني بين البلدين شبه المجاورين إذ لا يفصل بينها إلا البحر.

2. رحلات العلماء والأدباء والكتاب:

خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، قام العديد من العلماء والمفكرين العرب برحلات إلى الهند لمقابلة علماء الهند المسلمين، الذين كانوا معروفين بتفوقهم في مجالات مثل الفقه والحديث والتصوف. وكانت المدارس الإسلامية في الهند استقبلت طلابًا عربًا وأسهمت في نشر العلم الشرعي في العالم العربي. والشخصيات العربية البارزة التي زارت الهند قد ساهمت في توثيق العلاقات العلمية، مثل: جمال الدين الأفغاني الذي زار الهند في أواخر القرن التاسع عشر. أقام الأفغاني في الهند لعدة سنوات وشارك في الحوار الفكري مع العلماء والمفكرين الهنود، وساهم في تعزيز الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي. والشيخ علي الطنطاوي الذي زار الهند في القرن العشرين ترك أثرا عميقا في علماء المسلمين، وفي نفس الوقت تأثر منهم في جوانب كثيرة. وقد وقد رسم الشيخ الطنطاوي صورا جميلة لبعض العلماء الهنود في مذكراته عن رحلاته.

ومن الأدباء الذين زاروا الهند خلال هذه الفترة محمد ثابت، وهو أديب عربي من مصر، عن رحلته إلى الهند في كتابه "رحلات في بلاد الهند". تناول في هذا الكتاب جوانب متنوعة من الحياة الهندية، بما في ذلك الثقافة، الدين، والتقاليد المحلية. هذا الكتاب يعكس اهتمام العرب في تلك الفترة بفهم التعددية الثقافية والدينية في الهند.

3. التبادل الدبلوماسي والسياسي:

خلال فترة الاستعمار البريطاني، كانت الهند جزءًا من الإمبراطورية البريطانية، وهذا جعل العديد من الرحلات العربية إلى الهند تتخذ طابعًا دبلوماسيًا. الدول العربية المستقلة حديثًا، مثل السعودية والعراق ومصر، أرسلت مبعوثين إلى الهند لتوطيد العلاقات

الدبلوماسية، خصوصًا بعد استقلال الهند في عام 1947.

4. الرحلات العلمية والطبية:

في القرن العشرين، كانت الهند مركزًا مهمًا للتعليم الطبي والعلمي، وقام العديد من الطلاب العرب بالسفر إلى الهند لدراسة الطب والهندسة والعلوم. الهند كانت تُعتبر وجهة تعليمية مهمة للعديد من الطلاب العرب الذين سعوا للاستفادة من نظام التعليم المتقدم الذي أسسه البريطانيون هناك.

5. الرحلات الأدبية والكتابات الصحفية:

مع بداية القرن العشرين، شهدت الصحافة العربية اهتمامًا متزايدًا بالهند، وتم إرسال العديد من الصحفيين والمثقفين العرب إلى الهند لكتابة تقارير عن الوضع الاجتماعي والسياسي هناك. هذه التقارير ساهمت في تشكيل فهم العالم العربي للهند كدولة حديثة متطورة تسعى إلى التحرر من الاستعمار. العديد من الأدباء والصحفيين الذين زاروا الهند كتبوا عن تأثير الثقافة الهندية في الأدب والفكر العربي، مما ساهم في تعزيز الروابط الثقافية بين المنطقتين.

وهكذا كانت الرحلات العربية إلى الهند في الماضي عامة وفي القرنين التاسع عشر والعشرين خاصة غنية ومتنوعة، وشملت جوانب التجارة، والتعليم، الدين، والثقافة. وإن هذه الرحلات ساهمت مساهمة كبيرة في تعزيز العلاقات بين العالم العربي والهند، وأثرت على التطورات الفكرية والثقافية في كلا الجانبين.

***

البروفيسور حبيب الله خان*

الرحلات العربية إلى الهند في القرنين التاسع عشر والعشرين بالإشارة الخاصة إلى رحلة المطران مار أثناسيوس أغناطيوس نوري إلى الهند

بدايةً، يُسعدني ويُشرّفني أن أقدّم أخلص التهاني وأزكاها إلى سعادة البروفيسور سيد عليم أشرف الجائسي رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، وزملائه الأفاضل في القسم، على إقامة الندوة الوطنية بعنوان "الرحلات العربية إلى الهند في القرنين التاسع عشر والعشرين: التصوير الفني والتفهم الثقافي". وما من شكٍّ في أن هذا الموضوع مع عناوينه الفرعية، يفتح أمام الباحثين والباحثات من الأساتذة، آفاقاً واسعةً للبحث والاستكشاف والتنقيب في هذا التراث العلمي القديم، الذي يُعدّ من أهم مصادر المعرفة الإنسانية، التي يكتسبها الرحّالة مباشرةً مما يشاهده من أحداث وأمور أثناء زيارته لأي بلدٍ واحتكاكه مع سكّانه. وتشمل هذه المعرفة الإنسانية معلومات جغرافية وطوبوغرافية وتاريخية واجتماعية واقتصادية وثقافية وتقاليد السكّان وأعرافهم وعاداتهم وأعيادهم وما إلى ذلك، لأن الرحالة يجمع هذه المعلومات والحقائق من مشاهداته المباشرة.

ويقول الدكتور شوقي ضيف، في هذا الصدد، في كتابه "الرحلات"، إن

* قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الملية الإسلامية، دلهي.

"الإنسان وُلد راحلاً، وإن أعجزته الرحلة، تخيّل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال، ونجد ذلك مبثوثاً في الأساطير الأولى، كما نجده ماثلاً في الحروب والفتوح القديمة" ([1]). إن دلّ هذا الكلام على شيء فإنه يدلّ على أن الإنسان منذ ظهوره على سطح هذه الأرض يرتحل من مكانٍ إلى آخر، وقصة رحلته المستمرّة ظلت شفهية قروناً طويلة من الزمن إلى أن اخترع الإنسان فن الكتابة قبل حوالي أربعة آلاف سنة. ولعلّ اسم أول رحّالة سجّله التاريخ هو أبو البشر جدّنا آدم عليه السلام الذي هبط في سريلانكا، وقطع مسافة كبيرة ليصل إلى ميدان عرفة ليلتقى بزوجته حواء عليها السلام، وردت هذه القصة بالتفصيل في كتاب "سبحة المرجان في آثار هندوستان" للعلامة غلام علي آزاد البلغرامي.

تُفيدنا كتب التاريخ أن الثورة الفكرية أو المعرفية في تاريخ البشرية حدثت قبل حوالي سبعين ألف سنة، ونجح الإنسان في تطوير لغة التواصل مع أبناء جنسه قبل حوالي ثلاثة عشر ألف سنة فقط، وتعلّم الزراعة قبل حوالي اثني عشر ألف سنة، ولكن التاريخ الإنساني الذي نعرفه في الوقت الحاضر لا يتجاوز عمره خمسة آلاف سنة، أي أن البشرية قضت معظم عصورها في جهلٍ وأميّةٍ وشحٍ معلوماتي فاضح، بعبارة أخرى أننا لا نعرف أي شيء عن الأنشطة التي مارسها الإنسان في عصورها البدائية، ناهيك عن تدوين قصة رحلاته من مكان لآخر، ولذا يُقال إن الإنسان البدائي سجّل رحلاته على جدران الكهوف والمعابد من خلال الرسوم والرموز، ونجد ذكرها في الأساطير البدائية.

واليوم عندما نهمّ أن ندرس أو نعمّق في هذا الموضوع يتبادر إلى أذهاننا عددٌ من الأسئلة التي تتعلق بأهمية الرحلات وتعريفها وتاريخها، فبهذا الصدد

([1]) – الدكتور شوقي ضيف، **الرحلات**، الطبعة الرابعة، دار المعارف 1119، كورنيش النيل، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ، عام 1956م، ص 8.

يقول الدكتور محمد أحمد السويدي إن **"أدب الرحلة يشكّل ثروةً معرفيةً كبيرةً، ومخزناً للقصص والظواهر والأفكار، فضلاً عن كونه مادة سرديّة مشوّقة تحتوي على الطريف والغريب والمُدهش مما التقطته عيونٌ تتجوّل وأنفسٌ تنفعل بما ترى، ووعيٌ يلِمُّ بالأشياء ويحلّلها ويراقب الظواهرَ ويتفكر بها" ([2]).**

وقد لا يكون من الخطأ إذا قلتُ إن أدب الرحلة لم ينل ما يستحقه من اهتمام الباحثين، لأننا ما نقرأ في كتب التاريخ عن كتب الرحلات فهو غيضٌ من فيضٍ، ولا يُنصِفُ معها. أذكر على سبيل المثال أن معرفتنا في هذا المجال تقتصر على ما يذكره الدكتور شوقي ضيف في كتابه "الرحلات"، حيث يقول: إن "أكبر رحالة عرفه الإغريق (هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد 485-425 ق.م) والذي زار مصر وقبرص وفينقيا وآشور وإيران إلخ...."،([3]) ثم يذكر في سياق الهند "وفي ثبت الرحلات العربية تبرز رحلات بحرية، رُويت عن التجار والملاحين وهواة البحار. وهي تبدأ عند العرب بمغامرات تاجر يُسمى سليمان، قذف بنفسه في لُجج المحيط الهندي والهادي" ([4]). يُعد سليمان التاجر أول رحالة عربي عراقي يزور الهند والصين لأغراض تجارية في القرن التاسع الميلادي، ويكتب عن رحلته في سنة 851م، ويشير إلى وجود الشاي في الصين. وتتضمن رحلته كثيراً من المعلومات عن البحار وحيواناتها وأسماكها وأصدافها والأقوام التي سكنت

([2]) - محمد أحمد السويدي، **استهلال**، مارأثناسيوس أغناطيوس نوري، *رحلة إلى الهند (1899-1900)*، الطبعة الأولى، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ص.ب : 44480، الإمارات العربية المتحدة، عام 2003، ص 9.

(3) - الدكتور شوقي ضيف، الرحلات، الطبعة الرابعة، دار المعارف 1119، كورنيش النيل، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ، عام 1956م، ص 8.

(4) - الدكتور شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف 1119، كورنيش النيل، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الرابعة، عام 1956م، ص 5

على شواطئها، فقد صاغها بأسلوب قَصَصي بديع، يؤكد الواقع أحياناً، ويُنشئ لنا عوالم خيالية أحياناً أُخرى. وفي هذا السياق إنه يذكر أسماء الرحّالين المشهورين، وكتبهم القيّمة أمثال سلّام الترجمان، واليعقوبي، وابن رُستة، وابن حوقل، والمسعودي، وبزرك بن شهريار، والمقدِسِي، والبيروني، والإدريسي، والشهرستاني، وابن جبير، وابن الوردي، وابن خلدون، وابن بطوطه، وغيرهم من الرحّالين العرب الذين جابوا مختلف أصقاع العالم ودوّنوا مشاهداتهم وملاحظاتهم في كتبهم القيّمة التي نالت شرف القبول في العالم بأجمعه.

وبهذا التمهيد البسيط أود أن أعود إلى **موضوع الندوة** وأقول إن السلسلة لوضع كتب الرحلات التي بدأت في القرن التاسع الميلادي لا تزال تستمرّ إلى يومنا هذا، ونجد أن عدداً وجيهاً من السيّاح العرب زاروا الهند في القرنين التاسع عشر والعشرين، فقد ذكر البروفيسور محمد إقبال حسين الندوي من جامعة اللغة الإنكليزية واللغات الأجنبية، بحيدر آباد في مقاله القيّم حول الموضوع أسماء عشرين سائحاً عربياً زاروا الهند في القرنين الماضين. ومن يريد أن يتعمّق في هذا الموضوع، فعليه أن يراجع موسوعة الرحلات الهندية من تحرير وتوثيق محمد سعيد الطريحي الكاتب والباحث والرحالة العراقي الذي أسس دائرةَ المعارفِ الهنديَّة في مومباي عام1985م. وأصدرَ باسمِها عشراتِ الكتبِ والأبحاثِ عن الأمَّة الهنديَّة وتراثِها الحضاريّ. تتألّف هذه الموسوعة من 8 مجلدات ضخمة، ويصل إجمالي عدد صفحاتها 6666 صفحة. وجدت فيها حوالي أربعين سائحاً عربياً زاروا الهند خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ودوّنوا ملاحظاتهم في كتبهم القيّمة التي يأتي ذكرها فيما يلي:

1. رحلة إلى الهند سنة 1863م، للمطران مار قولس بولس دانيال الباخديدي.

2. مشاهدات عالي بك في الهند خلال سنة 1883 إلى1896م.
3. من بيروت إلى الهند عام 1896م، للأب لويس شيخو اليسوعي.
4. رحلة إلى الهند، للمطران مار أثناسيوس أغناطيوس نوري (1899/9/29-1900/5/24م)
5. رحلة الشيخ محمد رشيد رضا (المصري) إلى الهند سنة 1913م.
6. سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير، للأمير يوسف كمال.
7. رحلة الشيخ عبد العزيز الثعالبي(التونسي) إلى الهند سنة 1923-1937م، الذي زار مصر وسورية والعراق والحجاز والهند وأندونيسيا وغيرها من البلدان.
8. الرحلة الأعسمية إلى الديار الهندية سنة 1924م، لعبد المحسن الأعسم النجفي.
9. عالمان مغاربيان في شبه القارة الهندية الثعالبي والإبراهيمي، لأبي القاسم سعد الله.
10. رحلة الهند، لفتح الله بن عبد المسيح الأنطاكي سنة 1932م.
11. رحلة مار أغناطيوس يعقوب الثالث إلى الهند سنة 1933م، للربان صليبا شمعون إسحق
12. البعثة الأزهرية إلى الديار الهندية سنة 1936م.
13. مشاهدات عبد الوهاب عزام في الهند سنة 1947م.
14. مشاهدات محمد ثابت في الهند في الخمسينات.
15. درسٌ في مومباي سنة 1953م، لمحمد فريد أبو حديد.
16. رسائل من الهند، لناجي جواد ساعاتي سنة 1957م.
17. ذكريات في الهند عام 1957-1959م، للسفير حليم سعيد أبو عز الدين.
18. رحلة إلى الهند سنة 1960م، لصالح محمد جمال.

19. رحلة الأميني إلى الديار الهندية سنة 1960م، (دونها نجله الشيخ رضا الأميني)
20. رحلة إلى الهند عام 1975م، للدكتورة نوال السعداوي.
21. رحلة في كشف معتقدات الهنود القدامى، لشرف الزمان طاهر المروزي.
22. من مشاهدات محمد المجذوب في الهند سنة 1980م.
23. رحلتي إلى الهند (1983/11/8م-1983/12/7م)، للدكتور جودت القزويني.
24. راجستان : بلاد الملوك، للشيخ محمد ناصر العبودي (من سلسلة الرحلات الهندية)
25. في وسط الهند، للشيخ محمد ناصر العبودي (من سلسلة الرحلات الهندية التي تشمل مادهيا براديش والمدراس)
26. في شرق الهند، للشيخ محمد ناصر العبودي (من سلسلة الرحلات الهندية التي تشمل أوريسا وبنغال الغربية)
27. الشمال الشرقي من الهند، للشيخ محمد ناصر العبودي (من سلسلة الرحلات الهندية التي تشمل ولاية بيهار ومدينة بنارس من ولاية أترابراديش)
28. نظرات في شمالي الهند، وهو في جزئين، للشيخ محمد ناصر العبودي (من سلسلة الرحلات الهندية التي تشمل دلهي، وآغرا، ولكناؤ، وندوة العلماء)
29. سياحة في كشمير، للشيخ محمد ناصر العبودي (من سلسلة الرحلات الهندية)
30. في جنوب الهند، للشيخ محمد ناصر العبودي (من سلسلة الرحلات الهندية التي تشمل كرناتك، وتاميل نادو، وآندرابراديش)

31. في غرب الهند، للشيخ محمد ناصر العبودي (من سلسلة الرحلات الهندية التي تشمل المناطق الغربية من الهند)
32. بهجة الزمن في الرحلة إلى حيدر آباد الدكن، لمحمد سعيد الطريحي
33. لمعات النور في الرحلة إلى بنغلور وسلطنة ميسور، لمحمد سعيد الطريحي
34. حكايات وحوارات من بلاد البهارات (قراءة ومختارات من رحلة أنيس منصور إلى الهند)، لمحمد سعيد الطريحي.
35. رياض المسرات في محاسن كجرات، لمحمد سعيد الطريحي.
36. رحلة سيدي رَيّس أمير البحرية العثماني إلى الهند، لمحمد سعيد الطريحي.
37. مباسم الأزهار في معالم المليبار، لمحمد سعيد الطريحي.
38. رحلة في عالم الديانة الجينية الهندية، لمحمد سعيد الطريحي.
39. العودة إلى بلاد الهند.. وعودة الهند إلى جذورها (من ذكريات الدبلوماسية العراقية سهي الطريحي).

تمثّل الكتب المذكورة أعلاه غيضاً من فيضٍ، ولا تحيط سائر الكتب التي دبّجتها أقلام السيّاح العرب الذين زاروا شبه القارة الهندية على مرّ الزمان، حسبما يقول الشاعر الهندي:

سب کہاں کچھ لاله و گل میں نمایاں ہوگئیں
خاک میں کیا صورتیں ہوں گی جو پنہاں ہوگئیں

ومن هنا، يطيب لي أن ألقي الضوء على الجزء الثاني من العنوان ألا هو كتاب **"رحلة إلى الهند 1899-1900"**، للمطران مار أثناسيوس أغناطيوس نوري، الذي اخترته لدراستي من بين كتب الرحلات المذكورة أعلاه. إن مؤلف هذا الكتاب هو سوري الأصل الذي نشأ وترعرع في مدن الشمال السوري والعراقي: دير الزور، القامشلي، حلب، الموصل، قبل أن يتولّى

منصب رئيس أساقفة بغداد. وفيما يخصّ بالكتاب فإنه أحد إصدارات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، التي اعتزمت على إصدار سلسلة من الرحلات العربية التي قد يصل عددها إلى مئة كتاب. وإن أحد أهداف هذه السلسلة من كتب الرحلات العربية إلى العالم، هو الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكَّلَ عن طريق الرحلة، والأفكار التي تسرّبت عبر سطور الرَّحالة، والانتباهات التي ميّزت نظرتهم إلى الدول والناس والأفكار. يحتوي هذا الكتاب على معلومات قيّمة جمعها المطران من مشاهداته عن أحوال الناس وطقوسهم وعاداتهم، ومن لقاءاته مع شخصيات دينية وسياسية وأدبية بارزة، من أمثال الملك فيصل سلطان عمان الذي استقبله في قصره بمسقط، والشاعر رابندر ناث طاغور الذي دعاه إلى بيته في كولكاتا، وممثل ملكة بريطانيا في الهند اللورد كورزون الذي استقبله في مبنى الحكومة في مومباي وما إلى ذلك ([5]).

خرج المطران مار أثناسيوس أغناطيوس نوري في هذه الرحلة مع المترجم الإنكليزي جورج بليني، الذي وُلد في بغداد وكان يُجيد اللغات العربية والإنكليزية والهندية، في 29 سبتمبر عام 1899م، بهدف "بيع وقف لكنيسته هو عبارة عن دارين لفقراء أبرشيته في الهند، وجمع تبرعات لبناء مدرسة عالية في بغداد" ([6]). وقام بهذه الرحلة بناءً على توصية رئيس مجمع الإيمان (البروبغندا) في روما، ولكنّه اضطر إلى دفع رشوة كبيرة إلى المتنفّذين المحيطين بالسلطان عبد الحميد الثاني لاستصدار الموافقة على السفر، لأن السلطان كان قد منع رعاياه من السفر خارج البلاد دون إذنه. وبعد استكمال إجراءات السفر، انطلق من بغداد في طريقه إلى الهند، فمرّ

([5]) - للتفصيل راجع مار أثناسيوس أغناطيوس نوري، **رحلة إلى الهند (1899-1900)**، الطبعة الأولى، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ص.ب: 44480، الإمارات العربية المتحدة، عام 2003، ص 11.

(6) - المرجع السابق، ص 15

بالعمارة، والكوت، وإيوان كسرى، وأرض المدائن، والقرنة، والبصرة، وأبو شهر، وجزيرة البحرين، وبندر عباس، ومسقط، وكوادر، وكراتشي، واستغرقه 21 يوماً في الوصول إلى مومباي في 19 أكتوبر عام 1899م. وبما أن هذه الرحلة تمّت بواسطة نقل نهرية وبحرية، كانت شاقة جداً، وكان المطران نوري يدوّن يومياته بانتظام، ويذكر فيها وقائع رحلته ومشاهداته وملاحظاته ولقاءاته وتعاملاته مع الناس، أذكر منها على سبيل المثال أن السفر آنذاك من بغداد إلى البصرة استغرق ستة أيام، ومنها إلى مومباي اثني عشر يوماً.

وصل المطران نوري إلى مومباي، في 19 أكتوبر عام 1899م، وقضى فيها نحو شهر والنصف، وزار خلالها معظم معالم المدينة، ومنها "دار القراءة التي أنشأها التاجر العراقي الكبير داود ساسون البغدادي المثري، الذي تُوفي سنة 1862م، وقد نصب له تمثال في الساحة العمومية أمام المتحف وهو بالخام الأبيض يمثله بالزي البغدادي، أي الطربوش والجبة والرداء والمداس" ([7]). كما زار المتحف الوطني المؤلّف من طبقتين، بديع المنظر والهندسة وقد نقشت جدرانه بأجمل النقوش، وقد شُيّد على نفقة داود ساسون المار ذكره. والتقى في مدينة مومباي بشخصيات سياسية ودينية وثقافية بارزة منها وكيل القنصل العثماني السيد حسني بك الذي أحاطه برعايته الكريمة، والسيد دولف رئيس أساقفة مومباي، ومدير مدرسة سنت مري الأب اليسوعي الذي لم تعجبه أخلاقه ويكتب عنه "ولما ولجنا المدرسة بعثنا بطاقة الزيارة فجاء كاهن وسلّم علينا فرددنا عليه السلام فلم يفُه بكلمةٍ، بل قال: تفضّلوا. وأخذ يرينا مساكن المدرسة كلّها، ثم رجعنا إلى ردهة الاستقبال. فلم يقل لنا: استريحوا. ولا قدّم لنا كأس ماء بارد. فتركناه وعدنا إلى فندقنا، وقد أخذ العجب منا مأخذه لهذا البون الشاسع

([7]) - المرجع السابق، ص 52

بين استقبال العرب لضيفهم وبين استقبال الفرنجة له!" ([8]). وفي سياق الأعياد والاحتفالات يكتب "وفي اليوم الثاني من شهر نوفمبر كان رأس السنة عند الهنود الوثنيين وهم يحتفلون به ثلاثة أيام، وفيها يبدّلون آلهتهم فيطرحون العتيقة منهم في البحر ويتخذون أصناما غيرها جديدة. ويجدّدون، أيضاً، دفاترهم التجارية، ويزيّنون حوانيتهم ودورهم لاسيّما ليلاً؛ فيوقدون ألوفاً من المصابيح والشموع وينشرون إعلانات جديدة عن بضاعتهم، ويجول المطربون في الشوارع والأزقة يعزفون على آلاتهم. وفي هذه الأيام الثلاثة تعطل المعاملات الرسمية في الحكومة والمصارف لأن العيد معروف رسميّاً عند الحكومة" ([9]). وعلى ما يبدو أن المطران نوري كان مرتاحاً في مدينة مومباي ويصفها قائلاً: "إن بمباي أجمل مدينة في الهند وأكثرها سكّاناً بعد كلكتا، وتُسمّى عروس الهند، وأرقى شعب في هذه المدينة هو الشعب الفارسي الأصل ويُسمّى فرسو" ([10]). واختصاراً أقول إن القارئ يجد في ملاحظات المطران نوري معلومات شيّقة أمثال تواجد عدد من أبناء جنسه في مومباي، ولقاءاته مع عدد من الدبلوماسيين، وزيارته لعدد من المعالم التاريخية والمتنزهات السياحية، ونظام إدارة المدينة وتعداد سكّانها، ومبانيها، وشوارعها، ومتاجرها، ووسائط النقل فيها، وشيوع الطاعون فيها، وجهود الحكومة لمكافحته، وما إلى ذلك.

سافر المطران نوري من مومباي إلى مدينة بونا، فوصلها في 6 ديسمبر عام 1899م، ولم يمكث فيها غير بضعة أيام ويكتب عنها "بونا مدينة كبيرة يبلغ عدد سكانها نحو 250 ألفاً، وشوارعها واسعة عريضة. يقصدها المثرون من بمباي وغيرها لقضاء فصل الصيف، على أن الطاعون قد فتك فيها فتكاً

(8) - المرجع السابق، ص52

(9) - المرجع السابق، ص 53

(10) - المرجع السابق، ص 54

ذريعاً، فاضطر كثيرون أن يهجروها" ([11]).

ومنها سافر المطران نوري إلى حيدر آباد فنزلها في 8 نوفمبر عام 1899م، وقضى فيها نحو شهر، وزار فيه الدار الأسقفية، والمقابر، ودار سكّ العملة، والبستان العمومي، والمدرسة الملكية، والكلية الملكية، والقلعة وقبور السلاطين، والتقي بالمعتمد الإنكليزي السير توفيل ججلي بلاودن، وأسقف المدينة بطرس فيكانو، والسيد علي البلغرامي، والنواب خورشيد جاه، ورئيس الوزراء النواب محمد فضل الدين خان إسكندر جنغ، ومدير الكلية الملكية، كما حظي بضيافة أسقف المدينة بطرس فيكانو، والدكتور نيدو وغيرهم من الشخصيات البارزة. وعندما وصل إلى حيدر آباد كان مصاباً بالحمّى، فذهب مباشرة إلى فندقه، حيث أخبره ترجمانه جورج بليني أن تاجراً عراقياً يُدعى المستر جاكوب أيضاً يُقيم في نفس الفندق، فوجد المطران نوري فرصة سانحة أن يقابله ويطلب منه العون في إنشاء مدرسة عالية في بغداد. وكان من عادته أن يدوّن في يوميّاته ملاحظات دقيقة عن جميع المعالم التي يزورها والشخصيات التي يلتقي بها. فأقدّم إليكم نموذجاً منها فيما يلي:

لقاء مع المستر جاكوب:

"وعند الصباح خرجت من حجرتي وذهبت إلى ردهة الاستقبال، رغم ضعفي الشديد، واستدعيتُ المستر جاكوب الذي هو ملكون بن يعقوب الصابونجي الماريديني شقيق القس لويس صابونجي الشهير، الذي كان قد أصبح من كبار الأغنياء، ويقال إن ثروته تبلغ ستة ملايين ليرة إنكليزية. بعد التحية أظهرتُ له أن جلّ غايتي من هذه الرحلة أن أشاهده وأطلب مساعدته لتشييد مدرسة، فأخذ يشكو دهره ويندب حظه لأنه خسر خسارة جسيمة

([11]) - المرجع السابق، ص56

في دعوى أقامها على ملك حيدر آباد نظام الملك، تُقدر بستين ألف ليرة إنكليزية، فاعتذر إذن لأن الحال لا تمكنّه من مساعدتي بشيء، على أنه وعدني خيراً، إذا نال أمنيته عند مقابلة نظام الملك، فخابت أمانينا من هذا الرجل" ([12]).

لقاء مع السيد علي بلكرامي:

" وفي اليوم الخامس عشر من شهر نوفمبر زرتُ ناظر المالية السيد علي بلكرامي الرجل الشهير بمعارفه في الهند، وهو متضلع من اللغات، السنسكريتية، والفارسية، واللاتينية، والعربية، والفرنسية، والتركية والهندية، والإنكليزية، وقد منحته الدولة الإنكليزية لقب (شمس العلماء).

وقد أرسله في هذه السنة نظام الملك موفداً من قبله إلى مؤتمر المستشرقين الذي التأم في روما، وفي قصره مكتبة نفيسة تحوي ألوفاً من المجلدات المطبوعة والخطيّة، وقد ترجم من الفرنسية إلى الأردوية-إحدى لغات الهند- كتاب آداب العرب. وقد درس اللغة اللاتينية على القس لويس صابونجي أخي ملكون المار ذكره وذلك في مدينة لوندرة، وهو رجل لطيف المعشر لم يتجاوز الخمسين من عمره" ([13]).

لقاء مع النواب خورشيد جاه:

"إني لما برحت بمباي أعطاني القنصل الشاهبندر العثماني كتاب توصية إلى النواب خورشيد جاه ليساعدني. وقد أعطاني السر بلاودن أيضاً كتاباً للنواب المشار إليه يُعرّفه بي. ففي عشرين من تشرين الثاني كتبت رسالة إلى كاتب أسراره وطلبت منه أن يخابر الوزير ليعين لي موعداً أقابله فيه. فأتاني الجواب في 22 منه معيّناً النهار ذاته في الساعة العاشرة والنصف فرنجية

([12]) - المرجع السابق، ص57

([13]) - المرجع السابق، ص 59.

صباحاً. فركبتُ عربة وقصدت داره، فإذا بمداخلها دهليز مظلم يحتاج المرء إلى عشرة مصابيح ليرى طريقه فيه، ومن هذا المدخل عرفت أن الرجل لا يزال بعد على الخشونة والهندية العتيقة، وإن كان وزيراً. فاستقبلني أحد رجاله وأدخلني حجرة أشبه بالقبور منها بمساكن الأحياء، وبعد هنيهة دعيتُ لمقابلة الوزير فدخلت عليه وسلّمت فردّ السلام. وقال: من أين أتيت وما قصدك من زيارة هذه البلاد؟

فقلتُ: أتيتُ من بغداد قاصداً أولي الأيدي البيضاء ليمدّوا إليّ يد المساعدة لإنشاء مدرسة في بغداد.

ثم سلّمت الرسالتين فقرأهما الكاتب وترجمها له، فهزّ برأسه الفارغ، وأخذ يكرّر عليّ السؤالات مستفسراً عمّا بقي من آثار الفرس في بغداد ولا سيّما إيوان كسرى، فأجبته على أسئلته كلّها، ثم كرّرتُ عليه طلبي السابق علّه يُسعفني بمبلغ من المال لأجل تشييد المدرسة. فقال: سأرد عليك الجواب فيما بعد.

ثم أشار على أحد الخدّام، فأتي بوعاء عليه أربع حناجير (شيش) طول الحنجور عشر سنتيمترات بثخن الإصبع، ممتلئة عطراً (نوع من الدهون الطيّب الرائحة)، فأهداني إيّاها. فتناولتها شاكراً. إلا أني خرجتُ بخفّي حنين. والوزير رجل قد تجاوز الستين من عمره لا يعرف سوى الهندية، وهو من الأغنياء الكبار إلا أنه أحرص من أشعب"([14]).

ضيافة الدكتور نيدو:

في اليوم الـ 29 من التشرين الثاني جاءنا الشاب الأديب نيدو وهو دكتور في الطب وصهر الدكتور أكورنات، فدعانا أن نتعشّى في بيته في 30 منه، فلبّينا دعوته شاكرين. وفي اليوم المعيّن الساعة السابعة والنصف فرنجية مساءً

([14]) - المرجع السابق، ص 60.

بعث إلينا عربته، نقلتنا إلى داره، فاستقبلنا هو وامرأته وأبوها وأخوها أحسن استقبال، وقد أبدت المرأة فرحاً وشكراً لقبولنا دعوتهم، وكان أكثر الحديث علميّاً تاريخيّاً وسياسيّاً. وبعد قليل من الزمن جلسنا على المائدة فإذا هي من أفخر الموائد، وقد قدّموا لنا العنبة الطرية (منكة) وهي ألذّ فواكه الهند ولم يكن أوانها.

والذي أعجبنا للغاية حديث المرأة وذكاؤها ورقّتها وإلمامها بالتاريخ الشرقي. فلمّا ذكرت الأمكنة الشهيرة من الشرق كتدمر وبعلبك وبابل أخذت تشرح عظمة هذه البلاد ومجدها السالف كأنها قد شاهدتها عياناً. وهي امرأة في العشرين من عمرها تلقّت مبادئ العلم في الهند. ثم أتمت دروسها العالية في لندن. وقد تجولت في معظم مدن أوربا، وتمنت كثيراً أن ترى بلاد تركيا. وقد علمتُ أنها تنظم الشعر باللغة الإنكليزية، وقد ترجم أخيراً شيء منه إلى اللغة الفرنسية.

بعد العشاء قصدنا ردهة الضيوف، فقدّم للحاضرين ورق التنبول الهندي، وهم يمزجونه بالفلفل ونوع من الطيب مبلول بالنورة، فتناول كل منّا ورقةً وأخذ يمضغها ويمتصّها. وقد قيل لنا أن ذلك يسهل الهضم، وينظف الأسنان، ويذهب بروائح الفم ويعطّره.

ثم قدّمت لنا مس نيدو طاسة فضية من شغل الهند، عليها صورة كرشنا أحد آلهة تلك البلاد، وأتت بابنها الطفل وطلبت منّا أن نصلّي عليه ونباركه، ثم أهدتنا وردة من عظم منقوش، وقالت إن هذه الوردة وجدتُ مع عسكري فرنسي ممن قُتلوا في حرب سنة 1870م" ([15]).

القلعة وقبور السلاطين:

إن المسلمين السنّيين يكرّمون الشيخ عبد القادر الكيلاني (جيلاني) كأحد

(15) - المرجع السابق، ص 65-66.

أولياء الله، وكل سنة يحج كثيرون منهم إلى قبره في بغداد. ومن غرائب ما نُقل إليّ أن أحد أفراد عائلة الشيخ عبد القادر الكيلاني، المعروفة والمشهورة في بغداد بعائلة نقيب الأشراف، جاء من بغداد إلى حيدر آباد سائحاً قبل بضع سنين، فاتفق فريق من المسلمين السنّيين في تلك المنطقة أن يقتلوه ويدفنوه في أرضهم، ليبقى قبره مزاراً للأمة فيستغنون حينئذ عن زيارة ضريح الشيخ عبد القادر المذكور في بغداد. فلما أحس الرجل بهذا التدبير الغريب فرّ قافلاً إلى بغداد، وقد رأى أن الحياة خير له من أن يكون وليّاً لهم يحجون إلى قبره وينذرون له النذور ([16]).

المكتبة الملكية:

"وزرنا المكتبة الملكية فرأينا فيها شيئاً كثيراً من دواوين عربية وفارسية وكتب دينية إسلامية مخطوطة ومثلها مطبوعة وشيء كثير من الإنكليزية. وأبواب هذه المكتبة مفتوحة ليلاً ونهاراً لمن شاء مطالعة الكتب أو الجرائد المحلية والأجنبية. وللمكتبة فهرست مطبوع أتحفنا به حارس المكتبة" ([17]).

حاول المطران نوري أثناء إقامته في حيدر آباد أن يقابل عاهل المملكة نظام الملك ويطلب منه العون لتأسيس مدرسة عالية في بغداد، ولكنه لم ينجح في الحصول على موعد اللقاء معه. وقرّر أن يغادر حيدر آباد قاصداً كولكاتا في اليوم السادس من ديسمبر عام 1899م، فركب القطار، وكان قد ركب معه في إحدى المحطات شاب لم يعرفه أولاً، ولكنه عندما شارك في حديثه بالعربية علم أنه طبيب سوري يعمل في الجيش الإنكليزي، وسرّ لهذا الاتفاق سروراً كبيراً. ووصل إلى كولكاتا بعد يومين في اليوم الثامن من شهر ديسمبر، ويصف مدينة كولكاتا "وكلكتا هذه هي عاصمة الهند الإنكليزية في

([16]) - المرجع السابق، ص 67-68.

(17) - المرجع السابق، 68-69

مقاطعة بنغال. يبلغ عدد سكّانها نحو مليون نسمة، وقد أنشئت سنة 1720م وفيها يسكن نائب ملكة بريطانيا، فبلغناها في الساعة العاشرة صباحاً، فكانت المسافة بينها وبين حيدر آباد 48 ساعة. فلو اضطررنا أن نقطع تلك الأقطار بالكروان، كما هي الحال في البلاد العثمانية، لاحتجنا إلى ثلاثة أشهر على الأقل. فرحم الله مكتشف البخار. فبفضله قد قربت المسافات، وخفت الأتعاب، وقلت النفقات، وزالت الأخطار، وتبدل وجه الأرض كلّها" ([18]).

قضى المطران نوري أربعة أشهر في مدينة كولكاتا، وزار خلالها معظم معالمها التاريخية وبالأخص الكنائس النصرانية والمعاهد التعليمية التابعة لها، ومتحف كولكاتا، والبستان العمومي، والمكتبة العمومية، والمتنزهات الواقعة على ضفة نهر الهوغلي. والتقى بعددٍ لا بأس به من الشخصيات البارزة، منهم اللورد كورزن نائب ملكة بريطانيا في الهند، وكبار أساقف الكنائس النصرانية، ورابندرا ناث طاغور، الذي أجرى معه حديثاً شيّقاً، ولكنه استقبح الصور الخلاعية المعلقة على جدران قصره. كما التقى بعددٍ من الأشخاص ذوي الأصول العربية منهم يهود بغداد الذين كانوا يقيمون في كولكاتا مثل داود عزرا، وإيليا عزرا. وحضر حفلة استقبال نائب ملكة بريطانيا اللورد كورزن في قصر الراجا دربانكا، وأعجبته هذه الحفلة أيّما إعجابٍ وذكر كلّ تفاصيلها في يومياته، كما ذكر قصة هجرة داود بن عزرا من بغداد إلى كولكاتا، وتجارته فيها، وقيامه بتشييد كنيس يهودي ومستشفى في كولكاتا. ووصف مشهد احتفالات عيد الفطر في كولكاتا، وزار المكتبة العمومية حيث التقي بمدرس اللغة العربية من بغداد وهو رزق الله آفندي بن فتح الله عزو البغدادي الكلداني، كما التقى فيها الدكتور الملفان المستر رنكي مدير المكتبة ورئيسها الذي كان يترجم كتاب المقدسي في

(18) - المرجع السابق، 69-70

الجغرافيا من العربية إلى الإنكليزية. وأذكر فيما يلي بعض نماذج لانطباعاته حول مدينة كولكاتا.

زيارة مهاراجا بنادور

"وفي 23 منه زرنا مهاراجا بنادور وهو أخو الراجا تاكور، فشاهدنا قصره أكثر زخرفة وعظمة من قصر أخيه. وقد دار الحديث بيننا على الاعتقاد بإله واحد. فرأينا الرجل على جانب عظيم من الجهل والغباوة. ومن رأيه أنه واجب على الإنسان أن يؤمن بكل من ادّعى الألوهية والنبوة والرسالة، أيّا كان مبدأه وأيّاً كانت سيرته، ليتشفع فيه في الآخرة إذا كان نبيّاً صادقاً أو رسولاً حقيقيّاً. ثم أخرج حرزاً معلقاً على صدره، وعليه أسماء علي وفاطمة إلخ... وأرانا إياه مفاخراً بذلك مع أنه لا يعتقد بشيء من مبادئ الدين الإسلامي. وبعد أن قضينا هذه الزيارة عدنا إلى محلنا وبعد بضعة أيام زارنا ابنه الكبير" ([19]).

زيارة مدرسة الراهبات

وعندما زار مدرسة البنات الفقيرات المعروفة بمدرسة أنتالي التي كانت تديرها الراهبات من أيرلندا البالغ عددهن 24 راهبة. وأما الأيتام واللقطاء من صبيان وبنات فيبلغون 450، ومنهم من لا يزال في سن الرضاعة. فإنه يقدّر خدماتهن ويكتب "والحقّ يُقال إن المرء لا يقدر أن يقدِّر قيمة فضل هؤلاء الراهبات اللواتي تركن أوطانهن وأعزاءهن فأتين هذه البلاد الغريبة حبّاً بالدين والإنسانية والثواب عند الله، فأدّين أعمالاً يعجز عنها المال وحده" ([20]).

حاول المطران نوري أثناء إقامته في كولكاتا بيع وقفٍ لأبرشيته. وبهذا الشأن

([19]) - المرجع السابق، 76-77

(20) - - المرجع السابق، 84

نشر إعلاناً في الجرائد بأنه يريد بيع حصّة كنيسته في الوقف، فجاءه سمسار بالمشتري الهندي الوثني الذي اتفق مع المطران على القيمة قدرها 48 ألف روبية، أي 3200 ليرة إنكليزية ذهبية. فشكر الله على هذا التوفيق. وأخذ يستعدّ لإبرام الصفقة، وقبل نقل الملكية إلى اسم المشتري، واجهته مشكلة لم تكن في حسبانه، وقضت على جميع آماله وأحلامه. وهي أن المحامي الذي وكّله هذه المهمة قد عجز عن القيام بها. فأصابته خيبة أمل كبيرة، لأنه تحمّل مشاق السفر إلى هذه الديار النائية من أجل هذا الغرض فقط. فقرر المطران نوري أن يعود إلى بغداد بقلبٍ ملؤه الكآبة في اليوم الثامن من شهر أبريل عام 1990م، مودّعاً من تعرّف بهم مثل وردة الصابونجي، وعائلة إلياس بن يعقوب السائس، وإسكندر كمش، ورزق الله عزو، ونائب ورئيس أساقفة كولكاتا وغيرهم من المعارف والأصدقاء.

استغرقت هذه الرحلة سبعة أشهر وبضعة أيام، قضاها المطران نوري في ربوع الهند، وزار خلالها عدداً من المدن الهندية الرئيسة منها مومباي، وبونا، وحيدر آباد، وكولكاتا، وشوندار نغر، وشاهد فيها معالمها التاريخية والحضارية، والتقى بأبرز شخصياتها الدينية والثقافية والسياسية، وتعامل مع كافة شرائح المجتمع الهندي واطّلع على طبائعهم وعاداتهم وتقاليدهم، فتكوّنت لديه معرفة واسعة عن الهند وثقافتها وحضارتها ودياناتها وأنظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية التي جمعها في كتابه الشهير "رحلة إلى الهند 1899-1900م" بأسلوب علمي رصين.

***

البروفيسور سيد كفيل أحمد القاسمي*

ذكر الهند فى كتاب " رحلات عبد الوهاب عزام"

إن من فطرة الإنسان دائما يحب أن يرى ما حوله و يكتشف سرّه وغايته، وميله إلى الاستطلاع ورغبته فى السيطرة على العالم الخارجى يدفعه منذ أقدم الأزمنة إلى التنقل والرحلات، ولتحقيق هذا الغرض قد يذهب إلى الخارج ويقطع البحار، ويجاوز البلاد، و يزور غريب العباد ليستمد المزيد من المعارف من مشاهداته، ويلتقى بالثقافات المختلفة وجها لوجه بعد أن التقى بها فى متون الكتب، وليلمس بنفسه صورا من حياة الشعوب، ويرى ألوانا من الحضارات.

ثم يسجل من يسجل من هو لاء الرحالين مغامراتهم و مشاهداتهم خلال الأسفار و الرحلات، و يظهر هكذا صنف من أصناف الأدب سمّى " أدب الرحلة" ". إن المصريين كانت لهم منذ حوالى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد رحلات متعدده في عهد الأسرة السادسة بالبر والبحر وإلى بلاد بُنت (الساحل الصومال) ... وبعد المصريين جاء الشعب الفينيقى قائما على أمر الملاحة في البحار، فقام هذا الشعب برحلاته البحرية الخارقة التي استحوذ فيها على مرافئ بحر الروم وشواطئ أوربا الغربية، وخاض عباب المحيط الأطلسي واكتشف سواحل إفريقية الغربية ووصل إلى أميركه نفسها .... خلف الفينيقيين الإغريق فقاموا برحلاتهم في أقطار الأرض المعروفة وأنشأوا مستعمرات لهم فى سواحل آسية الصغرى وإيطالية .... ثم خلف اليونان والرومان وأصبحوا سادة الدنيا بعدهم .... وقد وصلنا من أنباء

* رئيس قسم اللغة العربية، وعميد كلية الآداب السابق، جامعة عليكره الإسلامية، عليكره، أترابرديش.

سفراتهم ورحلاتهم جملة من الروايات التي قصّها المؤرخون في كتبهم. وأشهر هذه الكتب "التعليقات ليوليوس قيصر" و "جرمانية" لتاسيت وغير ذلك. وجاء بعد الرومان العرب المسلمون الذين بسطوا فتوحاتهم في مشارق الأرض ومغاربها وكوّنوا لهم علائق تجارية مع الصين وبعض البقاع الروسية وبعض مجاهل افريقية ([1]).

ولو ألقينا النظر إلى أسباب الرحلات والأسفار في الفترات المذكورة وجدنا أنها كانت لأجل تحصيل العلم، ولكسب الخيرات، وللتجارة، والحصول على الرزق أو زيارة البلاد الأجنبية والمتعة النفسية. كذلك كثير من الكتاب والرحالين الذين زاروا الهند من الزمن القديم إلى العصر الراهن، فمعظمهم كتبوا عن الهند حسب تجرباتهم و مشاهدهم. نجد منذ التاسع عشر حتى اليوم فيض من أدب الرحلة، وأساطينه في القرن التاسع عشر رفاعة الطهطاوى، شهاب الدين الألوسي، محمد بيرم التونسى، إبراهيم النجار، محمد السنوسى، أحمد فارس الشدياق ، عبد الله فكرى، وعمر التونسى وغيرهم، وفي القرن العشرين محمد بن خوجه، محمد الخضر حسن، علي الورداني، محمد حسين هيكل، أمين الريحانى، طه حسين، مراد كامل، محمد تيمور، عبدالوهاب عزام، محمد بن ناصر العبودى، أمينة السعيد، حسين فوزى، محمد ثابت، ومحسن الأمين وسواهم من الكتاب الذين ألفوا عن رحلاتهم.

وعبد الوهاب محمد حسن عزام (1884 – 1959م) أحد أبرز المفكرين العرب في القرن العشرين، فقد كان أستاذا وأديبا و كاتبا و مفكرا وشاعرا ومترجما وسياسا، ولد فى إحدى قرى بمحافظة "الجيزة " بمصر عام 1884م لأسرة لها باع طويل ودور كبير فى الفكر والسياسة ومقاومة الاحتلال الإنجليزي. وكان والده الشيخ محمد حسن بك عزام عضوا بمجلس شورى

([1]) – راجع أدب الرحلات لأحمد أبو سعد، ص 7-11، طبع دار الشرق الجديد للبيروت، 1962م.

القوانين والجميعة التشريعية المصرية، ثم كان عضوا منتخبا بأول مجلس نيابى مصرى بعد دستور عام ١٩٢٣م كما كان عمه عبد الرحمن باشا عزام وزيرا للشئون الاجتماعية، ثم اختير أول رئيس لجامعة الدول العربية. وكان جده ناظراً "للجيزة" وداعما كبيرا للثورة العرابية. وعبد الوهاب عزام بعد أن حفظ القرآن الكريم التحق بالأزهر، ثم انتقل منه إلى مدرسة القضاء الشرعى التى تخرج فيها عام ١٩٢٠م مع رفاق دربه أحمد أمين وأمين الخولى، وكان الفرسان الثلاثة أوائل الخريجيين وكان ترتيبه بينهم الأول. إن عبد الوهاب عزام قضى حياة حافلة ومليئة بالأوليات. فهو أول دفعته بمدرسة القضاء الشرعى، وأول مصرى يدّرس اللغات الشرقية بجامعة عربية، وأول مدير لأول جامعة سعودية بالإضافة لأوليات أخرى عديدة. وبعد أن أنهى دراسته الأزهرية، عُيّن مدرسا في مدرسة القضاء الشرعي عام ١٩٢٠م ، وحصل على درجة الليسانس في الآداب والفلسفة من الجامعة المصرية عام ١٩٢٣م، فتمّ اختياره إماما ومستشارا للشئون الدينية بالسفارة المصرية بلندن. ففى المملكة المتحدة هاله ما يكتبه المستشرقون عن الإسلام والمسلمين فقرر أن يتبحر في الدراسات الشرقية والإسلامية. والتحق بمدرسة اللغات الشرقية بلندن، وحصل منها على الماجستير فى الأدب الفارسي في عام 1927م. وكان موضوعه "التصوف عند فريد الدين العطار".

عاد من لندن ليعمل مدرسا بكلية الآداب بجامعة القاهرة وحصل على الدكتوراه حول موضوع "شاه نامه للفردوسى" عام ١٩٣٢م. وكان يوم مناقشته "يوماً مشهودا من أيام الجامعة وعيدا من أعيادها" على حد تعبير الدكتور طه حسين، عميد الأدب العربى، ليأخذ بعد ذلك سلّم الترقى الجامعى حتى صار أستاذاً، ثم أصبح رئيسا لقسم اللغة العربية واللغات الشرقية، ثم عميدا لكليه الآداب عام ١٩٤٥م.

وجدير بالذكر أنه خلال حياته العملية كأستاذ بالجامعة انتدب عزام مرتين للتدريس بجامعة بغداد. واختير عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1949م، واختير أيضا بالمجمع العلمي بدمشق وبغداد وإيران كما حصل النيشان العلمي من حكومة إيران عام 1935م ووسام التفوق من الحكومة اللبنانية عام 1947م ، وبعد أن وصل الى ذروة عمله الجامعي، بدأ مشوارا جديدا في حياته السياسية حيث تم تعيينه سفيراً لمصر بالمملكة العربية السعودية 1947م، ثم سفيرا فى باكستان عام 1950م، ثم سفيرا مرة أخرى بالسعودية واليمن. ومدّ له الرئيس جمال عبد الناصر فترة خدمته عامين ليتقاعد 1956م، وبعدها رشحته المملكة العربية السعودية ليؤسس وليتراس جامعة الملك سعود (جامعة الرياض سابقا) ليظل يعمل بها مديرا للجامعة حتى توفى ١٨ يناير عام 1959م ودفن في مسجد بحلوان. و شارك عزام مع مجموعة من أعلام الفكر والأدب في تأسيس أول لجنة للتأليف والترجمة والنشر، وكان من أعلامها محمد أبو فريد أبو حديد، وأحمد عبد السلام الكردانى، و محمد عوض محمد، وأحمد أمين، وأمين الخولى وغير هم.

جمع عبد الوهاب عزام ثقافات العالم الناطق باللغة الإنجليزية والفرنسية، إلى جانب عوالم الفارسية والتركية والأردية فضلا عن تضلعه بالثقافة العربية التي قدم لقرائها عشرات المفكرين على رأسهم عاكف بك آرصوي التركي شاعر نشيد الاستقلال، وأسد الله خان غالب وشاعر شبه القارة الهندية محمد إقبال.

وقدم الأستاذ عزام في الساحة الفكرية العديد من المؤلفات: التصوف عند فريد الدين العطار، الأوابد، الشوارد، الصلات بين العرب والفرس وآدابهما، المثانى، المعتمد بن عباد، ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، مجالس السلطان الغوري، مهد العرب، موقع عكاظ، رحلات عبد الوهاب

عزام، محمد إقبال سيرته،وفلسفته وشعره. وقد ترجم فصولا من المثنوي لجلال الدين الرومي، وحقق كليلة و دمنة لابن المقفع مع طه حسين. استغرق عزام في الحدائق الإقبالية فترجم ديوان "پيام مشرق" أو ديوان الشرق كأول ترجمة منه لديوان كامل من شعر إقبال، وكان الشاعر العظيم قد كتب هذا الديوان ردا على "الديوان الغربي" للشاعر الفيلسوف الألماني غوته.

رحلات عبد الوهاب عزام:

طبع هذا الكتاب فى جزئين، فالجزء الأول أو الرحلات الأولى يستغرق 421 صفحة، والجزء الثاني أو الرحلات الثانية يستغرق 424 صفحة، نجد في الجزء الأول - الفصول التالية:

1- الفصل الأول بين القاهرة وحلب	2-الفصل الثاني بين القاهرة وبغداد
3 - الفصل الثالث بين القاهرة وطوس	4 - الفصل الرابع عودة إلى العراق
5- الفصل الخامس بين القاهرة واسطنبول	6- الفصل السادس في الحجاز
7 - الفصل السابع في أرجاء سينا	8- الفصل الثامن في المسجد الاقصى
9 - الفصل التاسع في الرملة البيضاء	

وكذلك "الرحلات الثانية" أو الجزء الثانى ينقسم على الأقسام الآتية بدلا عن الفصول. ففي القسم الأول نجد العناوين التالية:

- في جو السماء ص 1 – 11	- في عيد المعري ص 12 – 24
- في حماة ص 24 – 26	- في معرة أبي العلاء ص 26 – 29
- على قبر المعري ص 29 – 34	- في حلب ص 35 – 38
- حفلة المعري في حلب ص 38 – 47	- على الطريق في سورية ولبنان ص 48 –

	57

والقسم الثاني من هذا الكتاب يتعلق عن رحلته إلى الهند ويستغرق ١٣٠ صفحة، ويحتوى على الفصول الآتية:

- الفصل الأول من القاهرة إلى دهلي ص 59 - 64
- الفصل الثاني: المؤتمر الآسيوى ص 65 – 71
- الفصل الثالث : اليهود في المؤتمر الآسيوى ص 72 - 79
- الفصل الرابع: المسلمون والمؤتمر الآسيوى ص 80 - 87
- الفصل الخامس: غاندي في دهلي وفي المؤتمر ص 88 - 93
- الفصل السادس: مدينة دهلى و آثارها، وفي هذا الفصل نجد ذكر :

  ألف - مدينة دهلي (والكلام عن دهلي الجديدة ودهلي القديمة)

  ب - مسجد الجمعة والقلعة الحمراء

  ج - قطب منارة ومسجد قوة الإسلام

  د - ضريح همايوں

  هـ- نظام الدين أوليا وأمير خسرو

  و - مشاهد أخرى في دهلي ص 94 - 136
- الفصل السابع: مدينة آكرا، مزار آ كرا، قلعة آكرا، مزار اعتماد الدولة، شاه جهان و زوجه،ص 137- 158
- الفصل الثامن: تاج محل ص 159 - 171
- الفصل التاسع: مدينة لاهور - محمد اقبال، في دار محمد اقبال وعلى قبره، ص 172 - 187

و القسم الثالث من "رحلات عبد الوهاب عزام" يحتوى على أحد عشر فصلا على النمط الآتى:

- الفصل الأول: من مصر إلى الحجاز ص 189- 194
- الفصل الثاني : إلى مكة ص 195 - 196

- الفصل الثالث : في الرياض ص 197 - 234
- الفصل الرابع: من الرياض إلى مكة ص 244 - 263
- الفصل الخامس : حول مكة ص 264 - 272
- الفصل السادس: من جدة إلى المدينة ص 273 - 305
- الفصل السابع : الطائف ص 306 - 316
- الفصل الثامن : من جدة إلى الوجه فالمدينة من 317 - 362
- الفصل التاسع: فى غار ثور ص 355 - 362
- الفصل العاشر: من جدة إلى المدينة من طريق مهد الذهب ص 363 - 387
- الفصل الحادى عشر: عود إلى الرياض بالسيارات ص 388 - 401

نجد فى كتاب "رحلات عبد الوهاب عزام" دواعي مختلفة فكان معظم رحلاته للاطلاع على حالة الإسلام والمسلمين ومظاهرهم في بلاد العالم. زار شتى البلاد وسجل كل ما رأت عيناه و تأثر به قلبه . يبدأ ذكر رحلته إلى الهند بقوله: "كان السفر إلى الهند أمنية تطاول عليها الزمان وماطلت بها الأيام وكدت أظفر بها سنة 1939م إذ ندبتني جامعة فواد لتمثيلها فى مؤتمر المستشرقين، كان يقدر أن يجتمع في حيدرآباد صيف ذلك العام، ولكن الحرب العالمية التي ثارت حالت دون الأمنية". ومرة ثانية دعته الجامعة الملية الإسلامية إلى الاحتفال بها فى دلهى وجاءت الدعوة إلى جامعة فواد وبلغته دعوة خاصة، وجدها فرصة تغتنم ولكن الوقت كان ضيقا للتأهب لمثل هذه الرحلة فلم يتمكن له السفر مرة ثانية أيضا - ويذكر عن سفره المبين إلى الهند بقوله : " ثم جاءت الدعوة إلى مؤتمر العلاقات الآسيوية 1947م وانتهى الأمر إلى أن ندبتنى الحكومة لشهود المؤتمر رقيبا، وكان هذا الندب قبيل الموعد الذي ضرب للسفر على غير اختيار وإنما حددته مواعيد الطائرات، فلبيت على بعد الشقة، وهيبة الطريق وضيق الوقت

استجابة لما في النفس من تطلع إلى الهند وحرص على زيار تها"([2]).

بدأ سفره من القاهرة من مطار ألماظة يوم الثلاثاء الثامن عشر مارس بعد الظهر، ووصل كراتشي الساعة الثامنة ونصف مساء بتوقيت الهند، قضى الليل في فندق، ثم بدأ سفره إلى دلهي في اليوم التالي صباحاً. يصف فعاليات المؤتمر الآسيوى في ثمانية وعشرين صفحة، ويذكر عن غاندى وحضوره في المؤتمر مرتين. وهذا المؤتمر قد عقد في القلعة القديمة (پرانا قلعه) في اليوم الثالث والعشرين من مارس، ودام اجتماعه عشرة أيام. ثم سافر فى خامس نيسان 1947م من دلهى إلى آكره بالقطار وله عن تاج محل كلمات تستحق أن تقرأ. يقول بعد ذكر كلمات روبرت في كتابه "إحدى وعشرون سنة في الهند" لا اللفظ ولا الريشة، يستطيعان أن يوحيا لاوسع القراء خيالا أصغر الفكر، عن الجمال والصفاء في هذه الفكرة المجيدة" وإني أقول لمن لم يروه "اذهبوا إلى الهند، فالتاج وحده أهل لهذه الرحلة" ([3]).

والفصل التاسع من هذا الكتاب يحتوى على ذكر مدينة لاهور كما ذكرت آنفا. زار دار اقبال وعندما قام على قبره ألقى الأستاذ هناك كلمة طويلة عن إقبال، وفي خاتمة الخطاب يقول "كان من أمانى أن أزورك في حياتك، ثم تمنيت أزور ضريحك بعد مماتك! وها أنذا أشرف بأن ألقي أمامك هذه الكلمات وأودع ضريحك هذه الزهرات ... (فقد نظم الأبيات التالية في دلهي ونقشها على لوح من الرخام وحملها إلى لاهور ووضعها على قبر محمد إقبال:

عربي يهدي لروضك زهرا	ذا فخار بروضه واعتزاز
كلمات تضمنت كل معنى	من ديار الإسلام في إيجاز
بلسان القرآن خطت ففيها	نفحات التنزيل والإعجاز
فاقبلنها على ضآلة قدري	فهي في الحق "أرمغان الحجاز"

([2]) – رحلات عبد الوهاب عزام، الرحلات الثانية ص 59 - 60

([3]) – المرجع السابق ص 69.

لقد ضمنت آثارك الخلود في هذه الدنيا و عند الله جزاؤك في العقبي جزاء المجاهدين المخلصين ..." وهو يتأسف على أن ضيق الوقت لم يسمح له أن يذهب إلى مكان آخر، فيقول: "وكان الوقت أضيق لى أن يتسع للتجول في أرجاء الهند وإجابة دعوات لزيارة كلكتا بل ما هو أقرب منها مثل لكناؤ، ديوبند، وإله آباد ولكن حب مدينة واحدة كانت تدعو ولم يستطع ردها، هي مدينة لاهور، مدينة الشاعر الخالد محمد اقبال" ([4])، و كان ذلک قبل قيام باكستان بأربعة أشهر. وكما كان عزام صورة مشرفة لأمته طولا وعرضا كذلك كان صوتا صادقا أمينا في رحلاته العلمية المعمقة في ثنايا تراثها الضخم وبوابة حضارية مفتوحة على كافة العصور والعهود. ولعل الخصلة الكبرى والميزة العليا الشميلة الحسنى فيه هى تواضعه الجم وخلقه الرفيع وهدوؤه المكين. وقال عنه طه حسين "لم يكن عبد الوهاب عزام يكتفى بأن يكون مصريا عربيا، وإنما كان يريد - وقد حقق ما يريد - أن يكون عربيا إسلاميا، فأتقن العلم بأمور المسلمين جميعا قريبهم وبعيدهم وسار مسيرة المسلم الصادق في إسلامه والمخلص المتصوف في تصوفه". وقال عنه أحد أبرز تلامذته الدكتور زكى المحاسنى "ما كنت أحسب كاتبا على ضفاف النيل، تمثلت حياته خصائص العروبة والإسلام وطوالعها كما تمثلت في حياة عزام وفي جهاده، وكما تجلت في سلوكه وثقافته وفي رحلاته الإسلامية التي كانت وراء سعيه وتقواه" ([5]).

و ختاما أكتفى على ذكر ما كتبه الأستاذ أحمد حسن الزيات في تقديم كتابه الرحلات الثانية أو الجزء الثاني من رحلات عبد الوهاب عزام بقوله: رحل الأستاذ إلى أكثر البلاد العربية والإسلامية في عهدين مختلفين، عهد غلب فيه التأثر الأول والشعور البادر والنظر العجلان، وقد وعته (مثل

(4) – المرجع السابق، ص 158-186.

([5]) – منقول عن "الجزيرة" نيت.

الرحلات الأولى) وعهد غلب فيه الإدراك الكامل والاستيعاب الشامل والتحقيق الدقيق وضمنته (الرحلات الثانية) وهي التي نقدمها اليوم إلى القارى بهذه الكلمة الوجيزة، وغاية الرحلة في العهدين ومن رحلتين هي التعريف بأمصار العروبة وبلاد الإسلام ليكون التعريف سبيلا إلى التعارف وعونا على التآلف وتمهيداً للوحدة. وهذه الرحلات التي رحلها البحاثة الوصافة عزام إلى فلسطين، ثم إلى الشام، ثم إلى الهند ثم إلى الحجاز ونجد، صور من البيان وطرف من الأدب ودقائق من العلم و رقائق من الفن ينقلك سحرها بحواسك ومخيلتك إلى تلك الأماكن الموصوفة فتشاهد المناظر وترى الأشياء وتسمع الأشخاص، كأنك رحلت وحللت وصاحبت في النقل وساهمت في المآدب وشاركت في الحديث. وأن الإشعاع الذي ينبثق من روح الكاتب على سطور الكتاب يهدي روحك إلى روحه ويدل شعورك على شعوره، أنت وهو في الزهرو بماض مموق كله آمال بعث ونهضة" ([6]).

ويقول عزام في خاتمة مقدمة الكتاب" ومهما يكن فهذه الصفحات أعربت فيها عما رأيته وشعرت به في البلاد الإسلامية، أرجو أن تجدي فى التعريف بأحوال هذه البلاد، ثم أومل أن تكون عونا لناشئة الأدب على هذا الضرب من الكتابة الوصفية الذي همّ في حاجة إلى إتقانه – والله سبحانه أسال أن يرزقنا الإخلاص في الفكر والقول والعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل" ([7]).

***

([6]) – تقديم الرحلات الثانية، بقلم الأستاذ أحمد حسن الزيات، الطبعة الأولى، 1370هـ-1951م.

([7]) – مقدمة رحلات عبد الوهاب عزام.

الأستاذ البروفيسور سيد جهانغير*

سعادة الدكتور البروفيسور عبد الله القتم ، رحالة الكويت إلى الهند، أربعين زيارة خلال ثلاثين عاما (1998-2024)

(بلغ عدد الرحلات خلال الفترة المذكورة إلى أربعين (40) رحلة وكلها كانت على حسابه الخاص)

يقول سعادة الدكتور أبو محمد عبد الله القتم حفظه الله تعالى بأنه زار الهند لأول مرة عام 1969 مع مجموعة من الطلبة، ثم انقطعت صلته بالهند إلى سنة ألفين الميلادية، بادئ ذي بدأ تعرف على أحد المستشارين في سفارة الهند في الكويت سنة 1998م. فطلب منه سنة 1999م أن يرافقه في مساء يوم إلى أحد بيوت الهنود في إحدى ضواحي الكويت، حيث التقى بكاتب هذه المقالة (ا.د. سيد جهانغير) مع بعض الأساتذة الهنود، وكانوا بزيارة للكويت.

ويقول إنه أثناء دراسته العليا في الولايات المتحدة الأمريكية، وجد بعض الكتب العربية قد تم طبعها في دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد – الدكن – الهند. ويقول كانت رحلتي الثانية لمشاهدة هذه المطبعة التي تنشر أمهات الكتب العربية، وتحقق المخطوطات العربية وتطبعها، فكانت دلهي

* رئيس قسم الدراسات العربية(س) جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية – حيدرآباد – الهند
عميد كلية الدراسات العربية (س)
رئيس تحرير صحيفة حراء العربية والأردية النصف شهرية
مؤسس وخادم جامعة الحرمين الشريفين العربية الإنجليزية الإسلامية النموذجية.

المحطة الأولى، في يناير 2000م، ثم توجه إلى حيدر آباد للاطلاع على تلك المطبعة، فوجدها مطبعة قديمة يصف حروف الكتاب يدويا على حد تعبيره.

وفي صيف تلك السنة تلقي دعوة من المجلس الهندي للعلاقات الثقافية (ICCR)، وكانت لمدة أسبوعين، زار خلال هذه الرحلة عدة مدن وجامعات ومتاحف، ليطلع على المخطوطات في الهند، ومن هنا بدأت رحلته العلمية إلى بعض الجامعات الهندية، وكان لي شرف التعرف على أساتذة أجلاء؛ من أمثال : الأستاذ سيد إجتباء الندوي رحمة الله عليه، والأستاذ الدكتور شفيق أحمد الندوي، ، والأستاذ الدكتور كفيل أحمد القاسمي، والأستاذ الدكتور محمد نعمان خان، والأستاذ الدكتور محمد أسلم الإصلاحي، والأستاذ الدكتور حبيب الله خان، والفقيدة الأستاذة الدكتورة فرحانة صديقي، والأستاذ الدكتور محسن عثماني، والأستاذ الدكتور محمد إقبال حسين، ....وغيرهم كثيرون.

زيارته إلى مدن الهند :

بعد أن وصل إلى مطار أنديرا غاندي، بدلهي في يوليو، استقبلني مندوب المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، وصحبه بسيارته إلى أحد الفنادق الضخمة، ومكث في عدة أيام، وقام مع المندوب بزيارة جامعة دلهي، وجامعة جواهر لعل نهرو، وفي يوم ما ذهب إلى مدينة ديوبند، حيث جامعة دار العلوم، وهي جامعة عربية إسلامية، تدرس اللغة العربية، والعلوم الإسلامية، وتاريخ الإسلام والمسلمين. وفي يوم آخر زار وزارة الخارجية حيث مقر المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، كما قام بزيارة المتحف المركزي الهندي، حيث اطلع على بعض المخطوطات العربية، واطلع على فهارس المخطوطات العربية في المتحف.

وفي يوم من الأيام قام بزيارة مدينة جئے بور، وفيها الساعة الرخامية

التي كان يعرف بها الوقت طبقاً لحركة الشمس، فقال المرافق: لا تنظر إلى ساعتك، سأخبرك بالوقت من خلال قراءة الساعة الرخامية, وبالفعل قام به بدقة، ومن جئ بور توجه إلى على غره، حيث يوجد مقر جامعة علي غره المسلمة، وهي جامعة عريقة أنشئت سنة 1886م، وكان لقائه مع مديرها الدكتور حامد الأنصاري، الذي أصبح فيما بعد نائباً لرئيس الهند، ومن ثم زار مدينة آغره، حيث تاج محل، أشهر معالم الهند التاريخية، وعنوانا للحضارة الإسلامية في الهند.

ثم غادر دلهي متوجها إلى بتنه، حيث كان في استقباله مندوب المجلس الهندي(ICCR)، وزار في هذه المدينة مكتبة خدا بخش، التي تضم آلافاً من المخطوطات العربية، وذكر أمين المكتبة، الأستاذ حبيب الرحمن، يبلغ عددها تسعة آلاف مخطوط تقريبا باللغة العربية، ويوجد فيها مخطوط عمره سبعمئة سنة، ومن بتنه أقلته الطائرة إلى دلهي، ومن ثم إلى حيدر آباد، وكان في استقبالنا مرشدة من المجلس، التي صحبته إلى الفندق، وفي اليوم التالي زار الجامعة العثمانية، ودائرة المعارف العثمانية التي تحقق وتطبع المخطوطات العربية.

وفي اليوم التالي زار جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية، وفي قسم اللغة العربية اجتمع مع عدد من الأساتذة، وتحدثنا باللغة العربية، فهم يتقنونها ويدرسونها، ومن ثم زار مركز المخطوطات الشرقية الحكومية، ويقول بكلمته: " تعززت صداقتي بالدكتور سيد جهانغير، وتكررت اللقاءات معه، وبدأنا منذ ذلك التاريخ بالعمل المشترك."

بدايات العمل الأدبي في الهند :

قَيَّض الله للكويت أن يصبح سفيرها في دلهي سعادة الأستاذ عبد الله المراد حفظه الله تعالى، ذلك الرجل المثقف، وحامل هَمَّ الكويت ومشكلاتها الثقافية، ويصاحبه الأستاذ خالد الرزني حفظه الله تعالى، ذلك الرجل

النشيط المثقف فكان اجتماعهما أدَّى إلى إبراز الثقافة الكويتية، ففكَّرَت سفارة الكويت في مبادرة عمل أدبي مميز في الهند يتناول تاريخ الكويت وثقافتها، فكان مؤتمر الأدب العربي الحديث في الكويت، وقد انعقد في حيدرآباد في 18-19 أكتوبر 2001م.

تحدث في هذا المؤتمر مجموعة من علماء الهند وأساتذتها، وافتتحها رئيس المعهد المركزي للغة الإنجليزية، وتحول بعد ذلك إلى جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية، جامعة مستقلة بدل شبه جامعة، وسعادة سفير دولة الكويت سعادة الأستاذ عبد الله المراد حفظه الله تعالى، وقالوا إنها بداية للتعاون الثقافي بين الكويت والهند، ثم بدأ المحاضرون في إلقاء أبحاثهم وأوراقهم، وشارك سعادة الدكتور عبد الله القتم حفظه الله تعالى عن المقالة الصحفية في دولة الكويت.

ارتبطت زياراته اللاحقة بالبحث العلمي حول أدب الكويت، وكان الاتفاق مع هذا العبد الأحقر (ا.د. سيد جهانغير) للعمل المشترك لإبراز أدب الكويت وثقافتها، فقد اقترح عدة أسماء من المثقفين والشعراء الكويتيين ليكونوا عناوين لأطروحات الماجستير في الفلسفة والدكتورا في الأدب العربي الحديث، ولفتح مجالات البحث وتعريف الهنود بالأداب الكويتية ألقى سعادة الدكتور عبد الله القتم حفظه الله تعالى عدة محاضرات، وأشار لاستعمال البطاقات لاستخراج المعلومات من المصادر، أو المراجع، وبما أن الجامعة تفتقر إلى مصادر دراسة الأدب في الكويت، أو مراجع أخرى معينة، قام بجمع كثير من الكتب عن الكويت من رابطة الأدباء في الكويت، والمجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، وإصدارات الزملاء في الرابطة، ونقلها إلى حيدر آباد لتكون المصادر والمراجع تحت أيدي الباحثين.

مؤتمر: التواصل الحضاري العالمي، الهند و إيران نموذجا :

بعد الزيارات المتكررة سعادة الدكتور عبد الله القتم حفظه الله تعالى

للهند، تلقى دعوة من الجامعة الملية الإسلامية لزيارة الهند، وكان صحبه في تلك الزيارة عميد الكلية سعادة الدكتور يحيى أحمد، فزارا دلهي، والتقيا ببعض الأساتذة، واستمعا إلى بعض الآراء النقدية عن العلاقة مع الدول العربية منها: تقصير البلاد العربية في نشر اللغة العربية في أنحاء العالم، وعدم تواصل العرب مع الجامعات الهندية التي تدرس اللغة العربية، فما كان من عميد الكلية بجامعة الكويت الدكتور يحيى أحمد إلا أن أمر بتشكيل الثقافي مع الهند فتجسيدا لهذه الفكرة كان هذا المؤتمر الدولي.

انعقد المؤتمر في رحاب جامعة الكويت (24-26-2007م) وكان تحت رعاية معالى الدكتور محمد صباح السالم الصباح حفظه الله تعالى، نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية لدولة الكويت لجنة لوضع خطوط التعاون، وبعد كلمات الترحيب من معالى الوزير، تكلم مدير جامعة الكويت، سعادة الدكتور عبد الله الفهيد حفظه الله تعالى، ثم سعادة عميدة كلية الآداب وقتئذٍ، وألقى كلمة المشاركين فضيلة الدكتور محمد أجتباء الندوي رحمة الله تعالى عليه.

استمر المؤتمر ثلاثة أيام ألقى فيها الأساتذة أوراقهم وبحوثهم عن الهند والعلاقات الهندية الكويتية، وكان من المؤتمرين ثلاثة عشر أستاذاً **هنديا**، وخمسة أساتذة من إيران، واثنان من سلطنة عمان، وواحد من جمهورية **مصر العربية**، وستة أساتذة من دولة الكويت، وفيما يخص الهند والعرب والكويت وما بينهم من علاقات كانت أبحاث المؤتمر في الموضوعات التالية:

الأستاذ	البحث	الدولة
أ.صابر محمد السويدان	العلاقات العربية والكويتيةالهندية	الكويت
أ.د. سعيد محمد الهاشمي	علاقات مجلس التعاون مع الهند	عمان

أ.د. رياض يوسف فرس	علاقات الاقتصاد بين الكويت والهند	الكويت
أ.د. حياة ناصر الحجي	المماليك وإمبراطورية المغول	الكويت
أ.د. شفيع أحمد هاشم	العلاقات التاريخية بين الهند والكويت	الهند
أ.د. محمد إجتباء الندوي	التفاعل الثقافي بين الهند والعرب	الهند
أ.د. عائشة كمال	مساهمات أميرات الهند في العربية	الهند
أ.د. نورية الرومي	التواصل الثقافي بين الهند والكويت	الكويت
أ.د. جاسم سليمان الفهيد	عبد العزيز الميمني وتحقيق التراث	الكويت
أ.د. سيد جهانغير	العلاقات الهندية العربية عبر التاريخ	الهند
أ.د. محمد أيوب تاج الدين	الصحافة العربية في الهند	الهند
أ.د. شفيق أحمد خان	الدراسات العربية في الجامعات الهندية	الهند
أ.د. سيد راشد نسيم	التأليف بالعربية في مجال التفسير	الهند
أ.د. محمد حسان خان	مساهمة الهند في الآداب العربية	الهند
أ.د. حبيب الله خان	تدريس العربية في شمال الهند	الهند
أ.د. محسن عثماني الندوي	المدارس الدينية العربية بالهند	الهند
أ.د. محمد أسلم الإصلاحي	مكانة الشعر العربي في الهند	الهند
أ.د. محمد إقبال حسين	النثر العربي في القارة الهندية	الهند
أ.د. محمد ثناء الله الندوي	الترجمة الدينية والأدبية في الهند	الهند

هؤلاء ثلاثة عشر أستاذاً شاركوا في المؤتمر الدولي المنعقد في دولة

الكويت عن: التواصل الحضاري العالمي: الهند وإيران نموذجاً.

مكتبة سمو الأمير صباح في الهند :

ومن أهم مبادراته تبنى سعادة الدكتور عبد الله القتم حفظه الله تعالى اقتراحاً عام 2008م في جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدر آباد، الهند، لكن لعدم قبول الاقتراح من قبل مدير الجامعة،**عرض الأستاذ** الاقتراح على قسم العربية بالجامعة الملية الإسلامية بدلهي الجديدة 2008م لإنشاء مكتبة باسم الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح وبعد فترة تلقى سعادته مكالمة هاتفية من رئيسة قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الدكتورة فرحانة صديقي رحمة الله عليها بموافقة الجامعة على إنشاء تلك المكتبة في رحاب الجامعة الملية، فبادر إلى الأستاذ خالد الرزني حفظه الله تعالى عبر الهاتف، الذي كان رئيساً للمكتب الإعلامي بسفارة دولة الكويت، في الهند أنذاك.

قام سعادة الأستاذ خالد الرزني حفظه الله تعالى بإجراء الاتصالات في وزارة الإعلام، ووزارة الخارجية، وفي سنة 2009م، تم افتتاح تلك المكتبة الجميلة التي تضم كثيراً من الكتب عن الكويت والهند، وقام سفير الكويت المثقف سعادة الأستاذ سامي السليمان حفظه الله تعالى المرشد بترأس حفل افتتاح المكتبة، مع إقامة ندوة عن أدب الكويت وثقافتها، ألقى سعادة الأستاذ الدكتور عبد الله القتم حفظه الله تعالى كلمة موسعة عن تاريخ الكويت الثقافي، وكذلك شاركت سعادة الأستاذة الدكتورة نسيمة الغيث حفظها الله تعالى، وسعادة الأستاذة الشاعرة الدكتورة نجمة إدريس حفظها الله تعالى بهذه المناسبة البناءة.

ولأول مرة في الهند تكون للكويت مكتبة تعتني بتاريخ الكويت وثقافتها، وتقدم للأساتذة والطلبة الهنود كل ما يرغبون من معلومات عن الكويت في جميع المجالات، وبعد عودته من حفلة افتتاح هذه المكتبة كتب

مقالة عن المكتبة، وأثرها في تقوية أواصل التعاول الثقافي بين الكويت والهند، وهو جزء من نشاط سفارة دولة الكويت في الهند، وكان لسعادته شرف تقديم الاقتراح، والشكر لمن قام بالتنفيذ.

أدب الكويت في الهند :

ويجدر بالذكر بأن رحلات سعادة الدكتور عبد الله القتم حفظه الله تعالى استمرت إلى الهند لسنوات عديدة، وفي كل زيارة يصحب معه مجموعة من الكتب التي تخص أبحاث الباحثين، ومصادر أخرى تكون لها علاقة بأدب الكويت، وكانت حصيلة توفر الكتب والمصادر والمراجع إعداد مجموعة من الأطروحات للماجستير والدكتوراه، ومنها:

	الباحث	البحث	الدرجة	السنة
1	رضي الدين	مساهمة ليلى العثمان عن القصة القصيرة	دكتوراه	2009م
2	محمد شمس الدين	تطور القصة القصيرة في الخليج العربي	دكتوراه	2010م
3	حامد محمد القرشي	تطور المقالة في الخليج، عبد الله القتم نموذجاً	دكتوراه	2010م
4	إبراهيم ولي	مساهمة عبد العزيز البابطين في نشر الثقافة العربية	دكتوراه	2011م
5	سيد مجاهد الهاشمي	دراسة نقدية لأشعار سعاد الصباح	دكتوراه	2013م
6	حنظله . ف.	الحب والألم في شعر فهد العسكر	دكتوراه	2011م
7	معتصم بالله	دراسة نقدية لمقالات محمد	دكتوراه	2013م

		مساعد الصباح		
8	شيخ عبد اللطيف	أحمد مشاري العدواني ومساهمة في الأدب العربي	دكتوراه	2014م
9	محمد عارف	اللغة في قصص سليمان الشطي	دكتوراه	2014م
10	محمد إقبال م.ك.	تطور أدب المقالة في دولة الكويت	دكتوراه	2016م
11	محمد فيصل	تطور الشعر العربي في الكويت	دكتوراه	2016م
12	محمد كليم الدين	الزمان والمكان في أدب الكويت	دكتوراه	2016م
13	مبشِّر ب.	تطور المسرح في دولة الكويت	دكتوراه	2023م
14	سيد مجاهد الهاشمي	مساهمة يعقوب الرشيد في الشعر العربي	ماجستير	2006م
15	حنظلة	عبد العزيز السريع ومسرحياته في الكويت	ماجستير	2009م
16	أبو الكلام شودري	مساهمة فاطمة يوسف العلي في القصة القصيرة	ماجستير	2009م
17	سيد إفتخار الدين عبيد	منى الشافعي وقصصها	ماجستير	2009م
18	شمس الدين	الوطنية والقومية في شعر محمد أحمد المشاري	ماجستير	2010م
19	سيد إفتخار حسين	مساهمة خالد سعود الزيد في الشعر العربي الكويتي	ماجستير	2010م
20	عبد الرحيم م.أ.	الحداثة في شعر خليفة الوقيان	ماجستير	2010م

21	سجَّاد أحمد بت	القومية العربية في شعر أحمد السقاف	ماجستير	2010م
22	مرزا عبد الرحيم	الوطنية في قصص ثريا البقصمي	ماجستير	2010م
23	محمد تسليم	البيئة والمكان في شعر محمد الفايز	ماجستير	2010م
24	محمد كليم الدين	المكان والبيئة كما يراه حمد الحمد	ماجستير	2010م
25	محمد أمير تنتري	الحرب والسلام في كتابات ليلى العثمان	ماجستير	2011م
26	محمد شاكر رضا	تقنية الصورة في شعر عبد الله العتيبي	ماجستير	2013م
27	محمد رفيق الدين	القضايا الاجتماعية في رواية الكويت	دكتوراه	2017
28	محمد عبد الله	جوانب اجتماعية في شعر راشد سيف	دكتوراه	2021
29	محمد شريف الرحمن	الشعر العربي الحديث في دولة الكويت	دكتوراه	2024
30	أحمد رضا	مساهمة خليل علي حيدر في إثراء الأدب العربي بإشارة خاصة إلى المقالة في دولة الكويت	دكتوراه	2019-2024

هذه نماذج من العمل المشترك مع كاتب هذه السطور (سيد جهانغير).

وقد تركنا بعض الإطروحات لأنها تشترك مع الدول الأخرى، أو لأنها تتناول بعض الشعراء والأدباء العرب، ومجال سعادته شعراء وأدباء الكويت. علما أن هناك أكثر من 50 باحثا تناولوا الأداب **حول شتى الموضوعات** في دول الخليج العربي ونالوا درجة الدكتوراة والماجستير في الفلسفة، كما يجدر بالذكر أن السبب لتوظيف أكبر عدد من الباحثين الهنود، هو إزالة الخوف من تناول الأداب في الخليج العربي، حيث وجدت أن سبب عدم توجه الباحثين الهنود لتناول أداب الخليج هو عدم توفر المصادر والمراجع عن أداب الخليج العربي، وبهذه المبادرة قد زالت العقبات، وأخذ الباحثون يتناولون أدب هذا القطر الثري وأخذوا يقبلون دون قلق أو خوف من عدم توفر المصادر والمراجع.

ولا يزال يزور سعادة الدكتور العلامة عبد الله القتم حفظه الله تعالى الهند كأفضل بلد من الناحية العلمية والسياحية بالنسبة له، كما يذكر سعادة الدكتور في خطاباته، وبعد أن ألقى كثيراً من المحاضرات عن تاريخ الكويت وثقافتها فقد لقبه الأساتذة الآخرون ب (سفير الكويت الثقافي)، وفي الكويت (دليل الهند السياحي)، ويقول بنفسه : فعندما يريد أحد الإخوة السفر إلى الهند يأتي إليَّ لطلب النصيحة، وكيفية التوجه للأماكن السياحية الهندية، فأصبح مشهوراً في جامعة الكويت بأنه يحب الهند وأهلها.

هذه الزيارات المتكررة أدت إلى أن يكون اهتمامه الأكبر بثقافة الهند العربية، لذا قام بتأليف كتاب : شعراء العربية في بلاد الهند، وقد جمع فيه ثلاثمائة شاعر هندي نظموا قصائدهم باللغة العربية، وتم الطبع من قبل مؤسسة البابطين الثقافية في ثلاثة مجلدات سنة 2021م.

كما شاركته الزميلة الدكتورة نسيمة الغيث في شرح قصيدة لامية الهند، وتم طبعها في حوليات الآداب بجامعة الكويت، كما طبعها في الهند،

وقام الأستاذ الدكتور شفيق أحمد الندوي بالإشراف على الطبع سنة 2023م.

هناك ملاحظات عن مدن الهند، عبر بها سعادة الدكتور بتعبيراته الخاصة:

1. نظافة مدينة بنغلور، فهذه عاصمة ولاية كرناتكا، وتتميز بنظافة شوارعها وأزقتها وحواريها.
2. معظم المدن الهندية تسودها عدم الاهتمام بالنظافة، على الرغم من أن معظم الناس يعتنون بالنظافة الشخصية.
3. ولاية كشمير من أجمل بقاع الأرض، بجمال جبالها ومنتجعاتها، وطالب الراحة يلجأ إليها للاستمتاع والراحة.
4. جامعات الهند كثيرة تربو على المئتين، وفيها مجموعة من العلماء الأجلاء، وظهر من بينهم مفكرون وكتاب باللغة العربية.
5. في الهند متاحف كثيرة، وفيها مجموعات كثيرة من المخطوطات العربية، والفارسية والأردية.
6. في الهند مخطوطاتها تتوزع على حوالي سبعة وعشرين مركزا علميا.

هذه نبذة سريعة عن رحلاته إلى الهند العظيمة.

***

البروفيسور سيد راشد نسيم*

رحلة أمينة السعيد "مشاهدات في الهند" بين عرض ونقد

إن كلمة الرحلة كلمة رائعة عذبة مقبولة إنحدرت في اللغة العربية من اللغات السامية مثل الآرامية والسريانية والعبرية وتحمل معنى نقل مكان أو السير من مكان إلى آخر، شرحها ابن منظور بقوله: رحل الرجل - سار وقال: رحل عن المكان يرحل وهو راحل من قوم رحل: انتقل، وقال الشاعر:

رحلت من أقصى بلاد الرحل من قلل الشجر فجنبي موحل (1)

ولقد وردت هذه الكلمة في معنى السفر والسير في القرآن الكريم عدة مرات فنجدها في قول الله عزوجل "رحلة الشتاء والصيف" (2) كما نجد مشتقاتها في قوله تعالى"في رحل أخيه" (3) وفي قوله تعالى "من وجد في رحله"(4) وفي قوله تعالى "اجعلوا بضاعتهم في رحالهم" (5) فاستخدامها في هذه المواضع الأربعة كلها في معنى السفر وما يتعلق به، على هذا المنطلق تداولت أقلام الأدباء والكتاب هذه الكلمة مضافة إلى الأدب وقالوا" أدب الرحلة وأرادوا بها الثروة الأدبية التي تتضمن الانطباعات والمشاهدات عن البلدان قام بسفرها كاتب ودونها في صورة المذكرات والمدونات، فأدب الرحلة هو صنف أو نمط أدبي قديم كما يوجد بالأدب العربي تراث متميز ثري من هذا النوع، وهو يحمل الأهمية القصوى بسبب علاقاته الوطيدة بالعلوم الأخرى. وحاول شوقي ضيف إرجاع أهمية هذا الصنف من الأدب إلى صلته بعدة علوم: منها التاريخ والجغرافيا والسياسية وغيرها من العلوم الاجتماعية (Social Sciences)(6). ولقد ازدهر أدب الرحلة في اللغة العربية

* رئيس قسم الدراسات العربية، وعميد كلية الدراسات العربية والآسيوية، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدرآباد، الهند

بعد وصول تباشير الإسلام إلى شتى بقاع العالم فتعددت الرحلات منذ القرون الأولى ومردها نشر الدين الحنيف والتجارة والسفارة ولقد ذكر حسين نصار في تأليفه "أدب الرحلة" (7)عدة أقسام للرحلات نظرا إلى دواعيها وعواملها، فمنها الرحلة السياحية والسياسية والدراسية والدينية والاستكشافية وغيرها من أسباب الرحلة، والأهم هو ما أنتج الرحالون من المذكرات وما يقيدون مشاهداتهم ما يقع تحت أبصارهم فالمؤلفات هو أدب ذو شجون وفنون من الكلام، وثروته باللغة العربية أغزر وأوسع من أن تستقصى في هذه العجالة، فالأدب العربي حافل وزاخر بهذا النوع من الإنتاج ولعل من أهم الإنتاج هو كتاب "المسالك والممالك" لابن حوقل و"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي و"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي و"آثار البلاد وأخبار العباد" للقزويني و"رحلة التاجر" لسليمان التاجر و"عجائب الهند وبحره وبره وجزائره" لبزرك بن شهر يار الناخدا و"رحلة ابن بطولة" وغيرها من الآثار الأدبية في موضوع السياحة والرحلة.

ومن الرحلات المدونة حول الهند ما يتصل بها وما يدور حولها كتب عددها ليس بالقليل، فدون بعض الأدباء مشاهدات رحلاتهم إلى الهند المعمورة ذات قدم في الكوكب الأرضي ونالت تلك الكتب عناية الباحثين وانتباه الناقدين مثل "عجائب الهند" و "تحفة الأنظار" ولم يكن يضمحل هذا الموضوع في الأدب العربي المعاصر، فظهر عديد من المؤلفات في موضوع الرحلة إلى الهند، منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر "سياحتي في بلاد التبت الغربية وكشمير" للأمير يوسف كمال والهند: "أسرار ومفاتيح" للدكتور إيهاب يوسف وغيرهم من الكتاب والأدباء الذين أعجبوا بالهند وحضارتها الزاهرة وعبقريتها التاريخية، من هؤلاء الكتاب البارزين الكاتبة المصرية أمينة السعيد التي زارت الهند سنة 1942م وتعلق قلبها بالهند فألفت رحلتها باسم "مشاهدات في الهند" وهي محور هذه الدراسة والورقة.

موجزة عن شخصية أمينة السعيد

قبل أن ندخل في خضم الدراسة النقدية عن كتاب "مشاهدات في الهند" يبدو جديرا تسليط الضوء على كاتبة هذه الرحلة أمينة السعيد، فالحديث عن شخصيتها يبرز كوامن طبيعتها وخفايا فكرها التي تساعد دراسة رحلتها، فإن هذه الرحلة في الحقيقة ثوب شف عن معتقدات أمنية السيعد واتجاهاتها ونزعاتها التي تنبرى من خلال مشاهداتها السفرية، فأمينة هي من مواليد 1914م بالقاهرة وتخرجت بجامعة فؤاد الأول، كانت تشارك في الألعاب وتؤيد السفور وتحب الحركة النسائية، وبدأت تكتب في عديد من المجلات والصحف ومعظم مقالاتها تدور حول التحزب لمصر وللعروبة وحول هتاف تحرير المرأة، ولاتزال تتصل بالصحافة للإرتزاق إلى أن وافاها الأجل سنة 1995م بالقاهرة، ومشاركتها الفعالة في الحركات النسوية والنشاطات الدولية لتحرير المرأة ألجأتها إلى الرحلة إلى الهند فقضت في الهند أياما وزارت عدة أماكن والتقت بعدة الرجال والنساء والقادة والزعماء، ودونت انطباعاتهم وانتفعالاتهم باسم "مشاهدات في الهند" فسندرس هذا الكتاب على أساسين مختلفين- الأول هو دراسة مبنى الكتاب من الأسلوب واللغة، والثاني هو دراسة معنى الكتاب من المعارف والمعلومات، فإنه يتكون هيكل تأليف من المؤلفات على هذين الأساسين: المبنى والمعنى ويمكن بها تقييم عمل أدبي وتتضح بها مكانة تأليف من المؤلفات.

دراسة تحليل وتقييم:

تتميز رحلة "مشاهدات في الهند" بأسلوبها الرزين المشرق، الأسلوب الذي كان سائدا في المنتصف الأول من القرن المنصرم، الأسلوب الذي تبناه الدكتور طه حسين والأستاذ مصطفى السباعي ومحمد حسين هيكل وغيرهم من الأدباء الذين عاشوا في المصر الواحد والعصر الواحد، المصر هو مصر والعصر هو بداية القرن العشرين، يتميز هذا الأسلوب بالإطناب

والإطالة وبالإستطراد والتكرار وبالإشراق والصراحة بدون المجاملة، فتوجد هذه مواصفات الأسلوب في رحلة أمينة السعيد بكل جلاء ووضوح وبدون الغموض والخفاء، وتتجلى هذه السمات البارزة بحيث لا تحتاج إلى براهين ولا إلى دلائل لإثباتها وإظهارها، أما أمثلتها فإنها مبعثرة ومنتشرة في مختلف الأمكنة من كتابها مشاهدات في الهند، ولعل من أهم أمثلتها ما كتبت في مستهل الكتاب قائلة :

"كان الهدوء شاملا والليل بادرا وهو الشتاء الفارس ينفح الوجوه، والقاهرة بنت المرح والنور تنام في ظلام دامس، لا يخفف من رهبته غير التماع بعض النجوم الساهرة، وهي تطل بين أونة وأخرى فتلقى علينا من السماء الملبدة بالغيوم بسمة متألقة، وتسللت بنا سيارة المطار في تهاد وبطء كأنها تشفق أن ينزعج صوت عجلاتها الضخمة فهذا السحر المصري العجيب"(8)

فهذه الفقرة التي افتتحت بها أمينة رحلة "مشاهدات في الهند" ففيها الفخر بالوطن وفيها الإطناب والجمال الذي يشف من بين الكلمات والجمل، وهذه ميزة أسلوبها يتميز بها هذا الكتاب إلى النهاية.

وهكذا تطل شعوبيتها والاعتزاز بالعروبة في فقرات هذا الكتاب لا تخفى على من قرأه بالإمعان والفكر ودقة النظر فتقول في مكان آخر ما نصه:

"ولم يكن النطق سليما في التفكير وإنما كنت أطمئن نفسي، فقد اقتصرت رحلاتي السابقة على بلاد عربية وبلاد العرب ترتبط جميعا بروابط قوية من الصداقة والتفاهم واللغة والتفكير، وإذا انتقل مصري إلى سوريا مثلا فهو في وطنه وبين أهله وعشيرته وإن اختلفت المناظر وتغيرت الأجواء، لأن العربي عربي مهما تنوعت البيئة التي يعيش فيها والعروبة صلة جامعة تأكل المسافات وتوحد الأوطان "(9)

أما وصفها الهند والهنود فرغم جمال أسلوبها وفخامة كلماتها ومتانة تراكيبها فإنها لم تكن تبقى على القسط والعدل، ولم تكن تحالفها في وصف الهند والهنود الأمانة والصدق، بل يحومها التحزب المصرية والجانبية الطائفية، وأمثلتها شائعة بوفرة لا يمكن استقصاءها ونذكر بعضها في

التالي ليكون دليلا على صحة القول فهي تقول واصفة أهل الهند بتعبيرها الآتي:

"ولا أظن أنني رأيت مكانا يرفرف عليه روح حزين مثل هذه البلدة بل مثل الهند كلها فالحزن طابع الهند الأول تراه مرتسما على كل وجه وكل بنيان وكل طريق، وهي ظاهرة عجيبة تسترعى أنظار الغريب ولا سيما إذا كان مثلي ينتمى إلى شعب مرح يبسم دائما حتى للآلام والنكبات، قد يكون حزن الهند المخيم وليد قرون متعاقبة من الآلام وقد يكون طبيعة في الخلق الهندي ولكنه موجود على كل حال، وجزوره متأصلة في المجتمع وفروعه مختلطة بمواطن الجمال حتى ليصعب الفصل أو التمييز بينهما"(10)، فمصر عندها شعب مرح والهند كلها حزين كئيب ومكتئب وكاد صدق التعبير يفوتها في هذا الوصف المبنى على الدراسة غير الدقيقة.

ومما يدل على عدم احترام أمينة السعيد لشعائر الإسلام ومقدساتها واستخدامها بعض التعابير والكلمات التي عادة يختارها من يحمل حقدا عن الإسلام ومقدساته، أو يسوقه الجهل على الإساءة بهذا الدين القويم فتقول عن المدن الهندية:

"وأول ما يسترعى النظر في كراتشي وغيرها من المدن الهندية كثرة البقر في الطرقات وما لها من سلطان على الحياة العامة فصاحبة الجلالة البقرة الهندية تتمتع بتكريم و تبيجل وحرية لا تتوافر لخير أفراد الشعب، وذلك لأن الهندوس يعبدونها ويعتبرونها ....."(11) {استخدمت كلمة الأم مضافا إلى لفظة الله الجلالة فلا ينبغي لأحد ينقلها كما هي}

فلم يكن يتوقع من أحد يدعى انتمائه إلى الإسلام أن يضيف إلى الله عزوجل كلمة الأم للبقر وهو أشنع مما يرتكب المشركون قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بقولهم للملائكة هم بنات الله، ثم لم تفطن إلى ظاهرة ملموسة شائعة بأن الهندوس لا يعتبرون البقر أما لآلهتهم، بل يعتبرونها أما لأنفسهم لأنها تدر لبنا واللبن يهب لهم الحياة، فالهندوس يقدسون كل شيء ينتفعون بها من الشمس والقمر والأنهار والأشجار والحيوان والجماد.

كما يسوق لها عدم المعرفة الدقيقة إلى أخطاء يمكن تصحيحها في الهوامش، منها ما ذكرت بأن مدينة آجرة (Agra) تقع فيها الجامعة الإسلامية الكبيرة وفي الحقيقة تقع الجامعة المسلمة في مدينة عليجره وهي مدينة لا صلة لها بآجره وهي تقول "ثم جامعة آجره الإسلامية الشهيرة"(12) كما اضطرت سلبية طبيعتها على القول بأن الحجاب هي خزعبلة من الخزعبلات (في تعبيرها، انظر ص 77) ثم اختيار كلمات التهكم والسخرية عن الحجاب باسم البردة، ولو كانت تميل إلى السفور والإباحية فلاحق لها أن تستهزئ للمرآة التي تختار لنفسها الحجاب.

وقصارى القول بأن هذا الكتاب نموذج رائع لأدب الرحلة في العربية يتمتع القارئ بأسلوبه ومحتوياته وبمبناه ومعناه وإن كانت القراءة والدراسة لهدف العرض والنقد والتحليل والتقدير فلكل فارس زلة ولكن عالم هفوة، والله هو الغني الحميد.

الهوامش:-

(1) لسان العرب ج 6 ص 122
(2) سورة قريش ، آية 2
(3) سورة يوسف آية 70
(4) سورة يوسف 75
(5) سورة يوسف 62
(6) أدب الرحلة لشوقي ضيف ص 7
(7) حسين نصار في أدب الرحلة ص 5
(8) مشاهدات في الهند ص 5
(9) ص 11 و12 من المرجع السابق
(10) المرجع السابق، ص 23
(11) المرجع السابق، ص 34
(12) المرجع السابق، ص 94

***

أ.د. مظفر عالم *

رحلة إلى الهند: رحلة في قالب الرواية

ملخص المقال:

تتحدث الرحلة (رحلتي إلى الهند) عن الفاجعة الرومانتيكية التي وقعت في كهوف " مارابار" (الكهوف الخيالية). وصلت أديلا كويستد ، المعلمة البريطانية مع رفيقة سفرها السيدة مور إلى مدينة شاندرافور (مدينة خيالية) في الهند المستعمرة، و التي تبذل جهودها في ترويج قيم المجتمع البريطاني و نمط الحياة البريطانية.كان من المفروض بأن أديلا سوف تقابل المستر روني - ابن السيدة مور وتقرر زواجها معه، و كان روني موظفا قضائيا (District Magistrateقاضي المنطقة) للبلدة، و له سمعة لعصبيته ضد الهنود. فأولا، تريد الآنسة أديلا كويستد أن تفتش أمور الموظف و مناسبته للزواج معها، و ثانيا، إذ أنها كانت منحازة و متحايدة في أفكاراها و آرائها عن الهند و أهاليها و بعيدة عن العصبية الجنسية البريطانية فهي تنطلق لاستطلاع الهند الحقيقية. ساعدها في رحلتها الدكتور عزيز، الطبيب المسلم الذي رتب للمرأتين رحلة إلى كهوف "مارابار"حيث حدثت الفاجعة ما بين عزيز والآنسة آديلا. قدشوهت هذه الفاجعة سمعة الطبيب و أشعلت فتيل الكراهية بين البريطان. وبالنتيجة سجن الطبيب لردح من الزمن. و لكن في النهاية، سحبت الآنسة آديلا جميع التهم ضد الطبيب فهو أطلق سراحه للأبد و تبرأ عن جميع التهم المفروضة عليه. بعد ذلك، انتقل الطبيب عزيز إلى مسقط راسه و هو مدينة "ماؤ".

الكلمات المفتاحية: رحلة، رواية، الاستعمار، انجلترا، الهند.

---

* قسم الدراسات العربية، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدرآباد.

المقدمة:

لا جدال فيه بأن أدب الرحلات له أهمية قصوى في توثيق الأحداث والمواقف والثقافات، بل وحضارات الشعوب، وتعريف القارئ بأبرز معالم وعجائب وموروث تلك الدول وعاداتها وتقاليدها . وأدب الرحلة في الآداب العالمية لم يزل و لا يزال يمثل جوانب هامة من جوانب الحياة البشرية، و بالأحرى الأدب الإنجليزي. قام عدد كبير من الرحالة البريطان إلى المستعمرة الهندية لدوافع كثيرة وأسباب متعددة متحمسين في الحصول على أهدافهم المنشودة، وألفوا كثيرا من الكتب و صوروا فيها ما شاهدوه في هذه الرحلات وسجلوا مشاعرهم وآراءهم، و التي تحولت إلى وثائق تاريخية هامة للأجيال القادمة. و كان من بينهم صاحب الرحلة المذكورة الذي زار هذه البقعة الأرضية مرتين: الأولى بعام 1913م مرورا بمصر و المانيا، و الثانية أمضى بعض الوقت كسكرتير خاص لمهراجا ديواس (Tukojirao III, Maharaja of Dewas) مما منحه الإلهام اللازم لكتابة روايته الاكثر شهرة "رحلتي إلى الهند".كان توكوجيراو الثالث باوار (1 يناير 1888 - 21 ديسمبر 1937) هو المهراجا الحاكم لولاية ديواس الأميرية من عام 1900 إلى عام 1937. وقد تولى العرش الملكي لولاية ديواس بعد وفاة عمه، راجا كريشناجيراو الثاني. هذه الرحلة قد نشرتها أول مرة دار النشر البريطانية إدوارد آرنولد في الرابع من يونيو عام 1924م، ثم طبعتها شركة هاركوت للنشر في الرابع عشر من أغسطس في نيو يورك.استعار فورستر عنوانه من قصيدة لوالت ويتمان، الشاعر الأمريكي تحمل الاسم نفسه "في أوراق العشب".

غير أن " رحلتي إلى الهند" رواية إنجليزية كتبها المؤلف البريطاني أدوارد مورجان فوس Edward Morgan Fosterبعنوان "A passage to India"بقالب الرواية في بداية القرن العشرين، و هي تعالج تعقيدات العلاقة بين الهنود و البريطان في عصر الاستعمار البريطاني. تدور أحداثها

اثناء حركة استقلال الهند في عشرينيات القرن العشرين. وفازت بجائزة جيمس تايت بلاك التذكارية للخيال James Tait Black Memorial Prize) (for Fiction. كما تم تكييفه في فيلمين و مسرحيتين برودواي (Broadway plays) . تجري أحداث الرواية بين عدة شخصيات بريطانية و هندية ، رجالا ونساء، ينتمون إلى ديانات مختلفة و خاصة حول أربع شخصيات: الدكتور عزيز- الطبيب المسلم الهندي الذي تلقى التعليم في انجلترا ، والأستاذ الجامعي للغة الإنجليزية و الصديق الحميم للدكتور عزيز سيريل فيلدنج (Cyril Fielding) ، و السيدة مور (Mrs. Moore) -أم السيد روني هسلوب ، موظف قضائي لمدينة شاندرافور والأنسة أديلا كويستاد (AdelaQuested)– فتاة انجليزية تدرس في المدرسة البريطانية في إنجلترا، تزور الهند مع النوايا الغامضة للزواج مع السيد روني هسلوب. تزور و تعيش كلتا السيدتين جميعا في شاندرافوربالهند. قدم الكاتب هذه الأحداث الحقيقية بصورة شيقة باسلوب يجمع بين السرد التاريخي و الوصف. و هذا الأسلوب مشوب بالسخرية و الفكاهة و التهكم . يثبت الروائي من خلال الأحداث التي جرت بأن العواطف الصادقة و المساعي الجادة لتعزيز العلاقة الودية بين الشعبين لم تكلل بالنجاح بسبب التفكير الاستعماري و التفوق العنصري. وتتجلى كراهية الإنجليز للهنود من الجملة التي وردت في الرواية حيث يقول بريطاني متحدثا عن الهندي بأنه أدنى و أقل فهما و ذكاءأو نظافة. فهذه هي الصورة العنصرية النمطية المشهورة من البريطاني في ذلك الوقت تجاه الشعوب التي احتلها.

عن الروائي

إدوارد مورجان فورستر كان من مواليد لندن عام 1874م، كان والده مهندسا معماريا، توفي لما بلغ فورستر عامين من عمره فقط. للتعليم الابتدائي التحق بمدرسة تونريدج (Tonridge school)، ومنها التحق بكلية

الملك الواقعة في كيمبرديج عام 1897م و ظل بها مرتبطا. أصبح عضوا للجمعية الشهيرة المعروفة بـ " بلومز بري". بعد التخرج سافر إلى أوربا مع والدته و تفرغ للكتابة . في عام 1905م نشر روايته الأولى " حيث تخشى الملائكة أن تخطو" ، وبعد عامين نشرت روايته الثانية " أطول رحلة " ، و في العام التالي " غرفة ذات إطلالة". و بعد الحرب العالمية الأولى زار الهند مرة ثانية و فكر في كتابة روايته الرابعة "رحلة إلى الهند" و التي نالت شهرة واسعة في الأوساط العلمية الأدبية العالمية. و في عام 1970م أصابه جلطة دماغية و توفي فيها. و روايته الأخيرة " موريس" نشرت بعد وفاته. علاوة على الرواية، له إسهامات في مجالات أدبية أخرة مثل القصة القصيرة، و المقالات، و الخطب و التراجم و المسرحية.

ترجمة الرواية في العربية

قبل الحديث عن الرواية بالتفصيل يناسب لي أن أسلط الضوء على تراجم مختلفة لهذه الرواية، لأنها لفتت أنظار الأدباء و الباحثين العرب و نالت شهرة واسعة في الأوساط الأدبية العربية.و لا يمكن لي التجاهل عن هذه الحقيقة بأن هذه المقالة مبنية على التراجم العربية فلا مفر لي عن الحديث عن التراجم المختلفة.

فهي ترجمت أول مرة من دائرة الترجمة في الدار ضمن روائع الأدب العالمي و نشرتها دار النشر للطباعة و النشر و التوزيع – دمشق- بيروت ، دون تسجيل العام، و مشتملة على 225صفحة. بعد ذلك ترجمها ونشرتها الأهلية للنشر و التوزيع ضمن سلسلة روائع القصص العالمية عام2011م. كذلك ترجمتها أميرة كيوان، غير أن التفاصيل ليست موجودة. و أخيرا ترجمها عز الدين اسماعيل، الأديب العراقي البارز بعام 2021م ونشرتها المؤسسة العربية للدراسات، و هي مشتملة على 333 صفحة.

سرد الرواية

زار إي إيم فورستر كهوف "مارا بار" في زيارته الأولى للهند ، ولم ينس هذه التجربة أبدا، وإنما تبلورت كهوفه الخيالية مع مرور الزمن، ربما بهذا السبب نسج شبكة روايته حول هذه الكهوف الخيالية. و البنية السردية تشتمل على الرحلة الأولى للهند التي قام بها المؤلف، و تعتمد على الأساليب السردية كالحوار الذي لعب دورا بارزا في الكشف عن شخصيات الرواية و تطوير الأحداث.

تدور أحداث الرواية حول معلمة بريطانية شابة أديلا كويستاد وصديقتها المسنة السيدة مور، عزمت الشخصيتان للزيارة إلى إحدى المدن الخيالية الهندية (شاندرافور) و التي كانت تابعة للاستعمار البريطاني آنذاك. و في نفس الوقت رغبت المعلمة في اللقاء مع السيد روني ابن السيدة مورو الذي كان يعمل كالموظف القضائي(District Magistrate) في شاندرا فور، ورغبت في الزواج معه.

في إحدى الليالي كان الدكتور عزيز يتحدث مع صديقيه حميد الله و محمود علي عن إمكانية الصداقة بين الهندي و الإنجليزي. فقال حميد الله و هو خريج جامعة كامبريديج بأنه يمكن مثل هذه الصداقة في انجلترا، و اتفق الإثنان على أن الإنجليزي إذا انتقل إلى الهند فيصبح غير محتمل تماما في غضون عامين أو في أقل هذه المدة. كانوا يتناولون العشاء و عزيز ينشد الأبيات الشعرية، و يستمعها الجميع بسعادة بالغة. غير أن السعادة انقطعت عندما تلقى عزيز استدعاء من مسؤوله في المستشفى، الرائد كالندر، و الذي كان بغيضا ومتغطرسا . أسرع عزيز إلى المدينة حسب أمر الرائد لكنه تأخر بسبب ثقب في إطارات السيارة و الزحمة الشديدة، و بعد وصوله المنزل المنشود لم يتمكن من اللقاء مع الرائد لانه قد غادر قبل وصوله و لم يترك له رسالة.

تأسف عزيز و كان يفكر في غضب الرائد. منزعجا، يعود إلى منزله، وسرعان

ما اقترب إلى بيته توقف عند مسجد حيه ووقعت نظرته على سيدة إنجليزية غريبة فقال لها: لا تدنسي هذا المكان المقدس". غير أن المرأة كانت متواضعة للغاية و أكدت على أنها تعرف الاهتمام بالطقوس المقدسة. تأثر عزيز بهذه الجملة للمرأة المثقفة و هي أخبرته بأنها تزور ابنها ، روني هيسلوب – الموظف القضائي في المدينة. أوصلها عزيز إلى النادي البريطاني.

مع دخولها النادي جلست السيدة مور مع إبنها روني و تحدث معه عما حدث معها في المسجد. و لما تاكد روني بأن هذا الشخص كان هندي الجنس فاشتد غضبه. هنا لقيت السيدة مور رفيقتها في السفر أديلا كويستد، و التي كانت راغبة في رؤية "الهند الحقيقية". اقترح المستر سيريل فيلدينج– مدير الكلية الحكومية في شاندرافور، الزيارة إلى بعض الأماكن لرؤية بعض الهنود إذا أرادت أن ترى كيف تبدو " الهند الحقيقية". كانت أديلا مترددة في هذا الأمر، لكن السيد تورتون ، الجابي للضرائب في المدينة وعد بأنه سوف يدعو بعض السادة الهنود في حفلة الشاي كي تتمكن من مقابلتهم. في تلك الحفلة، جلس الهنود في جانب بينما الإنجليز جلسوا بجانب آخر.أديلا كانت في حيرة من أمر الانفصال، و السيد ة مور منزعجة. هنا يسخر روني و السيدة تورتون من الملابس الهندية، والسيدة مور تجد نفسها مندهشة من عدم تسامح آراء ابنها. زوجة السيدة تورتون تأخذ السيدة مور و أديلا إلى المجموعة الهندية لتعريفهن ببعض النساء الهنديات. تفاجأت السيدة مور عندما وجدت أن النساءيعرفن اللغة الإنجليزية. و على صعيد آخر تجد السيدة مور بأن السيد فيلدينج يتواصل مع الهنود بنفس القدر من الحرية و الاحترام. وبعد هذا اللقاء بناءا على طلب الآنسة أديلا وجه السيد سيريل فيلدينج دعوة إلى االسيدة مور و الطبيب عزيز و الاستاذ نارايان و غيرهم من الهنود للشاي. و في حفل الشاي تمتع الجميع بالحديث عن جمال المناطق الاثرية في الهند، و توطدت العلاقة بين الطبيب عزيز و السيد

سيريل فيلدينج، كما توطدت العلاقة بين عزيز وأديلا، والتي أظهرت رغبتها في الزيارة إلى منزل عزيز، غير أن عزيز لجأ إلى الحيل. وفي تلك المناسبة وعد الطبيب السيدة مور و الآنسة آديلا أن يساعدهما في الرحلة لمشاهدة مجموعمة من الكهوف. و في الآونة الاخيرة للحفل لما ظهر المستر روني و رآى آديلا جالسة بتلقاء الطبيب و الأستاذ جودبول أيضا كان حاضرا تغير لونه و انتهى الحفل. غير أن اديلا أصبحت مرتابة في تلك الليلة في زواجها مع روني،و أخبرت السيدة مور إبنه روني بأن أديلا ليست مطمئنة به و تشعر أن الإنجليز يسيئون معاملة الهنود، و ربما بهذا السبب هي لا ترغب الآن في الزواج معك.

بعد ثلاثة أيام من حفل الشاي أصاب عزيز بالمرض ، زار إليه فيلدينج لمعرفة أحواله و تفاجأ جميع أصدقاء عزيز الهنود من زيارة رجل انجليزي. فانتهز فيلدينج هذه الفرصة و تحدث معهم عن الشوؤن السياسية و موقف إنجلترا في الهند و يتفاجأ الرجال بصراحته و انحيازه إلى انسحاب إنجلترا من الهند.

ولما حان الوقت لاستكشاف مجموعة الكهوف لم يتمكن فيلدينج من المصاحبة لانه تأخر في الوصول إلى محطة القطار. أما الدكتور عزيز فهو رافق السيدتين في رحلتهما ، و كان معهم جليل محلي، و حينما دخلوا الكهف الأول فشعرت السيدة مور بفوبيا من الأماكن المغلقة و سمعت صوتا عاليا مزعجا ورفضت مواصلة الاستكشاف، بينما استمرت آديلا مهمتها مع الطبيب و الدليل المحلي و صعدوا إلى الكهوف العليا. و بعد ذلك دخلوا الكهف الثاني فأديلا أضلت الطريق ولم ترجع. هرع الطبيب للبحث عنها و لكنه لم ينجح إلا أن نظرته وقعت على نظارات آديلا و هي كانت مكسورة على الأرض، فهو وضعها في جيبه.

و من ثم نظر الطبيب إلى أسفل التل و إذ به شاهد آديلا المجروحة التي

كانت تتحدث مع الآنسة ديريك، الفتاة الإنجليزية الأخرى، و هي انطلقت معها بسرعة كبيرة إلى محطة القطار. و في غمضة عين لمح المستر سيريل فيلدينج في أسفل التل فنزل الدكتور عزيز و اتجه مع صديقه إلى محطة سكة الحديد للعودة إلى شاندرا فور بالقطار، و لكن لسوء الحظ تم القبض على عزيز في المحطة بتهمة الإعتداء على آديلا في إحدى الكهوف. و في المحكمة صرحت الآنسة آديلا بان الطبيب حاول الإعتداء عليها و الإمساك بها مرات عدة، إلا أنها قاومته و سقطت نظارتها في تلك اللحظة. فالنظارة هي كانت الدليل الوحيد على جرم عزيز لدى المحكمة البريطانية. و من سعادة حظ عزيز بأن صديقه سيريل فيلدينج،رغم إدانته من قبل البريطان لخيانة الدم، عبر عن إيمانه ببراءة عزيز ، و كذلك السيدة مور ظلت متحايدة في هذا الأمر و تؤمن في براءة عزيز و تظهرها لدى ابنه المستر روني، و الذي كان منزعجا من تاكيد والدته مرا را و تكرارا على براءة عزيز، و كان يخاف من بقائها لحضور المحاكمة فرتب أمور عودتها على الفور إلى إنجلترا قبل أن تتمكن من الشهادة لصالح عزيز في المحكمة. غير أن السيدة مور توفيت في رحلتها قبل وصولها إلى إنجلترا.

و أثناء المحاكمة لما طرح القضاة أسئلة أمام آديلا فاتضح لها بانها تعرضت في الكهف لصدمة تشبه الصدمة ذاتها التي شعرت بها السيدة مور، حيث أرعبها الصوت العالي إلى درجة أنها أصبحت متوترة نفسيا، و اعترفت بانها لا تعرف من هاجمها. و بهذا البيان الصريح تم إطلاق سراح عزيز و لكنه لم يثق في الإنجليز إلى الأبد و لم يعد يريد ان يكون صديقا لهم.

و بعد مررو سنتين انتقل عزيز من شاندرافور إلى مدينة ماؤ – مسقط رأسه، وهي كانت على بعد مئات الأميال حيث اشتغل بمهنته الطبية و قرض الأبيات الشعرية، و كان يعيش حياة سعيدة. و لما بلغ هذا الخبر شد فيلدينج رحله إلى تلك المدينة، و لكن عزيز لا يريد أن يلاقيه لأنه علم بان

فيلدينج تزوج أديلا، و هي عنده خيانة كبرى. و مع مرور الأيام تأكد عزيز بأن صديقه فيلدينج لم يتزوج أديلا و إنما تزوج ستيلا إبنة السيدة مور، فتهدأ غضبه. بعد ذلك لقي صديقه و أعطاه رسالة لأديلا و شكرها فيها على شجاعتها في الاعتراف في المحكمة بانه بريء.

أهم شخصيات الرواية

أديلا كويستد- إمرأة إنجليزية شابة حريصة و مكبوتة إلى حد، معلمة في مدرسة بإنجلترا، تزور الهند مع السيدة مور لتعيين الزواج مع إبن السيدة مور. تحمل فكرة ليبرالية لمعرفة الهند الحقيقية، و في وقت لاحق تلوم عزيز بطريقة غير مباشرة بتهمة الإعتداء عليها في كهوف "مارابار" الخيالية.

الدكتور عزيز- طبيب هندي مسلم يعيش في شاندرافور، رجل ذكي وأرمل أيضا. في البداية يخجل من الإنجليزو يرغب في الصداقة معهم، لكن بعد التهم المفروضة عليه يكرههم، فهو مجسد بالتطرف و التناقضات. لا يكتفي بالبقاء في مهنة واحدة حيث يعالج المرضى و يقرض القصائد . رغم تناقضاته كان شخصية لطيفة ، كما يتضح من صداقته حتى اللحظة الأخيرة مع السيدة مور و السيد سيريل فيلدينج.

سيريل فيلدينج - رئيس الكلية بالقرب من شاندرافور، رجل حر يؤمن بتعليم الهنود كافراد. هذا التفكير تجاه تعليم السكان المحليين يختلف تماما عن تفكير معظم الإنجليز في الهند. بسبب التفكير الحر أصبح صديقا حميما للدكتور عزيز ووقف إلى جانبه ضد الإنجليز في شاندرافور عندما تم إلقاء اللوم على عزيز للإعتداء على أديلا.

السيدة مور - إمرأة نبيلة شريفة، مسنة في عمرها، سافرت الهند مع صديقتها الشابة أديلا لمعرفة الهند الحقيقية. من خلال نشاطاتها في الهند حاولت لسد الفجوة بين أهالي الدولة المستعمرة و المستعمرين، كما أدت دورا حياديا في قضية الإعتداء على أديلا و أكدت مرارا و تكرارا على براءة

عزيز لدى إبنه روني.

المستر روني - إبن السيدة مور والموظف القضائي في مدينة شاندرافور. كان مجسدا بالعصبية العرقية ، و يؤمن في تفوق الإنجليزو سيادتهم في العالم، يعرف لإساءة المعاملة مع الهنود و ذلهم وتحقيرهم، و هذه الفكرة الدنيئة أدت إلى صرم العلاقة مع أديلا التي حضرت الهند للزواج معه.

زمكانية الرواية

تعد رواية " رحلة إلى الهند " لوحة فنية تتداخل فيها الأبعاد المكانية و الزمانية بشكل المخيلات و التصورات. لا يقتصر دور المكان و الزمان في هذه الرواية على تقديم إطار زمني و مكاني للأحداث ، بل يتجاوز ذلك ليصبحا عنصرين أساسيين في بناء المعنى و تشكيل هوية الشخصيات.

تعتبر كهوف " مارابار" الخيالية أكثر من مجرد مكان جغرافي، فهي رمز قوي يحمل في طياته تاريخا وحضارة وشعبا، هذه الكهوف المظلمة تتجاوز كونها مجرد خلفية للأحداث لتشكل شخصيات حية في الرواية، تصبح مكانا رئيسيا يدور حوله الرواية بأجملها. فالشخصية الرئيسية أديلا كويستد تربط علاقة وثيقة بين الشرق و الغرب، و لا تتأثر بالأفكار السائدة بين معظم البريطان.

و على نفس المنوال، تلعب مدينة "شاندرافور" الخيالية دورا حيويا في تشكيل الأحداث، حيث تجتمع فيها الشخصيات للرواية بمناسبات مختلفة لأغراض متنوعة، وتنعقد فيها حفلات و اجتماعات و برامج، و تتخذ قرارات لصالح الهنود أو ضدهم. فهي كانت مركزا رئيسيا لتنفيذ السلطة الإمبرالية البريطانية.

و أخيرا و ليست بآخرا، مدينة " ماؤ"أصبحت ملجأ للدكتور عزيزحيث قضى ما بقي من حياته مع أولاده وعائلته حياة سعيدة و بهيجة بعد انزعاجه في شاندرافور بالتهم المفروضة عليه من قبل أديلا – المعلمة البريطانية ، و التي كان يرغب فيها.

كما تتداخل في الرواية مرحلة زمنية تاريخية، و هي مرحلة الاستعمار البريطاني للهند. جرت جميع أحداث الرواية في زمن كانت الهند تحت سيطرة الإنجليز الغاشمين. لذا،تتجول الرواية بنا، من البداية إلى النهاية، في عمق تلك الأفكار العنصرية و الأيدولوجية المبنية على التفرقة العرقية، و المعاملات السيئة التي كانت يتلقى الهنود في كافة جوانب حياتهم.

الخاتمة

وبعد مرور حوالي مأة عام على تاليف هذه الرحلة الروائية ، ما زالت متوغلة في القدم مثلما كانت دوما. و تعتبر إنجازا عابرا للزمن بشكل غريب، و تعد واحدة من أعظم روايات القرن العشرين. و يتبين من قول الدكتور عزيز " أنا هندي في نهاية المطاف" بأن المحاولات التي بذلها الدكتور لتوطيد أواصر الصداقة بين العرق المتحكم و الخاضعين للاستعمار لم تتكلل بالنجاح. كذلك المساعي التي بذلها صديق الدكتور عزيز عميد الكلية البريطاني السيد فيلدينج فشلت في الحفاظ على صداقته ، لان كل شيء يسير في الاتجاه المضاد ، ولا يستطيع الإنسان وحيدا أن يخلق جوا ودودا ، و مهما حاول المرء أن يظهر نفسه حياديا ، لكن كل فريق يراه مائلا إلى الفريق الآخر. على كل، قضية الشرق و الغرب لم تقترب من الوصول لحل حتى اليوم، ربما تجازوت مما كانت عليها قبل مئة عام.

المصادر و المراجع

1. E.M.Forster, A Passage to India,Harcourt Brace, UK,1924
2. رحلة إلى الهند ، إدوارد مورجان فورستر، الترجمة: دائرة الترجمة في الدار، دار البشير للطباعة و النشرو التوزيع، دمشق-بيروت.
3. سالم الرحبي، الصداقة المستحيلة في رحلى إلى الهند، يناير 2022م،صحيفة " الرأي"، عمان.
4. هناء حجازي، الطريق إلى الهند، جريدة الرياض، المملكة العربية السعوية.
5. ممر إلى الهند-https://thebah4.com/2021/08/03/%D9%85%D9%85%D8%B1%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%86%D8%AF

***

د. جاويد نديم الندوي*

الهند كما وصفها محمد المخزنجي: مشاهد و انطباعات

للهند شأن عجيب . يا للروعة ! روعة الطبيعة : جمالها وفتنتها وبهاؤها. تأخذ الإنسان في الحيرة. في جانب هناك سلسلة الجبال ، وفي جانب آخر امتداد الرمال، وفي أطرافها بحار، وفي داخلها أنهار ، تمر بصخور راسيات ومسارات ذات أطوار ، وفي جوانبها مزارع وأشجار، تتدلى أغصانها بحمل الأثمار ، وأخرى من غير الثمار، تعيش في ظلالها حياة فاقدة الخيار، حتى في المدن ، بل في العاصمة دهلي أيضا، التي هي ناصية البلاد. تحير بها الرحال محمد المخزنجي الذي زار البلاد فاندهش بما رأى كما رقم في رحلته .

محمد المخزنجي كاتب رحال ، ولد في مدينة المنصورة ، بمصر ، تخرّج في كلية الطب بجامعة المنصورة ، وحصل على درجة الاختصاص العالي في طب النفس والأعصاب من معهد الدراسات العليا للأطباء بمدينة كييف، عاصمة أوكرانيا، كما حصل على اختصاص إضافي في الطب البديل من المعهد ذاته . مارس الطب النفسي في مصر، و عمل إخصائيا في بعض المستشفيات. **أديب وكاتب مصري بارز. عمل طبيبًا للأمراض النفسية والعصبية، قبل أن يتفرغ للكتابة الإبداعية. صدر له عدة مجموعات قصصية. والدكتور المخزنجي أحد كتاب مجلة "الإنساني" منذ انطلاقها في العام** 1998 **(1).** هجر الطب والتحق بأسرة تحرير مجلة العربي في العام 1992م ، ثم عاد إلى مصر، وعاش فترة من الزمن في سوريا ، ثم عمل كمستشار تحرير مجلة "العربي" من عاصمة مصر القاهرة . له سبعة كتب

* الأستاذ المساعد قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مولانا آزاد الأردوية الوطنية حيدرآباد ، الهند

في القصص، وكتاب علمي عن الطب البديل، وكتاب في أدب الرحلات، وكتابان قصصيان في الثقافة البيئية للأطفال. يسجل نجيب محفوظ موقفه عنه قائلا : "إنه موهبة فذة في عالم القصة القصيرة" (2). وقال يوسف إدريس : "يمكننا أن نكوّن من قصصه باقة من أجمل القصص العالمية" (3).

مؤلفاته رائعة جاذبة قوية البيان، متماسكة الأسلوب، صريحة التعبير، تتناول جوانب متنوعة من الموضوع كما تلقي الضوء على مدى عقود عن معاناة الإنسان وتطلعاته في الحياة. إنه زار بلادا متعددة من آسيا وإفريقيا مثلا الصين وفيتنام و كمبوديا وميانمار علاوة على جنوب إفريقيا والسنيغال وزيمباوي إضافة إلى نواحي مختلفة من العالم (4). فأجاد قلمه في ذكر ما رأى إجادة نادرة، كما رزق بالأسلوب الجميل في التعبير والتصوير اللفظي. وقد بذل المؤلف وسعه في إنتاج المقال والقصة والرواية والقصة القصيرة أيضا، وأبدع في فنون الكتابة حالما بسعادة البشرية (5).

أناقة الهند وجمالها

زار الرحال الهند بعد أن سمع وقرأ عنها بشكل واف (6)، ففتنه جمال آثار المغول التي رآها في أرضها، ففي مدينة دهلي، عاصمة البلاد، حظي بمشاهدة مقبرة الإمبراطور المغولي هومايون، ومجمّع منارة القطب، المعروفة بـ"قطب مينار"، وكلتاهما ، رغم كونهما من الآثار القديمة ، لاتزالان ساحة الجمال والبهاء إلى جانب الحُجة القاطعة على التفوق العلمي والفني والمعماري. يسجل الرحال إحساسه الذي استولى على شخصيته برؤيتهما ، فيقول: "وآثار المغول التي رأيناها في الهند، ففي دلهي أيضا قيض لنا أن نشاهد مقبرة الإمبراطور المغولي "هومايون" ومجمع منارة الكتب " كوتوب مينار"، وكلاهما - برغم آثار الزمن - مازال ساحة من النظافة والرحابة والزهور والخضرة والشموخ، وهي سمات تتصف بها إنجازات

المغول المعمارية الذين يتألق في آثارهم ولع مشبوب بحب البساتين وقنوات المياه، فكأنهم كانوا يتخيلون المكان في البداية بستانا ثم ينثرون في أرجاء البستان أبنيتهم، حتى المقابر". (7)

فتلقى من المشهد أثرا بالغا تسرب إلى قلبه، وجعل يتخيل عن اهتمام المغول بحسن نظامهم وجمال الترتيب والتنسيق في أمورهم وشؤونهم. كما تجلى له أنهم كانوا يمتلكون طبيعة لطيفة مع زاد الفكرة العالية في الزينة والأناقة. فأقبل على أفضل تعليق مما استوحى من ذلك المناخ العطر الذي فاحت منه رائحة طيبة وبعثت السرور والفرح في شرايينه حتى بدأ يتفكر في مقابر المغول بذكر ما فيها من محاسن. فصرح أن المغول ما كانوا يعتبرون مقابرهم مكانا ضيقا حيث وضعت الروح مسجونة في المقبض، بل كانوا يعتقدون أنها موضع الترحيب بقضاء الله، لأن الموت حسب عقيدتهم سكينة ممتدة، تستريح عظام الجسد تحت الثرى في حجرة من حجر العالم الآخر، فروح و ريحان وجنة نعيم (8). ويروق ذلك المناخ للأرواح حيث تطوف في رحاب الظل المشهود إضافة إلى ما تتمتع به في الخلود من ظل ممدود. والخضرة الممتدة على الأطراف تنعشهم بالبهجة والسرور. ورقرة الماء علامة ترمز إلى وفرة السكينة والطمأنينة. فمقبرة الإمبراطور المغولي "همايون" أشبه بمدينة تسودها السكينة، محفوفة بالزهور. وهناك مدخل شامخ، يشبه بنفق يمر تحت قوس طابية منيف، ويمتد الطريق الطويل على جانبي قناة (جف الآن ماؤها) وعن اليمين وعن اليسار تمتد البساتين التي تزيدها نضرة ورونقا.

بهاء تاج محل

سحر لُبَّ الرحال بهاءُ تاج محل بعد أن ظهر له مبناه الوضيء المشرق ، فانغمس في حسنه و جماله، حتى صاح من صميم قلبه إنه مختلف تماما، وقد انبجس هذا الصوت من أعماق فؤاده. فتطرق إلى

وصف ما خطر بباله من رؤية المبنى العملاق، وعبر عن نزوات حسه. تجد في وصفه أجود ما اختصت به الطبيعة من حسن المناظر ومفاتنها. فإذا اقترب من الموقع انطلق نحو البهو وانعطف إلى المدخل حتى واجهه مبنى تاج محل الذي يبدو تحت أديم السماء الزرقاء وفي المناخ المشمس كأنه لؤلؤ رخامي لماع. فاندهش بما رأى حتى شهد قلبه إنه شيء آخر، يختلف تماما عن كل الصور التي مرت بها حياته فيما سبق. جودته عظيمة فائقة. فهو أحق بأن يعد من إحدى عجائب الدنيا السبع. لأنه يمتاز امتيازا ولا تكمن أعجوبة فنه عن عين شاهد وتتجلى دقة معماره تجليا باهرا ويجذب كل من قام إزاءه كمال تناسب أجزائه والصفاء المطلق لبياضه المقدود من المرمر الخالص. فاندفع الرحال بهذا الاحساس العجيب إلى عالم جديد بعيد عن التعبير حتى أخذ يظن نفسه في حلم، ولازمه هاجس خافق بأن هذا المبنى البديع الضخم يوشك أن يطير به إلى ارتفاع الفضاء ويودعه إلى صفاء زرقة السماء أو ربما يتلاشى في بياض السحب الفضي. إنه نادر فريد بكل من الاعتبار. فلذلك قام بتأييد ما قاله الكاتب "ادوار لير" عندما رأى التاج محل لأول مرة، فتولته الرهبة والانبهار حتى أصدر بيانه قائلا: "من الآن فصاعدا يجب أن يقسم سكان الأرض إلى فئتين، أولئك الذين شاهدوا التاج محل، وأولئك الذين لم يشاهدوه". (9)

وبالرغم من أن الزمان قد طال منذ القضاء على حكم المغول في الهند ولكن الحرفة التي قام المغول بتأييدها وتعزيزها في عصورهم الزاهية لاتزال باقية مشهودة في أطراف الشوارع داخل بلدة "آجرة"، والمحال المتواجدة، فيبيع أصحاب الصنعة منتجاتهم الرخامية التي تنم عن خبرتهم ومهارتهم الفائقة، وكذلك الأشياء الأخرى التي تغري الزوار بجمالها وأناقتها الفريدة، فيسجل مشاهدته في الكلمات كما تلي: "لقد باد حكم المغول في الهند، ولم تبق غير السيرة والآثار، لكن المدهش أن سلسال الحرفيين

المسلمين المتخصصين في تطعيم الرخام بالأحجار الملونة الكريمة وشبه الكريمة لم ينقطع أبدا منذ أتوا إلى أجرا لتشييد تاج محل، فمازال أحفادهم يحفظون سر الصنعة البديعة ويرصعون صفحات المرمر بزهور خرافية في ورش تطعيم الرخام التي زرناها ولم نمكث بين روائعها على هوانا كما تمنينا، إذ باغتتنا هيلاري كلينتون وابنتها اللتان جاءتا لزيارة المكان، فأبعدتنا عنه مع غيرنا قوات الأمن". (10)

بلد التقدم العلمي

كلما تقدم السائح برؤية المناظر اشتدت رغبته في معرفته مزيدا عن هذا الإقليم ، لأنه وضع الهند في درجة الدول العشر الأكثر تقدما علميا والمكتفية بالذات اقتصاديا. فيخرج متنزها في أكناف العاصمة دلهي حيث وجد أكشاكا صغيرة في سلسلة على طرف ميدان. فذهب إلى واحد من هذه الأكشاك جرّب نصيبه باتصال دولي. وتمت عملية الاتصال، بيسر شديد ومبلغ متواضع ، وجهاز متقدم يَستخدم تقنية الأقمار الصناعية التي هي من إنجازات الهند. وتحير بما شهد أنّ الجهاز يوضّح كل شيء على شاشة رقمية مضيئة مثلا الرقمَ المطلوب ، والوقت مع ذكر الثواني بالضبط لمدة الاتصال، والسعر على ذلك حسب مدة الاستخدام. ثم يصدر الجهاز فاتورة وهي النتيجة النهائية فور انتهاء المكالمة. فبدا في ذهنه أن الهند هي بلد قطع شوطا ملحوظا في الرقي. وهي إحدى الدول العشر الأكثر تقدما علميا على مستوى العالم مع أنها مكتفية غذائيا. ويمكن تقدير اكتفاءها الغذائي أنها توشك على أن تصدر القمح أيضا. ولها حلول مبتكرة في مجالات متعددة.

خلال مروره بشوارع المدينة يراقبها بانبهار شديد وعناية وافية حيث تجري سيارات هندية متتالية فتعرض لاحساس غريب خليط بالمفاجأة والقدرة العلمية والفنية التي أنجزها المواطنون من هذه البلاد، فيرقم الذكاء الهندي باهتمام على أساس ما وجد من سيارات فيات (Fiat Cars) واسكوتر الفسبا

(Vespa) من طراز هندي تتسارع على الشوارع في عدد كبير، فيوحي قلمه انطباعات متميزة في عالم الحيرة والاستعجاب. وهذه السيارات قديمة الطراز، ما يدل على ذكاء الهند وفطانتها في مجال الصناعة منذ القدم. ولكن في نفس الوقت يمس جانبا من السخرية بما اعتقد أن الهنود اشتروا مصنعا كاملا من الغربيين الذين أرادوا التخلص منه. فأخذه الهنود بسعر زهيد وعملوا على ترميمه وتطويره، ولايهمهم الشكل ما دام يكفيهم في سد حوائجهم. وكذلك يفسر التدبير الهندي الذكي في سياق تعليقه على هيئة آتوركشا (Auto rickshaw) إذ يقول إنه شيء مشابه بالاسكوتر "الفسبا"، فيبنون عليها كابينة تَسَع لشخصين إضافة إلى السائق، وهي تنطلق بثلاث عجلات في أسراب هائلة صفراء وسوداء في الشوارع. واعترف بأن الهند أكبر منتج لها في العالم. وإن كان هذا التطور الميكانيكي دليلا على التفنن التقني، ولكن توجد هناك صورة أخرى ما يكفي لإضافة مفاجأة الرحال أنهم لم يعفوا عن الدراجات أيضا، فأحالوها إلى عربات مكشوفة. يركبها سيدات أنيقات ورجال محترمون ويجلسون عليهابشعور من الوقار والطمأنينة،بينما هذه السايكل ريكشا يجرها فتى نحيف بوضع قدميه على البيدال (Pedals). فيبذل قوته الجسمية ويعمل بهمة عاليةلإيصال الراكبين إلى أهدافهم.

بلد العجائب

يزيد الرحال اندهاشا عندما زار مجمّع قطب مينار، بجنوب دلهي، فرأى هناك أناسا يجتمعون في جانب حيث صحن واسع مكشوف. فرغب في معرفة السبب وراء هذا الاجتماع الغريب حتى اقترب منهم فوجد أنّ جمعا من الناس يعتلي منصة ينتصب في وسطها عمود فولاذي. يتنافس كل شخص من الجمع في انتهاز الفرصة ليحيطه بذراعيه من خلاف،لتلامس أطراف أصابع يديه بعضها بعضا، وهو يكابد مكابدة في قصده بعد أن

يلصق ظهره بالعمود، وهو يتمنى ما تمنى عندئذ. فمن نجح في تلامس الإصبعين من يديه، له البشرى بأن أمانيه سوف تتحقق. والعجيب، أنّ البشر لا يكفون عن الحلم حتى في وضح النهار وعيونهم مفتوحة وعلى مرأى من الناس.

ثم يتطرق إلى بيان الأسطورة التي تنتمي إلى هذا العمود الفولاذي (Iron Pillar) . إنّ هذا العمود لايمكن تخمين عمره إلا أنّ هناك أقوال من الناس ترجعه إلى ألف عام، بل حتى ألفي عام. ومن الغريب أنه لم يصدأ أبدا. والعلماء يجدون أنفسهم عاجزين عن تفسير هذا السر الخفي حول نجاة حديد هذا العمود من الصدأ. ولميستطع الرحال أن يتخلف من هذه المغامرة حتى أقبل على العمود وبذل قصارى جهده في إحاطة العمود بذراعيه من خلاف. وكان حلمه طبعا يرقص أمام عينيه مثلهم. ولا ندري هل تكلل بنجاح في هذه المهمة أم لا، لأنه لم يذكر عنه شيئا، إلا أنه لقي ما لقي بالتأكيد وهو الوجع الشديد في عضلاته عبر الجسم لليومين التاليين.فلم تبرحه هذه الآلام لمدة يومين على الأقل وفق بيانه. ولم تكن الأصابع قادرة على أن تتحرك أو تنطوي بعد أن بذلت جل جهدها في مغامرة التلامس حول العمود.

ثم صادف مشهدا آخر جلب فيه إحساسا جديدا بحياة الإنسان الذي يعيش في الحدائق. حياة لاتقل عن تحدي من أنهم يتوسدون العشب عند النوم. ومجموعة من الناس يستحمون ويغسلون الملابس عند صنابير الماء في الحديقة، ويتخذون من أغصان الأشجار مناشر لتجفيف ثيابهم القليلة في ضوء الشمس. وهناك مقاهي تحت الأشجار وعلى أرصفة الشوارع يشترون منها أغراضهم ويتخذون مقاعدهم على العشب في ظل المناخ الطبيعي ، ومناضدهم أفاريز المماشي. ثم التفت إلى جهة حيث لاحظ الصبيان والفتيان حوّلوا ركنا من أركان الحديقة إلى ملعب كريكت، وهي

لعبة مقبولة في الهند. يتبارى فيها صبية حفاة بمضارب من ألواح خشب الصناديق ودروع من الخرق حول قصبات سيقانهم. يعكس هذا المنظر الحيوية والنشاط في عروق الجيل الجديد رغم شدة البؤس والمعاناة. وفي نفس الوقت تتأكد به قوة الإبداع والمهارات الابتكارية لدى هؤلاء الناشئين.

لم يكن الأمر أنّ الرحال زار الهند فجأة ، من غير معرفة سابقة ، بل إنه تعرف على الهند، حسب قوله، عن طريق شاعر الهند المعروف بـ "طاغور" (11)، الذي نال شهرة عالمية بأشعاره و قصائده، وخاصة بين العرب الذين لهم إلمام فائق بالشعر والأدب. وإلى جانب هذا عرف الهند من خلال الكتاب الشهير لإنديرا غاندي (12) سمي بعنوان "سرمدية الهند" (Eternal India) (13)، عرضت فيه صورة رائعة لوطنها العزيز. فعلى أساس معرفته السابقة بالهند ظل يقارن ما بدا له أمام عينيه من حياة ومشاهد، فصادفه نوع من الاصطدام بين ما برز في تخيّله عن قراءته وما شاهده من نظره مباشرة. وهو يحاول أن يدرك الحقيقة من خلال هاتين الصورتين.

بلد التناقضات

دخل السوق حيث تباع تلك السلع التجارية التي اشتهرت بها الهند عالميا منذ العهد القديم وخاصة بين العرب الذين مارسوا التجارة من هذا القطر إلى الأسواق العالمية، فاكتشف هناك عالما بعيدا عن الخيال. بدأ دخوله من جناح العطور فوجد أفضل العطور الهندية الطبيعية الثقيلة، وللهند منزلة عالمية في صناعة العطور. ثم انتقل إلى جهة التوابل، فكانت هناك تجربة متباينة. توابل لها نكهة ورائحة وطعم. طعم الطازجة. والزيوت مثلا زيت الياسمين والنرجس والورد واللوتس والهال الأخضر. ثم الفلفل والكاري والشطة. روائح.. روائح.. روائح. وألوان.. ألوان.. ألوان. ولم يكد يفق من آلام هذه البيئة الكئيبة للسلع العالمية حتى ظهر له منظر آخر إذ اجتمع حوله

عدد من الصبيان المتسوّلين تغلب في وجوههم علامة الفقر والبؤس والمسكنة، ولكن على لسانهم لغة إنجليزية فصيحة.ارتبك به ارتباكا. وما استطاع أن يتخلص من حلقتهم التي جعلوها حوله سائلين باللغة الإنجليزية "أو مستر!فيفتي روبيز،فيفتي روبيز. وما كان سؤالهم لأقل من خمسين روبيه، وهي كانت تساوي آنذاك حوالي دولار ونصف. و من أجل البيان عن حالتهم وإبهار المخاطب عاطفيا كانوا يشيرون إلى أفواههم كناية عن شدة الجوع ولزوم الطعام. ولم يكف إذا أعطي أحدهم فلسا أو فلسين أن ينجلوا عنك. بل كانت هناك سلسلة، ما أن تزيح واحدهم حتى يعود للتعلق بك آخر. أجسامهم نحيفة وخفيفة ولون عيونهم مثير للدهشة. بني طحيني فاتح. عيون واسعة وذكية وجميلة، برغم نحولهم وعليهم بقع سوء التغذية والحفاء. ولكن لم يدهش الرحال به ولم يكن قلقا بفقرهم وفقر ذويهم. لأنه تأكد أنهم ما كانوا يحسون بالفقر أو الجوع. بل إنهم قد اتخذوا نمطا من أنماط الحياة وسط الزحام. فجعل يتفكر في طبيعة الإنسان كيف يرضى لنفسه الذلة والإهانة من أجل بعض المكاسب الصغيرة. الإنسان لا يكون فقيرا أبدا إلا إذا كسره الإحساس بذلك. فما كانوا فقراء بالقطع.

إثر تجربته مع الصيبيان المتسوّلين توجه إلى المسجد الجامع (14) المعروف الذي بناه الإمبراطور المغولي شاه جهان (15)، بعظمة إمبراطورية، ولكنه الآن مع مرور الزمن، وقع في وضع حزين متوجع، يصارع الظروف القاسية لبقائه مدى حياته. إنه أطل من شرفة القلعة الحمراء العالية على مدينة دلهي المترامية، فظهر المبنى أوضح الصروح التي يمكن لمحها من فوق أسوار القلعة.و"مسجد جاصي" أي مسجد الجمعة يعلن الشوكة المعمارية للشاه جاهان، وإن عبثت بها الآن يد الزمن، والإهمال المتعمد، أو غير المتعمد، أمر يتطلب البحث. ففي وقت كان يمر عبر الطريق المؤدي إلى أكبر مساجد

آسيا وأكثرها بؤسا وهو"المسجد الجامع"، وجد على جانبي القناة التي جفت مياهها وفي حوضها المغبر كانت أكداس البشر المهلهلين تنداح ويجول بائعو عاديات وخرق قديمة وانتيكات مكسرة، وتباع أطعمة رصيف حريفة وبذورات من الحمص والحلبة المنبتة وحب العزيز. وكذلك متسولون مبتورو الأعضاء وماعز تسرح على هواها. ومجموعة تتحلق في وجوم حول مكبر صوت صغير يتعلق بعريشه مقهى متواضع. هذه هي صورة قبالة مسجد تاريخي يعرفه العالم ويزوره باشتياق لمعرفة عظمته وشأنه. فجرح قلب الرحال بهذه الصورة المؤلمة وعبّرعما وجد في نفسه جانبا من الكآبة،أنّ المسجد الآن يرثي برغم ضخامته التي لا يضارعها شيء من مساجد آسيا كلها. فالطريق إليه كأنها طريق الآلام حيث تنتشر أكداس البشر والقذارة التي لا حد لها. وسط هذا الحشد المتحرك وجد المخزنجي رجلا نحيفا شبه عار ممتدا على الرصيف يقرأ رواية لنيبول باستغراق شديد واسترخاء. كانت هيئته تقدم منظرا طريفا للغاية. فأراد رفيق الرحال أن يضبط هذا المنظر بالتصوير. ولكن في نفس الوقت تنبه الرجل بعمل التصوير ونهض بجدية متلفظا بالإنجليزية "أوكي! أوكي!"، مائة روبية للصورة الواحدة. فانفجرا في الضحك وابتعدا منه بغير تأخير. فما كان منه إلا أنه أشاح عنهما بازدراء لحظي. وعاد إلى القراءة والاسترخاء في رحاب مملكته الترابية التي لاتمتد أكثر من نصف متر على الرصيف. هذا أيضا نموذج من الحياة وسط طوفان البشر. فمما لاشك فيه أنّ الهند تتميز بالعجائب والنتاقضات.

هوامش:

1 - محمد المخزنجي ، مجلة "الإنساني" تصدر عن المركز الإقليمي للإعلام ، اللجنة الدولية للصليب الأحمر https://blogs.icrc.org/alinsani/contributor/4947/

2- في وصف محمد المخزنجي على موقع foulabook.com/ar/author/

3 - نفس المصدر

4 - محمد المخزنجي ، "جنوبا وشرقا رحلات ورؤى"، دار الشروق ، القاهرة ، مصر

5 - محمد شعير " ذكرى لقاء قديم لربع ساعة تعيد محمد المخزنجي إلى الظهور"، جريدة "العرب"، الجمعة 2024/07/05 alarab.co.uk

6 - محمد المخزنجي ، مجلة "العربي" استطلاعات ، "الهند ، دلهي- أجرا – جايبور" ، العدد 441 ، أغسطس ، 1995

7 - محمد المخزنجي ، مجلة "العربي" استطلاعات ، "الهند ، دلهي- أجرا – جايبور" ، العدد 441 ، أغسطس ، 1995

8 - سورة الواقعة ، آية

9 - محمد المخزنجي ، مجلة "العربي" استطلاعات ، "الهند ، دلهي- أجرا – جايبور" ، العدد 441 ، أغسطس ، 1995

10- محمد المخزنجي ، مجلة "العربي" استطلاعات ، "الهند ، دلهي- أجرا – جايبور" ، العدد 441 ، أغسطس ، 1995

11 - طاغورشاعر هندي بنغالي له قصائد حاز جائزة نوبيل في الأدب في عام 1913م ، وهو أول أديب من القارة الآسيوية نال الجائزة.

12 - إنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند السابقة، ولدت في عام 1917، وقتلت بالرصاص في عام 1984، نالت شهرة عالمية ولها كتب

13- سرمدية الهند كتاب يحتوي على المعلومات عن الهند وعادتها وتقاليدها والحياة الاجتماعية بين شعبها مع عرض الصور منها. [1]

14 - المسجد الجامع بناه الإمبراطور شاه جهان ما بين عامي 1644 و1656 .

15- الشاه جهان الإمبراطور المغولي ، اسمه الحقيقي ميرزا شهاب الدين محمد خرّم، حكم الهند منذ 1628 حتى عزله عن العرش في عام 1658.

***

د. محمد أنظر الندوي *

أدب الرحلة العربية المعاصرة إلى الهند - دراسة واستعراض

ملخص البحث

الهند دولة متعددة الثقافات وواحدة من أكثر الدول تنوعًا عرقيًا، مما يجذب المؤرخين والجغرافيين والكتاب. ولم يقتصر الأمر على العالم الغربي فحسب، بل لقد لفت انتباه العالم الشرقي أيضًا. كما اهتم العالم العربي باستكشاف الهند منذ قرون.

عُنِيَت الرحلة العربية عبر تاريخها بأمور شتى؛ باكتشاف الأرض، واكتشاف الإنسان الآخر، وإعادة اكتشاف الذات. وقد عُنِي الباحثون بأدب تلك الرحلات العربية القديمة، حتى ظلت أسماء أشهر رحّالتها العرب والمسلمين في القرون الماضية أمثال: سليمان التاجر (ت 225هـ)، وأبو الزيد حسن السيرافي (ت 224هـ)، وأبو دلاف (ت 331هـ)، وصاحب عجائب الهند برزك بن شهير يار الفارسي (ت 300هـ)، وابن بطوطة (ت 779هـ/ 1377م)، وابن جبير، وأبو الحسن المسعودي (ت 346هـ/ 957م)، والبيروني (ت 440هـ/ 1048م)، والمقدسي (ت 375هـ)، وابن فضلان، وغيرهم، أيقونات تستدعيها الذاكرة الشفاهية باستدعاء ذلك النوع الأدبي. لقد قدم هؤلاء الرحالون المشهورون وصفًا طويلًا لطقوس الهند الدينية وأعرافها الاجتماعية والثقافية ووجهات نظرها التقليدية في أعمالهم.

حفلت كتب التاريخ والثقافة والأدب بذكر الهند والتعريف بأحوالها وثقافتها، ونقلت صورتها بألسنة عربية وغربية. والمتتبع أدبَ الرحلة العربية

* الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العربية، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدرآباد، الهند

يجد أنها لم تقف الرحلة العربية في استكشافها الهندَ عند هؤلاء في القرون الماضية، بل فتحت الأبواب على مصاريعها لمن جاء بعدهم، واستمرت في سيرها إلى عصرنا هذا. ففي العصر المعاصر، قد صور العديد من الكتاب والرحالة العرب الهندَ من خلال قصص رحلاتهم، لتصوير تاريخ الهند وحضارتها وثقافتها وأعرافها الاجتماعية وعاداتها الدينية وكل ما رأوه خلال رحلاتهم إلى الهند.

ولذلك اخترتُ أن أركّز في هذه الورقة على بعض الرحلات العربية المعاصرة إلى الهند. ولا تبقى لي حاجة إلى أن أشير أن لكل رحلة تفاوتا في المتن والأهداف، ولكل منها انطباع مثير، ونكهة خاصة، وطابع مميّز.

ومن أمثلة هذه الرحلات العربية المعاصرة يمكن التوقف مثلا عند: (سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير)، للأمير يوسف كمال، و(الهند .. أسرار ومفاتيح) للأديب السفير الدكتور إيهاب الشريف، و(الهند كما رأيتها) لفتح الله أنطاكي، و(مشاهدات في الهند) لأمينة سعيد، و(قصور وحكايات راجستان) وهو فصل في كتاب "آسيا بعيون العربي" ليحيى مطر وعدسة الفنان جعفر إصلاح، و(جنوبا وشرقا - رحلات ورؤى) للأديب المصري محمد المخزنجي، و(نهرٌ على سَفر) لأشرف أبي اليزيد، و(الطريق إلى كَريشنا: رحلات في كشمير والهند) بقلم سناء الشعلان، و(رحلاتي في العالم) لنوال السعداوي، وما إلى ذلك.

والغرض من هذه الدراسة هو وصف خصائص رحلاتهم وكيف يمكن تمييزها عن الآخرين وما هو تأثير هذه الرحلات على الأدب.

الكلمات المفتاحية: الرحلة العربية، الهند، الترجمة، الطبقات الهندية، المنبوذون، البراهمين

المدخل إلى الموضوع

وفي السطور التالية سندرس 11 رحلة عربية، ومعظمها الرحلات العربية المعاصرة. وقد تعكس هذه الرحلات المناحي المختلفة للحياة في الهند، ويستطيع الدارس أو القارئ لها أن يطلع على حياة الهنود وعاداتهم وتقاليدهم وطبقاتهم وغيرها عن طريق هذه الرحلات المدروسة.

(1) سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير، رحلة الأمير يوسف كمال هي رحلة أميرية إلى الهند عام 1915، موسومة بـ (سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير)، للرحالة والجغرافي المصري الأمير يوسف كمال، الذي تميزت كتابته بالصدق والأمانة والموضوعية(3).

ورحلة الأمير يوسف كمال واحدة من تلك الرحلات العربية ممن "يحملون إرثا فكريا عريقا يتسم بالتسامح، والاتساع، والإيمان. وهذا هو الأهم ، باختلاف الآخر، واحترامه، مهما تباينت عاداته ومعارفه ونظمه الاجتماعية والخلقية، وأديانه ومعتقداته"(4).

يقص الأمير يوسف كمال في هذه الرحلة قصة رحلته نحو التيبت الغربية وكشمير، وقصْده إليها للصيد والاستجمام إبان الحرب العالمية الأولى، وقد دونها على منهج يوميات، يقطعها بالتاريخ الذي استقاه من دراساته، قبل أن يعود لتدوين مشاهداته. وهو يقول في ختامها عن هذه الرحلة:

"قد انتهت سياحتي الثانية في البلاد الهندية وكشمير وإقليم التبت الغربي، وها آنذا في وطننا العزيز من زمن، وقد غادرت الأقطار الهندية، ولكنني أشعر بأن كل ما رأت عيناي مطبوع في مخيلتي، ومحفوظ في ذاكرتي، على تلك اللوحة الحافظة التي ما زالت تذكرني بتلك البحار الواسعة التي عبرتها، والبلاد الجميلة التي رأيتها، والجبال الشاهقة التي علوتها، والغدران العديدة التي شربت من مائها، والغابات الكثيفة التي نزلت بها، والحيوانات الوحشية التي طاردتها، وتلك الأمم المختلفة التي عشرتها، وتلك العادات المختلفة التي

شاهدتها، ووجدت من بينها ما يشبه ما هو معلوم عندنا ومتبع في بلادنا، وما هو مجهول لنا لعدم وجوده عندنا...

لما وصلت إلى أول بلدة من بلاد الهند، وهي مدينة بومباي، واختلطت بأهلها قلت في نفسي: هل أنا في مصر، أو يكفي المرء أن يكون في بلاد شرقية مهما كانت، حتى يرى من التشابه العظيم ما يجعله يظن أنه لم يفارق بلاده؟ ولكنني أدركت في الحال أن للمؤلفات التي قرأتها في وصف بلاد الهند، وأهلها، تأثيرًا أخذ يتغير، خصوصا لما رأت عيناي شرقيي بلاد المشرق، فأردت أن أزيل عن نفسي كل تأثير مما علمته بوساطة غيري وأخذت أرى، وأقيس ما أشاهده بما في بلادي"(5).

(2) **الهند: أسرار ومفاتيح للدبلوماسي د. إيهاب الشريف**

ثمة نوع ثالث لأنواع الرحلة العربية المعاصرة إلى الأدب الهندي، وهو رحلة دبلوماسية للكاتب والمصور السفير د. إيهاب الشريف. إنه جعل من سنوات سفارته إلى الهند رحلة استكشافية، يعني إنه تمكن من اكتشاف الزمكانية والإنسان سواسية، فجاء كتابه الموسوعي تحت مسمى (الهند: أسرار ومفاتيح) في 497 صفحة(6).

يعتبر هذا التأليف الموسوم بـ (الهند: أسرار ومفاتيح) أول كتاب يقدم الهندَ كلها بعيون عربية ورؤى عربية، حيث يكتب مؤلفه الأديب والدبلوماسي الدكتور إيهاب الشريف قائلا:

"متعة الألوان التي تستهوي المصور ليست كل ما في جعبة الهند.. فهذا البلد استطاع أن يُخرِج أفكارًا تزيد أضعافًا عن عدد كأنه الذي تجاوز المليار نسمة، والغريب أنه رغم اختلاف وتنوع تلك الأفكار من النقيض إلى النقيض، إلا أنني لم أجد صعوبة في إيجاد همزة الوصل بين كل هذه الإبداعات الفكرية والفلسفية: احترام الإنسان، وتقديس الفكر"(7).

تبتدئ فصول الكتاب الموسوعي المسمى بـ (الهند ... أسرار ومفاتيح) للدكتور

إيهاب الشريف بصفحات مصورة تمهد الطريق نحو التفهّم للنصوص المختلطة بالمشاهد الخلابة، وكأنه يريد أن تدخل أنتَ أجواءَ القراءة والاستيعاب، ويستحثك بمشاهد جامعة ويستنهضك بمناظر شاملة لتدخل في مدار الزمكانية.

ابتكر الرحالة بتقديم عناوين عن طريق الفهرس، مثلا إنه تناول عدة موضوعات نحو: قليل من الجغرافيا، ومعالم في تاريخ الهند، والناس، وأديان وعقائد، وإبداعات حضارة عبقرية: عمارة / مطبخ / صناعات / فن وثقافة، وهلمّ جرّا. وفي الوقت نفسه ناقش الدكتور في العديد من الفصول عن الشمال والشرق والولايات الداخلية والجنوب والغرب، وما إلى ذلك.

شدّ الدبلوماسي الدكتور إيهاب الشريف الرحال إلى كيرالا، وصوّر رحلته التجريبية أحسن تصوير بعناوين رمزية: في أرض المعابد والنخيل .. كيرالا .. معبد تريفيكرامانجلام)، .. ونافذة السيارة تتيح لك مشاهدة فيلم لا حدود لعذوبته وتنوعه، تريفاندروم... حاضرة كيرالا في حالة حصار جميل تفرضه جيوش من النخيل، إذا لم تكن هندوسيا، ولم تكن ترتدي الدهوتي، فلا تفكر أبدا في دخول معبد بادما نابها سوامي، شمس غاربة على ساحل كيرالا...

هيا بنا نقرأ ماذا كتب الرحالة الشريف عن كيرالا:

"أهلا بكم في بلاد التناقضات الحلوة تلك ... فكيرالا ، في أقصى جنوب شبه القارة تعد من أكثر ولايات الهند بعدا عن الدول الأخرى المجاورة، ويحاصرها بحر العرب، ومع ذلك هي من أكثر الولايات انفتاحا على العالم، وأهلها من أكثر سكان الهند تعلما وتسامحا"(8).

سلط الكاتب الدبلوماسي الضوء على المشهد التاريخي لكيرالا، وهو يقول:

"التاريخ والأسطورة يقترب أحدهما من الآخر إلى أقصى درجة في كيرالا، حيث يؤمن الهندوس أن الرب فيشنو، في تجسده السابع، بارا سوراما،

ألقى ببلطة كان يحارب بها، في عرض البحر، فظهر للتو شريط من الأرض هو كيرالا، خصصه فيشنو للبراهما، وبما أن الآريين قد غزوا شمال الهند واعتنقوا العقائد ذاتها، فقد اجتذبتهم كيرالا إلى أقصى الجنوب، بقداستها الدينية، فقاموا بغزوها، وترتب على ذلك اختلاط العناصر الآرية القادمة من الشمال بالأهالي ذوي الأصول الدرافيدية، ورغم هذا الاختلاط فقد عرفت كيرالا كيف تحافظ على شخصيتها الخاصة، وبقيت بعيدة عن سيطرة الحكومات المركزية فترات طويلة، كما أن كيرالا بأحزابها السياسية الحديثة كانت أول ولاية هندية يصل فيها الشيوعيون للحكم عقب انتخابات 1956".(9)

(3) الهند كما رأيتها لفتح الله أنطاكي

الرحالة المصري فتح الله أنطاكي صاحب جريدة العمران بمصر، قصد الهند سنة 1932م وهو يقدم من القاهرة عن طريق الشام وبغداد مرورًا بالبصرة وكراتشي بباكستان حاليًا، وتجول في معظم المناطق الهندية واطلع على أوضاع الهند وآثارها عن كثب، وقام بتأليف أحوال رحتله المستغرقة ثمانية أشهر باسم "الهند كما رأيتها". وصف المؤلف وصفا مقنعا في هذا الكتاب ما وجده خلال زيارته للمناطق الهندية التي سماها هو بـ"الإمارات الهندية الكبيرة"، وتحدث فيه عن الحياة العامة في الهند، حيث إنه درس واستعرض بدقةٍ الحياةَ الدينية والسياسية والأدبية والحياة الاجتماعية فيها، وتطرق إلى المسلمين في الهند. قد أثنى على حسن ضيافة الهنود وكرمهم، وتشرف بالتعرف على عدد كبير من نوابغ الهند مثل الشاعر الهندي الكبير محمد إقبال ورابندرناث طاغور والدكتور أنصاري ومولانا طاهر سيف الدين زعيم البوهرة. قد لاحظ التعصب الديني لدى الهنود، الذي يؤدي إلى الاشتباكات المندلعة من حين إلى آخر بين الهندوس والمسلمين. تحدث المؤلف عن أمراء الإمارات الهندية تحت حكم

الهندوسيين والمسلمين، وعن أديان الهند وزعمائها الدينيين مثل آغا خان زعيم الطبقة الإسماعيلية، وزعيم الفرقة القاديانية وزعيم فرقة البوهرة.

لقد حرّر المؤلف انطباعاته عن طبقة المنبوذين أيضا حيث إنهم هندوسيون إيمانا وعقيدة، لكنهم لا يتمتعون بحقوق مثل الطبقات الهندوسية الأخرى، فلا يُسمح لهم بالتعلم والتدرس والتدرب، كما أنهم غير مسموحين بالدخول في المعابد الهندوسية للعبادة حذوًا بحذوٍ ونعلًا بنعلٍ، لأنهم نجسون وقذرون، ويجب عليهم بالتأكيد أن يقوموا بالأعمال القذرة مثل: كنس الشوارع وإزاحة القذارة من المراحيض والأنابيب المنتشرة في الشوارع العامة. إن المجتمع الهندوسي لا يُجلّهم ولا يحترمهم، بل ينظر إليهم نظرة الحقارة والكراهية الشديدة، ويعدّ المنبوذون ذواتهم حقيرين وعاجزين وأذلاء.

وقد كتب الرحالة المصري فتح الله أنطاكي الدافع لهذا التقليد: "أما السبب - كما يعتقده الهندوس - هو نتيجة خطيئة ارتكبها المنبوذ في وجود سابق لهذا الوجود، وهو يسام الإهانة والذل تكفيرا عن تلك الخطيئة، ومن أجل هؤلاء المنبوذين المساكين يصوم المهاتما غاندي"(10).

(4) مشاهدات في الهند لأمينة سعيد

زارت الرحالة المصرية أمينة سعيد الهندَ في ثلاثينيات القرن العشرين الماضي يعني سنة 1945م، وتجولت في أرجاء مناطق الهند المختلفة التي هي الآن في باكستان بعد انقسام الهند، وكتبت ما شاهدتها في غضون رحلتها من عادات الناس وتقاليدهم وملابسهم، في كتابها الموسوم بـ"مشاهدات في الهند". إنها ذكرت فيه فقر الهند وتعاسة الإنسان الهندي، وقد أدهش الكاتبة ما شاهدت في الهند من عبادة القبر والحشرات والأشجار وما عداها.

وقد تعرفت من خلال هذه الرحلة أن نظام الطبقات والعنصرية في بعض

مناطق الهند قوية، ومن خلال هذه الدراسة إنها اطلعت على أربع طبقات لدى الهندوس. بدءًا من أعلاها، وهي طبقة البَرْهَمَنْ، ومن هم البَرْهَمَنْ أو البراهمة؟ هم أشراف ورجال الدين الهندوسي. ثم تأتي طبقة المحاربين، ثم طبقة التجار والمزارعين، وأخيرًا طبقة المنبوذين.

طبقة المنبوذين هي طبقة عاملة لا حقوق لها في الحياة المجتمعية الشعبية العامة، وتبنى هذا النظام الفاسد القاسي في المجتمع الهندي على أساس الشريعة الهندوسية، حيث لا يجوز الخروج لأفرادها عن طبقتهم المنبوذة تعاملًا وزواجًا وعملًا، فالجدير بالذكر أن البَرْهَمَنْ لا يستطيع أن يختار مهنة الزراعة مهما كان الأمر، لأنها عمل طبقة هندية أخرى. ومن نافلة القول أن أحوال المنبوذ سيئة جدا في الهند، حيث إنه يعتبر نجسًا، وإذا حدث لمسه يلزم التطهير بالاغتسال في الأنهار المقدسة وبالإجراءات الدينية القاسية. فحوى القول إن المنبوذين، رغم ضخامة كميتهم، يتحملون مرارة الاستعباد والذل في المجتمع الهندي.

لاحظت السيدة أمينة سعيد من خلال رحلتها إلى الهند أن الهندوس يعتبرون أصحابَ الديانات الأخرى أيضا من طبقة المنبوذين، ولا يرضون للأكل والشرب والمعاملة معهم، حتى أنهم يفضلون الموت عطشًا على أن يشرب ماء لمسه أحد من غير دينه، فلذا يوجد في الهند ماء للمسلم، وماء للهندوس، وكذلك مطعم للمسلم، ومطعم للهندوس، وهكذا(11).

وقالت المؤلفة أمينة سعيد عن العنصرية الدينية الموجودة في الهند: "تعيش كل طائفة (من الهندوس والمسلمين) مستقلة بحوانيتها ومطاعمها وأماكن نزهاتها، فلا يتم الاختلاط إلا بين طبقة محدودة من المثقفين، والعجيب أن الهنود إذا خرجوا من بلادهم نسوا الفروق، وعاشوا معًا"(12).

رحلات بأقلام نخبة من الرحالين الصحفيين

وفي خضم الرحلات العربية إلى الهند نجد رحلات صحفية أيضا، قام بها

الصحفيون من مجلة العربي، منذ تأسيسها في 1958، وشكلت رافدا معاصرا للتعريف بالهند الجديدة والمتطورة بالحرف والصورة. فانطلق هؤلاء الصحفيون إلى آسيا، والهند خاصة، وكانت لهم صولات وجولات في مجال تدوين الرحلات، وقد صدرت ثلاثة كتب لهم تضم فصولا، منها: رحلات عربية معاصرة إلى الهند؛

(5) الأول: "آسيا بعيون العربي" بأقلام نخبة من الرحالة في 496 صفحة (13). "وفي هذه الرحلة جولة مصورة أخرى بقلم يحيى مطر وعدسة الفنان جعفر إصلاح، وهي تأخذ الرحلة إلى راجستان أيضا تحت عنوان "قصور وحكايات راجستان"، وهي رحلة تاريخية تحكي فيها الصورةُ الواقعَ ويتجول بها الحرف في الماضي".(14)

(6) الثاني: "جنوبا وشرقا - رحلات ورؤى" للأديب المصري محمد المخزنجي (15). نسافر عبر صفحات "جنوبا وشرقا - رحلات ورؤى" مع المخزنجي في الهند مع سحر المثلث الذهبي ؛ دلهي .آغرا .جايبور، فيقول:

"إنها الهند، وطن طاغور، وغاندي، وتاج محل، وحدائق المغول، وأكواخ الفقراء، ومعبد الشمس، وقصر الرياح، وشجر التين البنغالي، والأفيال الصاعدة إلى القلعة القرمزية، والأبقار الهاجعة في الشوارع، والقردة المطلة من الشبابيك، والطواويس السارحة في الحدائق، وقصائد العشق المغناة قعودا، وحلاوةُ وجوهِ فقيراتِ راجستان، ولهيب أطباق التندوري، ونظام الاتصالات الفضائية المتفوق، والطاقة الآتية من المحطات الكهرونووية، والعربات التي تجرها الجمال والثيران، ومخازن الكتب العالمية زهيدة الأسعار، ومرقصي الأفاعي والنسانيس والدببة، إنها الهند التي قطعنا على أرضها ألف كيلومتر تربط بين ثلاث نقاط ترسم ما يسمونه بالمثلث الذهبي، وهو ذهب من تنوع الألوان والأغام والروائح وأصداء التاريخ وأصوات العصر"(16).

(7) والثالث: "نهرٌ على سَفر" للأديب والصحفي والرحالة العربي المعاصر أشرف أبو اليزيد (17). "ويأتي كتاب أشرف أبو اليزيد "نهر على سفر" ليمثّل أحد الاستطلاعات الصحفية المصوّرة التي تميّزت بها مجلة "العربي"، لعدد من بلدان العالم ومدنه، وليكون مادّة صحفيّة تجمع بين المعرفة والمتعة، ومرجعًا مهمًّا للباحثين والدارسين والمثقّفين"(18).

ويصفه صاحبه بأنّه سيرة مكان تحاول تحليل المضمون، بعيون المقيمين فيه، والعابرين به، والمهاجرين إليه. ويرى أن السفر لا يكتشف البشر، ولا الأمكنة، بل يعيد اكتشاف المرء ذاته. وهنا دعوة لاكتشاف الذات، وكتابة الصفحات الخاصة بها...(19).

جمع أبو اليزيد في هذا السِّفر حصيلة "اثنتي عشرة رحلة"، أردفها في الختام بموضوع "فنّ المنمنمات... الأدب والتاريخ والأسطورة". أفرد أشرف أبو اليزيد فصلين أو بابين من كتابه للحديث عن أسفاره إلى الهند، معنونًا الفصل الأوّل منهما بـ"تحت سماء كوجرات"، والفصل الثاني بعنوان: "عرش السلطان أكبر".

"يأتي "نهر على سفر"، وضمن قرابة 50 صفحة، في فصلين متتابعين ورقيًّا، ومخصّصين لرحلتين استطلاعيّتين إلى الهند، فَصلت بينهما 9 سنوات؛ بدأت أولاهما في مارس 2006م، واختتمت ثانيتهما في مارس 2015م. وضمن هذه المساحة الورقية، والمدة الزمنيّة يفرغ الرحّالة ما في جعبته من ذكريات، وصور، وأحداث، وانطباعات"(20).

""تحت سماء كوجرات" كانت الرحلة الأولى إلى الهند، وهي رحلة مفعمة بمزيج من المشاعر والألوان، والتوابل والبهارات... وبخليط من الثنائيّات التي تحمل في طيّاتها تناغمًا وانسجامًا حينًا، وتناقضًا صارخًا حينًا آخر... وهكذا هي الحياة"(21).

ويأتي الفصل الثاني من فصول الكتاب الذي يستطلع صورة الهند لدى

الرحّالة، ليكون أقلّ حجمًا، بمجموع عشرين صفحةً، وذلك بعنوان "عرش السلطان أكبر".

"يُعدّ هذا الفصل تاريخيًّا في معظمه؛ فهو يحكي سيرة السلطان جلال الدين أكبر، والأقوال المبالغة في ذكر صفاته التي تصل في بعضها حدّ الخوارق... ويُلمح في كتابة الرحّالة هنا بعض التشكيك فيما يقرؤه عن هذه الشخصية، وعدم التسليم بصحّة ما يقرأ، كما في قوله: "كنتُ أبحث عن شخص امتلك كلّ هذه الصفات... وبين المحبة والبغض، وبين الحقائق والأساطير، وبين دلهي وأجرا، ومدن وعواصم أخرى، وجدت طرفًا في سيرة ذلك الرجل..."(22).

يقول أشرف أبو اليزيد في رحلته الموسومة بـ"تحت سماء كوجرات" موجزا عن الرحلة:

"مساجدٌ ومعابدٌ، شيوخ يتعبّدُون آناء الليل، ونسَّاك زاهدون عن ضجيج النهار، مناراتٌ تهتزُّ، وأخرى تختفي، بوابات مهجورة، ودروب مزدحمة، بيوت ليس لها من سمت البيوت شيء، وقصور تستعيد أبهة عصور السلاطين، متاحفٌ نادرة في عرض الطريق، ومقتنيات آسرة تحت حراسة مشددة، أضرحة تعانق قبابها المزركشة السماء، وقبور تفترش توابيتها الحجرية الأرض، غابات من صفيح، وأشجار من أسمنت، وأسوار من خيش، وشواهد من حجر، وهواء من رماد، إنها السماء التي تحتها تنام أحمد آباد وسورات وفودرا وغاندي نَجَار، وكثيرٌ من مدن محافظة كوجرات الهندية، متلحفة بألف لون ولون"(23).

(8) الطريق إلى كِريشنا - رحلات في كشمير والهند بقلم سناء الشعلان

صدرت هذه الرحلات عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة 2023 وتقع في 366 صفحة من القطع المتوسط. وهي حائزة على جائزة ابن بطوطة فرع الرحلة المعاصرة 2022- 2023. وقد أشارت الرحالة إلى أنها قامت بهذه

الرحلات في 2016- 2017.(24)

يقول الأستاذ الدكتور منى محيلان: "وقد استرعى الإله "كريشنا" ومعشوقته الفضلى "راداها" انتباه د. شعلان، وكوّنا معا مثالا خالدا للعشق المخلص، على الرغم من أن "كريشنا" كان له أكثر من ستة عشر ألف محظية، وحينما اختارت شعلان عنوانها "الطريق إلى كريشنا" فإنها تلمح منذ البداية إلى هدف مهم من أهداف رحلتها يضاف إلى الأهداف الأكاديمية والثقافية والاجتماعية والسياحية ألا وهو التعرف عن كثب على مكونات الحضارة الهندية ومعتقداتها وفلسفتها التي تركت أثرا في الحضارة العربية وغيرها من الحضارات".(25)

أخذت الرحلة صورة السرد الروائي بضمير المتكلم، وأطلقت الرحالة على نفسها اسم بطبوطة وكَنَّتْ أمها بأم بطبوطة في مقاربة مرحة من اسم الرحالة والجائزة "ابن بطوطة". "نظمت المؤلفة سردها في أربع رحلات حسب عناوينها كالآتي: الرحلة الأولى: أم بطبوطة تُصلي في جبال الهيمالايا "رحلة في كشمير وجبال الهيمالايا". الرحلة الثانية: أم بطبوطة تعاتب أبا بطبوطة "رحلة في آغرا". الرحلة الثالثة: أسعد وداود ابنا أم بطبوطة "رحلة في نيودلهي". الرحلة الرابعة: أم بطبوطة تفتح مدينة كلكتا. وقد تَفرَّع تحت هذه العناوين خمسة وثمانون عنوانا فرعيا منداحا في دوائر سردية بحسب مقتضيات الوصف ومعاينة التجربة".(26)

شاهدت الرحالة سناء الشعلان أثناء زيارتها للهند أيقونات ذهبية لآلهة، وأبقار مصيّغة بعقود من ذهب ومعابد بنيت من الذهب الخالص والحجارة الكريمة. وهي تقول:

" أدركتُ أن الهند ليست دولة فقيرة، بل هي دولة في أمس الحاجة إلى ثورة بيضاء كاسحة نحو خرافاتها وجهلها العقديّ كي تستيقظ من سباتها الأزلي الذي يغمر أمة بأكملها، ولا يستثنى من ذلك إلا قلة قليلة ... تجرّ الهند

بأكملها بصعوبة في ركب الحضارة والتقدم والازدهار".(27)

(9) رحلاتي في العالم لنوال السعداوي

زارت الرحالة المصرية والكاتبة النسوية الدكتورة نوال السعداوي (1931 – 2021م) الهندَ بعد استقلال الهند عام 1980، وخصت الجزء الثاني لرحلتها الموسومة بـ"رحلاتي حول العالم" بذكر الهند وحوادثها ومعالمها. وفي مستهل الكتاب عبرت عن عدم شعورها بالغرابة في شوارع الهند، بل ظنت أنها تمشي في شوارع مصر. درست الكاتبة في هذه الرحلة أعماق الفكر الهندي بدقة وعمق، وتحدثت عن قضايا اجتماعية أكثر من المشاهدات وجمال الطبيعة والمعالم التاريخية، وتناولت الحديث عن بعض الكاتبات الهندية الشهيرة مثل كاملا داس، وأمرتا بريتم، والسيدة إنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند، وعن أعمالهن بقدر من التفصيل. وهي تقول عن الكاتبة الميالمية كاملا داس: "إحدى الكاتبات في الهند، اسمها كاملا داس، تمسك القلم كأنه مشرط في يد جرّاح تشق اللحم وتكشف النخاع وتكتب عن حياتها بالشجاعة التي تكتب حياة الآخرين، آخر كتابتها عن مذكرات حياتها".(28)

وهي تكتب عن قضايا المرأة الهندية، وتبحث عن العادات والتقاليد الهندية مثل المهر المعكوس، وتقول:

"المرأة في الهند هي التي تدفع المهر لزوجها، ويزيد مهر العريس بارتفاع طبقته، وبارتفاع منصبه وتعليمه".(29)

"تكلمت الناشطة للحركة النسوية بمصر عن القضايا الشائكة مثل الأمية والخرافات والعادات الفاسدة في المجتمع الهندي، ومن الآثار والمعالم الهندية التي أعجبتها قصور مهارجاوات في جيبور كما تأثرت بأشرم مهاتما غاندي في أحمد آباد".(30)

وشاهدت نظام الطبقات في المجتمع الهندي، وكتبت أنها تنقسم إلى أربع طبقات: فالطبقة الأولى "براهمين"، وهم الطبقة العليا ورجال الدين والفكر عند الهندوس، والطبقة الثانية "تشاتريا" أي رجال الحرب، والطبقة الثالثة "فيشيا" أي التجار، والطبقة الرابعة "تشودرا" أي أصحاب الأعمال اليدوية. ويعتبر "البراهمين" نائب الآلهة "براهما"، فلذا لا فصل بين أملاك الإله "براهما" وأملاك البراهمين. وهم لا يقدمون لبراهما أو الآلهة الأخرى شيئا حتى لا يزورون المعابد أبدا، لكن الطبقات الثلاثة الأخيرة يحضرون في المعابد، ويقدمون الهدايا للآلهة مع فقرهم، لكن الآلهة في الهند لا يحبون الفقراء والمنبوذين، ويأخذون منهم ولايقدمون لهم شيئا، بل يعطون طبقة البراهمين فقط جميع الأموال. وعلى المنبوذين أن لا تقترب من الطبقة العليا بأي حال وإذا يريدون التكلم معها يمكن لهم من بعد فان لمسهم ينجسها وحتى يعتبر ظل "تشودرا" نجسا.(31)

(10) حول العالم في 200 يوم للدكتور أنيس منصور

قد زار الكاتب المصري والصحفي العملاق الدكتور أنيس منصور الهندَ في عام 1962، وكان يعمل محررًا في جريدة الأهرام بمصر. ألف رحلته بعنوان "حول العالم في مائتي يوم"، ولعل هذا الكتاب من خير ما أنتج أنيس منصور لتميزه بمواصفات مثل ألمعية الملاحظة ورهافة الفطنة وسرعة الالتقاط والقدرة على استبانة الملامح والمعالم وغيرها. والكتاب في الحقيقة صورة لأفكاره ومتاعبه ومشاكله التي واجهها خلال رحلته. اهتم الكاتب بتخصيص 145 صفحة لوصف الهند وأهلها وتسجيل انطباعاته عن الولايات الهندية. وهو يقول عن الهنود: "فهم أناس طيبون جدا، وفي غاية الهدوء وحبهم للسلام قائم على شعور عميق وكراهية الهنود لإسالة الدماء تنبع من أعماق أديانهم".(32)

(11) حول العالم في 76 عاما للأديب اللبناني نقولا زيادة

ألف الأديب اللبناني نقولا زيادة (1916-1992) هذه الرحلة باسم "حول العالم في 76 عاما". اهتم الكاتب بالهند والهنود وثقافاتهم اهتماما كبيرا. قام بزيارته للهند عام 1958 وهو يلبي الدعوة التي وجهتها إليه جامعة عليكره الإسلامية للمشاركة في مؤتمرها المنعقد بمناسبة ألفية للرحالة العربي المشهور المسعودي. تناول المؤلف بذكر زيارته في هذه الرحلة الآثار التاريخية والمعالم الأثرية الموجودة في الهند مثل القلعة الحمراء ومنارة قطب الدين وتاج محل، كما تناول بذكر مدن الهند الأخرى بتفصيل. وسجل انطباعاته عن عظماء الهند الذين استطاع أن يزورهم مثل الحكيم عبد الحميد صاحب مؤسسة همدرد بدلهي والدكتور عبد الحليم رئيس جامعة عليكره الإسلامية سابقا، والسيد نور الحسن، والأستاذ خليق أحمد نظامي، وغيرهم.

الخلاصة

وفي نهاية المطاف يمكن لنا أن نشير إلى أن الهند مازال ولايزال مقصدا للرحالين العرب، وأن آداب الهند في الإبداع والانتاج والحفاظ على الوثائق التاريخية ظلت مصدرا مهما للإلهام، وأن أدب الرحلة العربية المعاصرة إلى الهند حافل بالاستكشافات للعجائب الهندية وحضارة الهند وأديانها ولغاتها ومناظرها الطبيعية الرائعة ومعالمها التاريخية وفنونها الجميلة وتقاليدها الغريبة، وأن الاهتمام بإذاعة أدب الرحلة العربية المعاصرة إلى الهند ونشره يتنامى يوما فيوما لكونه بوتقة إبداع معماري، وحاضنة حضارات عريقة، وشعلة إشعاع ثقافي، ونموذج حكم ديمقراطي.

الهوامش

1. سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير، الأمير يوسف كمال، حررها وقدم لها :جمال المحم،

ارتياد الآفاق، الطبعة الأولى، أبو ظبي، 2004.

2. سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير، المرجع السابق، ص 15.
3. سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير، المرجع السابق، ص 139.
4. ... أسرار ومفاتيح، د. إيهاب الشريف، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، الطبعة الأولى، 2002.
5. الهند: أسرار ومفاتيح، المرجع السابق، ص 5.
6. الهند: أسرار ومفاتيح، المرجع السابق، ص 400.
7. الهند: أسرار ومفاتيح، المرجع السابق. ص 402.
8. الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، مطبعة ودع أبو فيصل، مصر، الطبعة الأولى، سنة الطباعة غير مذكورة، ص 74.
9. مشاهدات في الهند، أمينة سعيد، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، 1946م، ص 137.
10. مشاهدات في الهند، المرجع السابق. ص 40.
11. آسيا بعيون العربي، إشراف وتحرير د. سليمان إبراهيم العسكري، العربي، وزارة الإعلام، دولة الكويت، 2010.
12. أدب الرحلة العربية المعاصرة إلى الهند: أشرف أبو اليزيد، مقالة تم تحميلها على "بوابة الأهرام" بتاريخ 6-12-2017، والرابط: https://gate.ahram.org.eg/News/1649928.aspx
13. جنوبا وشرقا - رحلات ورؤى، محمد المخزنجي، دار الشروق، 2011.
14. جنوبا وشرقا - رحلات ورؤى، المرجع السابق، ص 119.
15. نهرٌ على سفر، أشرف أبو اليزيد، سلسلة كتاب العربي، وزارة الإعلام، دولة الكويت، الطبعة الأولى 2015، ص:325 وما بعدها.
16. تقديم عادل سالم العبد الجادر؛ رئيس تحرير مجلة العربي، في تقديمه الكتاب "نهر على سفر"، ص:4-5، مراجعة إلى: الهند في الرحلة العربية المعاصرة "نهر على سفر" أنموذجًا، د. هيام المعمري، مقالة منشورة في "الجيل الجديد"، Tuesday, February 27, 2024، والرابط: https://aljeelaljadeed.in/india-in-contemporary-travelogue-nahrun-ala-safarin-as-a-model/ .
17. مقدّمة المؤلّف على كتاب "نهر على سفر"، ص:6-7، مراجعة إلى: الهند في الرحلة العربية المعاصرة "نهر على سفر" أنموذجًا، د. هيام المعمري، مقالة منشورة في "الجيل الجديد"، Tuesday, February 27, 2024، والرابط: https://aljeelaljadeed.in/india-in-contemporary-travelogue-nahrun-ala-safarin-as-a-model/ .
18. الهند في الرحلة العربية المعاصرة "نهر على سفر" أنموذجًا، د. هيام المعمري.
19. الهند في الرحلة العربية المعاصرة "نهر على سفر" أنموذجًا، د. هيام المعمري.
20. نهر على سفر، أشرف أبو اليزيد، ص:146، مراجعة إلى: الهند في الرحلة العربية المعاصرة "نهر على سفر" أنموذجًا، د. هيام المعمري.

21. نهرٌ على سفر، المرجع السابق، ص 116.
22. الطريق إلى كَريشنا "رحلات في كشمير والهند" لسناء الشعلان، مقالة بقلم أ.د. منى محيلان، ديوان العرب، السبت ٦ كانون الثاني (يناير) ٢٠٢٤.
23. المرجع السابق.
24. المرجع السابق.
25. المرجع السابق.
26. رحلاتي في العالم، نوال السعداوي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م، ص 11.
27. رحلاتي في العالم، نوال السعداوي، ص 17.
28. انعكاسات الثقافة الهندية في الأدب العربي، مقالة للأستاذ عبد الرحمان الآدرشيري، نداء الهند، 16 مايو، 2016.
29. رحلاتي في العالم، نوال السعداوي، ص 198-199، بالمراجعة إلى: بلال أحمد، أقلام الهند، السنة السابعة، العدد الرابع، أكتوبر-ديسمبر 2022، الرابط: https://www.aqlamalhind.com/?p=2644 .
30. حول العالم في مائتي يوم، أنيس منصور، ص 495.

جمشيد أحمد الندوي *

نظرة عابرة على موسوعة الرحلات الهندية للأستاذ محمد سعيد الطريحي

إن أرض الهند أرض أحلام وديانات وفلاسفة للأجانب عامة وللعرب خاصة فشدوا الرحال إليها ودونوا انطباعاتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم في رحلاتهم باللغات المختلفة عن الهند وما يتعلق بها من رجالها ونسائها وعادات أهاليها ومبانيها وغاباتها وحدائقها وبحورها وأنهارها وصحاريها وقُراها ومُدنها وأديانها وحضارتها وثقافتها ومجتمعاتها ونبذة من تاريخها حتى أصبحت هذه الانطباعات والمشاعر والأحاسيس فيما بعد الوثائق القيمة عن الهند وأهاليها ويتلالأ منها حضارة الهند وثقافتها بكاملها.

إن الهند محط أنظار العرب عبر القرون فزاروها داعية ورحالة وتاجرا ومؤرخا وجغرافيا وباحثا ومحققا ودبلوماسيا وغير ذلك وكتبوا ما شاهدوا من أرض الهند بأسلوب جذاب وصوروها بأحسن تصوير حسب غاية رحلاتهم. إن عددا كبيرا من الرحالين العرب زاروا الهند وشاهدوا عجائبها وأبرزوا مشاعرهم في كتب رحلاتهم. بعد نظرة عابرة على الرحالين العرب إلى الهند وكتبهم يمكن لنا أن نقسمهم في زمرتين أساسيتين:

* الذين زاروا الهند كجغرافيين ومروا في رحلاتهم مرورا سريعا بأرض الهند وذكروا ما شاهدوا من الهند وأهلها من عاداتهم وأخلاقهم ودياناتهم وغير ذلك بدون تفصيل. إن أوائل الرحلات العربية إلى الهند التي دونت في القرون الابتدائية تتعلق بهذه الزمرة.

* قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مومبائي، مومبائي.

وهذا جدير بالذكر بأن مجمع شبلي الشهير بدار المصنفين بمديرية أعظم كره من ولاية أترا براديش قد أصدر كتابا في مجلدين وجمع فيها ما كتب الرحالون العرب الأوائل عن الهند وأهلها مع ترجمتها باللغة الأردية وسماه "ہندوستان عربوں کی نظر میں" (الهند في أعين العرب).

* الذين زاروا الهند كرحالين وسافروا إلى الهند خاصة وكتبوا عن مشاهداتهم ومشاعرهم عن الهند وأهلها وأثروا مكتبة أدب الرحلات بكتبهم.

إن أصحاب هذه الزمرة الثانية هم الرحالون إلى الهند في الحقيقة بأنهم صوروا الهند وما يتعلق بها بأحسن صورة وبدقة.

إن الرحلات العربية إلى الهند بالمعنى الخاص قد بدأت من القرن الحادي عشر الهجري/القرن السابع عشر الميلادي كما ذكر الأستاذ محمد سعيد الطريحي في موسوعته القيمة.

إن الكاتب والرحالة أشرف أبواليزيد قد قسّم الرحلات العربية إلى الهند في مقالته " أدب الرحلة العربية المعاصرة إلى الهند" إلى:

* رحلة عربية إلى الأدب الهندي، وهي الرحلة التي ينقل فيها الرجل العربي متنا من متون الأدب الهندي إلى لغته العربية ونموذجها ملحمة (الراميانة).

* رحلة أميرية إلى الهند مثل "سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير" للأمير يوسف كمال في بداية القرن العشرين.

* رحلة دبلوماسية ونموذجها " الهند .. أسرار ومفاتيح " للأديب السفير الدكتور إيهاب الشريف.

* رحلة صحفية مثل ""نهر على سفر" للأستاذ أشرف أبي اليزيد.

ومن الممكن أن يضاف في أقسام الرحلات العربية إلى الهند المذكورة مثل رحلة تعليمية ورحلة تجارية و رحلة لدعوة الدين وتبليغه وغير ذلك.

حينما يلقي الباحث نظرة عابرة على رحلات العرب إلى الهند فيصير مندهشا بكثرة عدد رحلات العرب إلى الهند وتنوعها ويرى أمامه عددا وافرا

بأنه يبلغ إلى مئات رحلة. قد تقدر كثرة الرحلات العربية إلى الهند بـ"موسوعة الرحلات الهندية"للأستاذ محمد سعيد الطريحي التي تشتمل على ثمانية مجلدات ضخمة ولكن مع ذلك لا يستوعب الأستاذ الطريحي سائر الرحالين العرب إلى الهند ورحلاتهم بل نستطيع أن نقول بأنه لم يذكر عددا كبيرا من الرحالين العرب إلى الهند ورحلاتهم في القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين. وإليكم مباحث المجلدات الثمانية:

***المجلد الأول(806 صفحة):** سماه الأستاذ الطريحي بـ"تحية الهند" ونقل في بدايته ما قال عمر أبوريشة، ومعروف الرصافي، وجميل صدقي الزهاوي، وأحمد شوقي ، وإبراهيم العريض، وخليل مطران، محمد رجب البيومي، ونديم الرافعي، وعبدالمحسن الكاظمي، ومحمد مهدي الجواهري، ورشيد سليم الخوري، وعباس محمود العقاد، ووديع البستاني، وغيرهم في أشعارهم عن الهند وما يتعلق بها (ص 5-132).

وبعد ذلك جمع فيه الرحلات وغير الرحلات الآتية:

- سلوة الغريب وأسوة الأديب للسيد علي صدرالدين الحسيني الحسني المعروف بابن معصوم المدني (ص 133-312).

- رحلة الهند (سنة 1133 إلى سنة 1139هـ) للعباس بن علي المكي الحسيني الموسوي(313-344).

- سياحة الهند من سنة 1837م إلى 1839م لأوبير ثرُولد، تعريب: إبراهيم مصطفى المشهور بالبَيَّاع الصغير(ص 345-448).

- رحلة إلى الهند للمطران مار إثناسيوس أغناطيوس نوري(ص 449-544).

- رحلة إلى الهند للمطران مارقولس بولس دانيال الباخديدي سنة 1863م (ص545-608).

- الرحلة الهندية لبطريرك أنطاكية وسائر المشرق مار أغناطيوش يعقوب الثالث (1912-1980م)،

تدوين: الربّان صليبا شمعون (ص609-718).

- رحلة الشيخ عبدالعزيز الثعالبي إلى الهند (ص 719-733).

- من رحلة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى الباكستان سنة 1952م (ص 734-775).

- علمان مغاربيان في شبه القارة الهندية: الثعالبي والإبراهيمي (ص 776-806).

***المجلد الثاني(837 صفحة):** هذا المجلد يشتمل على الرحلات وغير الرحلات الآتية:

- رحلة ماركو بولو إلى الهند، تحرير وتقديم: محمد سعيد الطريحي (ص 23-98).

- سياحتي في سيريلانكا لمحمد سعيد الطريحي (ص99-203).

- رحلة الشيخ محمد رشيد رضا إلى الهند سنة 1913م (ص 204-237).

- مشاهدات محمد ثابت في الهند،تقديم محمد سعيد الطريحي (ص 238-251).

- البعثة الأزهرية إلى الديار الهندية سنة1355هـ/1936م (ص 252-346).

- بهجة الزمن في الرحلة إلى حيدرآباد الدكن لمحمد سعيد الطريحي (ص 347-456).

- رحلة الهند لفتح الله بن عبد المسيح الأنطاكي (سنة 1932م) (458- 540).

- رسائل من الهند للأستاذ ناجي جواد ساعاتي (ص 541- 595)

- رحلة الأميني إلى الديار الهندية سنة 1380هـ/1960م، تدوين: الشيخ رضا الأميني (ص 595 -677).

- مشاهدات عبدالوهاب عزام في الهند سنة 1947م (ص 678 -736).

- رحلة الهند للدكتور نوال السعداوي عام 1975م (ص 737-837).

***المجلد الثالث(820 صفحة):** هذا المجلد يحتوي الرحلات وغير الرحلات الآتية:

- رحلة في كشف معتقدات الهنود القدامى لشرف الزمان طاهر المروزي (ص 17-30).
- سياحة الميرزا قتيل في الهند (ملاحظات عن الحالة الدينية في الهند في القرن 18م)، تعريب: محمد عمر(ص 31-64).
- الرحلة الأعسمية إلى الديار الهندية (سنة 1924م) للشيخ عبدالحسين الأعسم النجفي(ص 65-222).
- لمعات النور في الرحلة إلى بنغلور وسلطنة ميسور لمحمد سعيد الطريحي (ص 223-364).
- مشاهدة أمينة السعيد في الهند لأمينة السعيد (ص 365-444).
- حكايات وحوارات من بلاد البهارات: قرأة ومختارات من رحلة أنيس منصور إلى الهند (ص 545-557).
- من مشاهدات محمد المجذوب في الهند سنة 1980م (ص 558-724).
- رحلتي إلى الهند (8.11.1983- 7.12.1983) للدكتور جودت القزويني (ص 725-780).
- مشاهدات عبدالعزيز الأهواني في الهند (ص 781-808).
- أيام في كيرالا للدكتور عبدالمنعم الخفاجي (ص 809-812).
- درس في مومباي (سنة 1953م) لمحمد فريد أبوحديد (ص 813-820).

المجلد الرابع(827 صفحة): هذا المجلد يحيط الرحلات وغير الرحلات الآتية:

- رياض المسرات في محاسن كجرات لمحمد سعيد الطريحي (ص17-200).
- هجرة الزرادشتين البارسيين- بارسيان إلى غجرات وتاريخهم في الهند ، لم يُذكر اسم المؤلف (ص 201- 390).

- تاريخ مملكة كجرات الإسلامية في الهند المعروف بظفر الواله بمظفر وآله للشيخ محمد بن عمر المكي المعروف بحاجي دُبَير(ص391-426).
- وقائع سلاطين كجرات للشيخ نظام الدين أحمد بخشي الهروي(ص 427-620).
- رحلة سيدي ريّس أمير البحرية العثماني إلى الهند (ص 621-639).
- رحلة بنيامين إلى الهند بين سنتي 561-569هـ/1165-1173م للرحالة اليهودي بنيامين بن يونة التطيلي الأندلسي(ص640-644).
- من بيروت إلى الهند للويس شيخو اليسوعي عام 1986م (ص 645-663).
- ذكريات في الهند (عام 1957-1959) للسفير حليم سعيد أبي عزالدين (ص 664-693).
- رحلة السيد حسن الأمين إلى الباكستان سنة 1964م (ص694-744).
- رحلة إلى الهند (سنة 1960م) لصالح محمد جمال السعودي (ص 745-788).
- العودة إلى بلاد الهند وعودة الهند إلى جذورها للدبلوماسية العراقية سهى الطريحي (ص 789-827).

المجلد الخامس(823 صفحة): هذا المجلد يلقي الضوء على الرحلات وغير الرحلات الآتية:

- الإسكندر الأكبر في الهند (356-323 ق.م.):مقاربات حضارية ومشتركات فلسفية، إعداد ودراسة: محمد سعيد الطريحي(ص 23-74).
- أفلاطون و الأوبانشيد للدكتور فاسيليس جي فتساكس، ترجمة: سهى محمد حسن الطريحي (ص 75-152).
- كأس النَدامى في غزو الهند على يد البرتغاليين القدامى، تحرير وتوثيق محمد سعيد الطريحي(ص 153-225).
- وقائع الغزو البرتقالي للشيخ أحمد زين الدين المعبري المليباري (ص 226-268).

- تحريض أهل الإيمان على عبدة الصلبان للشيخ أحمد زين الدين المعبري المليباري (ص 269-278).

- قصيدة الفتح المبين للسامري الذي يحب المسلمين للقاضي جمال الدين محمد بن عبدالعزيز الكاليكوتي المعبري المليباري، تقديم: محمد سعيد الطريحي (ص 279-366).

- أحمد بن ماجد (824-906هـ/1321-1429م): بحوث حول عبقريته في علوم البحار واتصاله المزعوم بالرحالة البرتغالي وغزو الهند، إعداد وتقديم: محمد سعيد الطريحي(ص 367-872).

- المحيط الهندي (رحلات ومباحثات)، تحرير وتوثيق: محمد سعيد الطريحي(ص 473- 650).

- رحلة في المحيط الهندي وإلى البنغال بين عامي 1789 و1790م، لم يذكر اسم المؤلف (651-776).

- مشاهدات علي بك في الهند خلال سنة 1300-1304هـ/1883-1889م، عناية وتقديم: محمد سعيد الطريحي (ص 777-794).

- الكانج (نزهة تاريخية في تراث الهند المقدس) للسيد أبي النصر الحسيني (ص 795-816).

- من مشاهدات أليس شالك (مهراجات الهند قبيل الاستقلال) (817-823).

المجلد السادس(883 صفحة):إن أكثر مباحث المجلد السادس يحتوي المباحث التي لا تتعلق بأدب الرحلات. إن مباحث المجلد كما يلي:

- لمع من أخبار الهند لأبي علي بن الحسين بن علي المسعودي، اختياروتقديم:محمد سعيد الطريحي (ص 23-90).

- رحلة أبي دُلف الينبوعي إلى الهند لأبي دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي

الينبوعي (ص 91-134).

- الرحلة البطوطية إلى الديار الهندية، تحقيق: د. عبدالهادي التازي (210-468).

- رحلة إلى إمارة بانكانابلي (1665-1948) للأستاذ محمد الطريحي (ص 469-474).

- مباسم الأزهار في معالم المليبار، تحرير وتوثيق: الأستاذ محمد سعيد الطريحي (ص 475-883).

المجلد السابع(873 صفحة): لا علاقة لهذا المجلد بأدب الرحلات وهو يحيط المباحث الآتية:

- رحلة في عالم الديانة الجينية الهندية لمحمد سعيد الطريحي (ص 27-198).

- الفلسفة الهندية القديمة عبدالسلام خان الرامبوري (ص 198-396).

- مدخل إلى الفلسفة مع المقارنة بين الفلسفة الهندية والغربية للسيد أبي النصر أحمد الحسيني الهندي
(ص 397-442).

-الآلهة والإلهات الهندوسية لهارشا ناندا، تعريب وتقديم: محمد سعيد الطريحي (ص 443-540).

- ملحمة الرامايانا الهندية لمحمد سعيد الطريحي (ص 541-714).

- علم اليوغا الهندي، طقوس لديمومة الحياة، تحرير وتوثيق:محمد سعيد الطريحي (ص 715-873).

المجلد الثامن(799 صفحة): لا علاقة لهذا المجلد بأدب الرحلات وهو يحيط المباحث الآتية:

- الزرادشتية (أُسُ الأسوس في دين المجوس)، تحرير وتوثيق: محمد سعيد

الطريحي (ص 31-178).
- رسالة زرادشت للكاهن الزرداشتي دستور جي خورشيد، تعريب وتقديم: محمد سعيد الطريحي (ص 179-299).
- لمحات عن الديانة الزرادشتية لآرثر كريستنسن (ص 300-343).
- المجوس وثقافة النار عند العرب الأقدمين للدكتور جواد علي (ص 344-353).
- زرادشت وأصول الديانة الزرادشتية للدكتور محمد محمدي (ص 354-373).
- الأوستا لباول هورن (ص 374-413).
- زرادشت والديانة الإيرانية لميرسيا إلياد (ص 414-445).
- دين الفرس لرينهارت دوزي (ص 446- 452).
- الفكر الديني الفارسي وتاثيراته في العالم القديم لمحمد يوسف موسى (ص 453-457).
- الشمسية (فرقة دينية من أصول زرادشتية) (ص458-467).
- نصوص أركيولوجية من الأدب الزرادشتي القديم للدكتور أي. سي. بوكيت (ص 468-484).
- الزرادشتية دين المجاهدة والسعادة للدكتور فكتور الكك (ص 485-500).
- دين الكرد القديم (بين الزرادشتية وعبادة الشيطان) لتوفيق وهبي، ترجمة: جميل بندي زوزبياني (ص 501-510).
- زرداشت والمجوس في مروج الذهب للمسعودي (ص 511- 513).
- المجوسية والزرادشتية للدكتور علي حسني الخربوطلي (ص 514-544).
- التصورات الزرادشتية للتاريخ لألبان. ج. ويدجيري (ص545-552).

- زرادشت والزرادشتية لوليم تيمس ميور (ص 553-564).
- المتون المجوسية وكتب الفرس القدماء للدكتور داؤد الجلبي الموصلي (ص 565-585).
- الزرادشتية لإدوارد براؤن (ص 585-601).
- سيرة عالم الدراسات الإيرانية والهندية للمستشرق الألماني فلهم جيجر(ص 602-605).
- الفرس المجوس والأسباب التي هيأتهم للدخول بالإسلام للدكتور يحيي الخشاب (ص 606- 612).
- الأدب الفارسي في جذوره الزرادشتية القديمة للدكتور أمين عبدالمجيد بدوي (ص 613-639).
- الزرادشتية: عقائد الإله الواحد لسليمان مظهر (ص 640-671).
- الدين عند الفرس لبولس سلامة (ص 672-675).
- هكذا قال ولم يقل زرادشت لأنيس منصور (ص 677-683).
- الزرادشتية في العراق لمحمد سعيد الطريحي (684- 698).
- التوحيد ومشكلة الشر (الزرادشتية نموذجا) لنهاد خيّاطة (ص699-710).
- زرادشت إسمه وديانته (تعريف موجز) للدكتور أحمد الربيعي (ص 711-716).
- الزرادشتية والإسلام لـ و.سنت كلاير تسدل (ص 717-736).
- زرادشت: نبي التوحيد، نبي الثنوية، لم يذكر اسم المؤلف (ص 737-762).
- بهُ آفريد: مبتدع في الدانة الزرادشتية لرضا رضا زاده للبكرودي(ص 763-768).
- عن الزرادشتية ولغة الفرس القديمة، لم يذكر اسم المؤلف (ص 769-772).

- برسيبوليس، لم يذكر اسم المؤلف (ص 773-774).
- بُنْدَهش: كتاب أصل الخلقية الزرادشتي ليحيي ماهيار النواني (ص 775-781).
- عشق المجوش لفتى الكوفة (ص 782-799).

دراسة موسوعة الرحلات الهندية

تقوم المجلدات الضخمة من موسوعة الرحلات الهندية بذكر الرحالين العرب إلى الهند ورحلاتهم القيمة المهمة و تستغرق الرحلاتِ إلى الهند مباشرة و الرحلات إلى الهند غير مباشرة أي مرور الرحالين العرب بالهند ضمن رحالاتهم إلى بلدان أخرى، وكذلك تحتوي مئات من صفحات الموسوعة المذكورة ولا علاقة لها بأدب الرحلات العربية إلى الهند بأن الأستاذ الطريحي أشمل فيها كثيرا من الكتب ولا علاقة لها بأدب الرحلات العربية إلى الهند. نظرا إلى المباحث الكثيرة التي لا تتعلق بأدب الرحلات أظن لو سمى الأستاذ الطريحي موسوعته باسم " موسوعة الرحلات والديانة في الهند" لكان أجود وأحسن.ومع هذا النقص والنقائص الأخرى إن الموسوعة جديرة بالدراسة والبحث بأنها تقدم أمامنا صورة واضحة لبعض الرحلات العربية إلى الهند.

في السطور الآتية يلقى الضوء على الرحلات العربية إلى الهند في ضوء الموسوعة المذكورة بأشد الإيجاز.

- **سلوة الغريب وأسوة الأديب** للسيد علي صدرالدين الحسيني الحسني المعروف بابن معصوم المدني (1052-1120هـ)، تحقيق وتقديم: محمد سعيد الطريحي

ألف الشيخ ابن معصوم المدني هذا الكتاب أًصلا "لذكر الوقائع والمشاهدات التي رآها في رحلة إلى الهند" في النصف الثاني من القرن السابع

عشر الميلادي. قد بدأ المؤلف كتابة رحلته 1074هـ وختمها 1075هـ. هذه الرحلة تستغرق حيدرآباد وما حولها وغير ذلك. قد ذكر المؤلف بعض الأعلام ونقل الأبيات الكثيرة.

- **رحلة الهند (سنة 1133 إلى سنة 1139هـ)** للعباس بن علي المكي الحسيني الموسوي

تشتمل هذه الرحلة على ما رأى العباس بن علي المكي الحسيني الموسوي في الهند أثناء إقامته في الهند بين سنة 1133 إلى سنة 1139هـ.

- **سياحة الهند من سنة 1837م إلى 1839م** لأوبير ثرُولد، تعريب: إبراهيم مصطفى المشهور بالبَيَّاع الصغير، وتحريروتهذيب:محمد سعيد الطريحي.

إن أوبير ثرُولد قد زار الهند في النصف الأول من القرن التاسع عشر وأقام بها نحو ثلاث سنوات وأصدر رحلته . قسم الراحل كتابه في ثمانية أبواب وكتب فيها ما رأى في كلكته ومرشد آباد ومونغير وغازيفور وبوكسار وبنارس وإله آباد وآغرا وفتح بور سيكري ودلهي ولاهور وكشمير وماحولها وتهانسير ولكناؤ وفيض آباد وغير ذلك.

- **رحلة إلى الهند للمطران مار إثناسيوس أغناطيوس نوري** (1857-1946م)،رئيس أساقفة بغداد و توابعها للسريان الكاثوليك، تحريروتهذيب: محمد سعيد الطريحي

بدأ المطران رحلته 29 أيلول/سبتمبر 1899م من بغداد ورجع إليها 24 أيار سنة 1900م فاستغرقت هذه الرحلة نحو ثمانية أشهر وكان مقصد الرحلة بيع أحد أوقاف التابعة للكنيسة في كلكتا والحصول على إعانات وتبرعات أخرى لبناء مدرسة في بغداد، لكنه لم يوفق في ذلك كما يقول الأستاذ الطريحي.

طبعت الرحلة لأول مرة في حريصا (لبنان) سنة 1934م. وهذا جدير بالذكر بأن نحو النصف الأول من الرحلة يستغرق ممرات من بغداد إلى الهند ونصفه الثاني يحيط الهند وبلدانها وما شاهد فيها الراحل مع ذكر بعض معلومات عامة عن الهند.

- **رحلة إلى الهند للمطران مارقولس بولس دانيال الباخديدي**(1831-1916م)، تحرير وتهذيب:محمد سعيد الطريحي

هذه الرحلة هي مذكرات في الحقيقة كتبت بلغة أقرب للعامية وتعطي صورة للوجود المسيحي في جنوب الهند عموما كما يقول الأستاذ الطُرَيْحِي. هذه الرحلة تصور الأوضاع الاجتماعية للمسيحيين في جنوب الهند في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

- **الرحلة الهندية لبطريرك أنطاكية وسائر المشرق مار أغناطيوش يعقوب الثالث** (1912-1980م)، تدوين: الربّان صليبا شمعون، تحرير وتهذيب: محمد سعيد الطريحي

هذه الرحلة للبطريرك المحترم رحلة رسمية إلى الهند على أغلب الظن عام 1964م وزار فيها ولاية كيرالا خاصة. هذه الرحلة تستغرق تاريخ الكنيسة السريانية في الهند وارتباطها بالكرسي الرسولي الأنطاكي و الأمكنة والكنائس والمعالم التي زارها في الهند.

- **الرحلة الأعسمية إلى الديار الهندية** (سنة 1924م) للشيخ عبدالحسين الأعسم النجفي ، تحقيق وتقديم محمد سعيد الطريحي

هذه الرحلة في صورة مذكرات وتستغرق زيارة مدينة رام بور وأميرها وما يتعلق بها فحسب ولذلك تسمى بالزهور في رامفور أيضا. طبعت هذه الرحلة من المطبعة الحجازية، مومبائي عام 1346هـ محتويا 285 صفحة مع ملحق

بعشرين صفحة أخرى وأثبت فيه بعض الصور الفوتوغرافية.

- لمعات النور في الرحلة إلى بنغلور وسلطنة ميسور لابن طريح الكوفي، محمد سعيد العزيزي المسلمي الشهير بالطريحي.

هذه الرحلة تحيط ما شاهده الراحل في بنغلور وميسور وبيجا فور وبِدرقبل أربعين سنة. هذه الرحلة في الحقيقة ليست رحلة بالمعنى الخاص بأنها تحيط تاريخ البلاد المذكورة وملوكها وأعلامها ومبانيها وغير ذلك.

هذا جدير بالذكر قد ألحق المؤلف في الكتاب عكس مؤلفاته الصادرة عن جنوب الهند والممالك الإسلامية القديمة في جنوب الهند وهي: "المملكة البهمنية من الممالك الإسلامية الهندية المنسية"، و" المملكة النظامية وأسرار الإسماعيلية المستترة في الهند"، و" ملوك حيدرآباد"وكتاب آخرحول مملكة العادل شاهي في جنوب الهند.

- مشاهدة أمينة السعيد في الهند لأمينة السعيد(1914- 1995م)

هذه الرحلة تعبر ما شاهدت أمينة السعيد خلال زيارة الهند في 1945م. إنها زارت الهند بمناسبة المشاركة في مؤتمر نسائي دولي ودونت ذكرياتها عن الهند في كتيب صدر في 1946م.هذه رحلة مشهورة وتمتاز بأنها أول رحلة نسائية إلى الهند.

- حكايات وحوارات من بلاد البهارات: قرأة ومختارات من رحلة أنيس منصور إلى الهند، اختيار وتقديم محمد سعيد الطريحي.

إن الأديب الشهير أنيس منصور(1924-2011م) من أكبر الرحالة العرب وزار بلدانا من العالم وأثرى مكتبة أدب الرحلات. إنه زار ولاية كيرالا في أواخر النصف الثاني من القرن العشرين ودون ما شاهد في ولاية كيرالا بأسلوبه المرح الساخر كما قال الأستاذ الطريحي في موسوعته.

- **من مشاهدات محمد المجذوب في الهند** (سنة 1980م)، تقديم وتعليق: الأستاذ محمد سعيد الطريحي

إن الأستاذ محمد المجذوب قام برحلتين إلى الهند تلبيا لدعوة سيد أبي الحسن علي الندوي رحمه الله ورتب ذكرياته في كتابه المذكورعن الهند وما رأى فيها.

- **رحلتي إلى الهند** (8.11.1983- 7.12.1983) للدكتور جودت القزويني.

هذه الرحلة تحيط زيارة بعض أماكن الهند السياحية ومراكزها التعليمية واللقاء بأعلام الهند.

- **مشاهدات عبدالعزيز الأهواني في الهند** (م1400هـ/1980م)

شارك الاستاذ عبدالعزيز الأهواني في مؤتمر انعقد في الهند وزار دهلي وآكرا وفتح بور سيكري وسجل ما رأى في تلك المدن.

- **أيام في كيرالا للدكتور عبدالمنعم الخفاجي** (1915- 2006م).

شارك الدكتور عبدالمنعم الخفاجي في مؤتمر انعقد في كيرالا فكتب تقريرا عن المؤتمر ومشاهداته في كيرالا بالإيجاز.

- **درس في مومباي** سنة 1953م لمحمد فريد أبوحديد (1893-1967م)

زار الأستاذ محمد فريد أبوحديد مومباي لمشاركة في مؤتمر التعليم الذي عقدته هيئة اليونسكو فكتب عن مومبائي والمشابهة التي توجد بين الهند ومصر في الأوضاع السياسية بأشد الإيجاز.

- **مشاهدات علي بك في الهند** خلال سنة 1300-1304هـ/1883-1889م، عناية وتقديم: محمد سعيد الطريحي.

كان علي بك مفتشا في سعرد وديار بكر في الدولة العثمانية وتولى مناصب

أخرى فيما بعد. إنه كلف بسياحة بغداد والهند للأمور الرسمية ونشر ذكرياته عن الرحلة بالتركية سنة 1314هـ/1896م. قام السيد محمد حرب بتعريب الرحلة ونشره المركز القومي للترجمة بمصر عام 2006م. اقتطف الأستاذ الطُريحي مشاهدات علي بك عن الهند وأشملها في موسوعته للرحلات الهندية.

- مشاهدات سائحة في الهند للدكتور عائدة بشارة.

هذه الرحلة القصيرة نشرت في مجلة ثقافة الهند وتحتوي زيارة المعابد الكثيرة التي توجد في مدراس (تشنائي حاليا) خاصة و في أهم المدن المقدسة مثل بنارس ومتهرا وجونا غره عامة. وكما تحيط ما رأى للدكتور عائدة بشارة في دلهي وآغره وفتح بور سيكري و أوتي وكيرالا ومدراس ومومبائي وشملا و مسوري وغير ذلك.

- رحلة ماركو بولو إلى الهند، تحرير وتقديم: محمد سعيد الطُريحي.

هذه الرحلة تستغرق مشاهدات ماركوبولو في الهند مثل وصف السفن الهمدية ومملكة موروفيلي أو مونصول (تلنكانه) والمملكات الهندية الأخرى.

- رحلة الشيخ محمد رشيد رضا إلى الهند (1913م)

يقول الأستاذ الطريحي عن الرحلة المذكورة:" وخلاصة هذه الأوراق كتبها بعنوان (رحلتنا الهندية) هي تقديم شكره لمن استقبله واستضافه في مومباي وآكرا ودلهي والأهوار(هكذا) ولكنو وبنارس و ذَكَرَ كراتشي و كما أن نصفه ما ذكره كان مختصا بمروره بعاصمة سلطنة عمان ولقائه بسلطانها السيد فيصل البوسعيدي وكذلك زيارته لحاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح بمقرّ إمارته...وليته سجّل انطباعته عن زيارته الهندية لكانت الاستفادة أفضل وأكمل"(204/2)

- **مشاهدات محمد ثابت في الهند**،تقديم محمد سعيد الطريحي
كان الأستاذ محمد ثابت من أهل القاهرة وعاشقا للسفر والرحلات وأثرى برحلاته مكتبة أدب الرحلات. إنه ذكر الهند في "رحلاتي في مشرق الأرض ومغاربها" بالإيجاز فجمعه الأستاذ الطريحي وسماه بـ" مشاهدات محمد ثابت في الهند".

- **بهجة الزمن في الرحلة إلى حيدرآباد الدكن لابن الطريح الكوفي**، محمد سعيد العزيزي المسلمي الشهير بالطريحي.

- **رحلة الهند لفتح الله بن عبد المسيح الأنطاكي** (سنة 1932م).
هذه الرحلة الكاملة عن الهند وتلقي الضوء على سلبيات الهند مثل البؤوس والفقر وغير ذلك. قد ترجمتها الدكتورة زرنغار، أستاذة مشاركة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، باللغة الأردیةوقامت بدراستها وقدمتها في الندوة القومية التي عقدها قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي قبل سنوات.

- **رسائل من الهند للأستاذ ناجي جواد ساعاتي**(1922-2009م)
إن الأستاذ ناجي عواد ساعاتي من أهل بغداد ومولع بالأسفار فزار الأندلس وبعض البلاد من إفريقيا العربية وسويسرا وغير ذلك. إنه زار الهند عام 1955م وسجل انطباعاته بصورة الرسائل مخاطبا بنته هيفاء.

- **رحلة الأمينى إلى الديار الهندية للشيخ عبدالحسين الأميني**، تدوين: الشيخ رضا الأمينى.
زار الشيخ الأمينى الهند عام 1380 لفحص المخطوطات في مكتبات الهند وقضى أربعة أشهرفي الهند. هذه الرحلة تركز على زيارة المكتبات في الهند فحسب.

- مشاهدات عبدالوهاب عزام في الهند(سنة 1947م).

إن الأستاذ عبدالوهاب عزام (1312-1378هـ- 1894-1959م) قضى أياما من حياته في الهند وسجل انطباعاته ومشاعره عن الهند وقرره الأستاذ الطريحي من أمتع الرحلات في أواسط القرن العشرين.

- رحلة الهند للدكتورة نوال السعداوي (عام 1975م)

إن الدكتورة نوال السعداوي(1931-2021) من أبرز النسائيات في مجال الأدب المعاصر. إنها زارت الهند عام 1975 وشاهد ولاية تامل نادو وكيرالا وغجرات ومهاراشترا وسجل ما رأى في تلك الولايات.

- رحلة بنيامين إلى الهند بين سنتي 561-569هـ/1165-1173م للرحالة اليهودي بنيامين بن يونة التطيلي الأندلسي

هذه الرحلة تشتمل على ورقتين فحسب واقتبسهما الأستاذ محمد سعيد الطريحي من رحلة بنيامين التي عربها السيد عذرا حداد ونشرها ببغداد. وصف عذرا حداد الرحالة بأن بنيامين هو أول رحالة أوربي بلغ إلى الهند في القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي.

- من بيروت إلى الهند للويس شيخو اليسوعي (عام 1986م)

إن لويس شيخو اليسوعي (1859-1927م) كتب مقالة طويلة "من بيروت إلى الهند" ونشرها في مجلته "المشرق" عام 1912م فاقتطفها الأستاذ محمد سعيد الطريحي وأشملها في موسوعته وقال: "والحق أن مشاهداته الهندية هي أقل بكثير مما كتبه عن البلدان التي زارها قبيل وصوله إلى الهند" (647/4).

- ذكريات في الهند (عام 1957-1959) للسفير حليم سعيد أبي عز الدين

اقتبس الأستاذ محمد سعيد الطريحي هذه الذكريات من كتاب "تلك الأيام"

للسفير حليم سعيد أبي عزالدين وسماها بالاسم المذكور.

- **رحلة إلى الهند (سنة 1960م) لصالح محمد جمال السعودي** (1920-1991م)

اقتبس الأستاذ محمد سعيد الطريحي هذه الرحلة من كتاب "ذكريات ورحلات" لصالح محمد جمال السعودي وسماها بالاسم المذكور.

- **العودة إلى بلاد الهند وعودة الهند إلى جذورها للدبلوماسية العر اقية سهى الطُريحي**

هذه الرحلة ليست رحلة مستقلة بل تشتمل على بعض ذكريات الدبلوماسية العراقية سهى الطريحي عند الهند بأنها زارت الهند مرتين وسجلت ذكرياتها عن الهند.

الرحلات التي لا علاقة لها بأدب الرحلات

إن الأستاذ الطريحي قد أشمل في موسوعته بعض الكتب والمؤلفات ولاعلاقة لها بأدب الرحلات بل هي تبحث عن الأمور والقضايا التي تقابلها الهند أو تذكر بعض الجوانب من تاريخ ولاية الهند أو تحيط دراسة كتب المتقدمين التي تلقي الضوء على بعض ناحية من نواحي الهند أو تبحث عن ديانة الهند وتقاليدها الهندوسية.

- **رياض المسرات في محاسن كجرات لابن طريح الكوفي**،محمد سعيد العزيزي المسلمي المشهور بالطريحي.

هذه الرحلة ليست برحلة بمعناها الخاص بل هي تبرز محاسن كجرات. هذا جدير بالذكر بأن الأستاذ الطريحي نقل معها تاريخ مملكة كجرات الإسلامية في الهند المعروف بظفر الواله بمظفر وآله للشيخ محمد بن عمر المكي المعروف بحاجي دُبَير (946-1013هـ/1540-1605م)، ووقائع سلاطين

كجرات للشيخ نظام الدين أحمد بخشي الهروي(958-1003م) والمباحث الأخرى لا علاقة لها بأدب الرحلة.

- رحلة سيدي ريّس أمير البحرية العثماني(904-970هـ/1498-1562م) إلى الهند، تحرير وتوثيق: الأستاذ محمد سعيد الطريحي.
اقتبس الأستاذ محمد سعيد الطريحي هذه الرحلة من كتاب من "مرآة الممالك". هذه الرحلة ليست برحلة بمعناها الخاص بل هي تحيط ما ذكر سيدي ريّس أمير البحرية العثماني عن بحر الهند و ما يتعلق به.

- مسألة المنبوذين في الهند للشيخ عبدالعزيز الثعالبي (1876-1944م)
إن الشيخ عبدالعزيز الثعالبي زار الهند خمس مرات في النصف الأول من القرن العشرين وزيارته الأخيرة في شهر أبريل 1937م استمرت نحو ثلاثة أشهر. في رحلته الأخيرة كتب عن أفكاره حول حركة المنبوذين في الهند التي شغلت الرأي العام الهندي قبيل استقلال الهند. إنه نشر أفكاره في كتابه.
مسألة المنبوذين في الهند فيما بعد. هذا الكتاب ليس رحلة بالمعنى الخاص لكنه يلقي الضوء على مسألة المنبوذين في الهند ولذلك أشمله الأستاذ الطُريحي في موسوعته كرحلة فكرية إلى الهند.
هذا جدير بالذكر بأن الأستاذ الثعالبي ألف كتابا عن تاريخ الهند ولكن لم ير النور حتى الآن حسب الأستاذ الطُريحي.

- رحلة في كشف معتقدات الهنود القدامى لشرف الزمان طاهر المروزي.
- سياحة الميرزا قتيل في الهند (ملاحظات عن الحالة الدينية في الهند في القرن 18م)، تعريب: محمد عمر ، تحرير وتقديم: محمد سعهي الطريحي.
- تاريخ مملكة كجرات الإسلامية في الهند المعروف بظفر الواله بمظفر وآله للشيخ محمد بن عمر المكي المعروف بحاجي دُبَير (946-

1013هـ/1540-1605م).

- **وقائع سلاطين كجرات للشيخ نظام الدين أحمد بخشي الهروي**(958-1003م).

- **البعثة الأزهرية إلى الديار الهندية** (سنة1355هـ/1936م)

هذا الكتاب ليس برحلة بل هو تقرير عن البعثة الأزهرية التي أرسلت من قبل جامعة الأزهر إلى الديار الهندية سنة سنة1355هـ/1936م.

- **رحلة إلى إمارة بانكانابلي** (1665-1948) للأستاذ محمد الطريحي. هذه ليست رحلة بل ذكر الأستاذ الطريحي تاريخ إمارة بانكانابلي وأمرائها بأشد الإيجاز.

- **مباسم الأزهار في معالم المليبار**، تحرير وتوثيق: الأستاذ محمد سعيد الطريحي

إن الأستاذ محمد سعيد الطريحي جمع ورتب ما كتب عن ولاية كيرالا تحت العنوان وسماه " مباسم الأزهار في معالم المليبار". إن أكثر مباحث العنوان المذكور لا علاقة لها بأدب الرحلة بمعناها الخاص وهي تلقي الضوء على تاريخ كيرالا وجوانبها المختلفة. نقل الأستاذ الطريحي في الكتاب المذكور الورقات المختلفة حول ولاية كيرالا كما يلي:

- هذه هي كيرالا للأستاذ محمد سعيد الطريحي
- التمازج الثقافي الهندوسي - الإسلامي في المليبار للدكتور تاراشند
- صفحات من تاريخ المليبار للدكتور محيي الدين الألوائي
- لمحات من تاريخ كيرالا للأستاذ محمد أبي الصلاح
- مشاهدات الرحالة ماركوبولو في المليبار

- ملاحظات حول قصة إسلام ملك المليبار جيرمال برومال بعد تثبته من معجزة انشقاق القمر للدكتور أبي بكر محمد
- المسيحية في الهند،
- رحلة المونسنيور سبستياني إلى المسحيين في المليبارسنة 1656م وسنة 1660م.
- المسيحيون الكلدان: كنيسة المشرق الآثورية الكلدانية في المليبار للدكتور الأب يوسف حبي (1939-2000م)
- مخاديم مدينة فنّان في المليبار ومساهمتهم في الأدب العربي للدكتور إ. ك. أحمد كتي
- الأسرة المخدومية في ولاية كيرالا للدكتور رفيق عبد البر الوافي الأزهري
- اللغة العربية في كيرالا للدكتور إ. ك. أحمد كتي
- مستقبل اللغة العربية في جنوب الهند للأستاذ محمد يوسف كوكن العمري
- الشعر والشعراء وأساليبهم في كيرالا للدكتور ك.م. محمد
- أضواء على مآثر المسلمين في المليبار وحواضرها الثقافية للدكتورأبي بكر محمد
- ترجمة القرآن للغة الميالية للأستاذ م. ت. محمد علي
- لمحة عن دور العلماء الحضارمة في المليبار وجنوب الهند للأستاذ منير سالم بازهير
- من أعلام آل الجفري الحضارمة في المليبار للأستاذ محمد باوا
- ثلاث قصائد من الشعر المعاصر في كيرالا للأستاذ شهاب غانم
- الأمير المليباري السيد فضل بن علوي للدكتور سعيد بن عمر آل

عمر

- رحلة المون

- إن أكثر مباحث المجلد الخامس من موسوعة الرحلات الهندية لا يتعلق بأدب الرحلة وهو يلقي الضوء على بعض مراحل تاريخ الهند وثقافتها وعلاقتها التجارية والثقافية بالعرب مثل الإسكندر الأكبر في الهند (356-323 ق.م.):مقاربات حضارية ومشتركات فلسفية، إعداد ودراسة: محمد سعيد الطُريحي، كأس النَدامى في غزو الهند على يد البرتغاليين القدامى، تحرير وتوثيق: محمد سعيد الطُريحي.

- إن المجلد السادس يحتوي على ما كتب المؤرخ المسعودي(283-346هـ/896-957م) وأبو دُلَف الينبوعي(ت390هـ/998م) وابن بطوطة (734-743هـ/1333-1342م)عن الهند وأهاليها وما يتعلق بهم من الثقافة والاجتماع والديانة والمذاهب وغير ذلك في كتبهم.

هذا جدير بالذكر بأن الأستاذ الطريحي أشمل في المجلد السادس من موسوعته الورقات العلمية حول رحلة أبي دُلَف وابن بطوطة كما يلي:

*الهند من خلال رحلة أبي دلف للدكتورسفيان ياسين إبراهيم.

* مع ابن بطوطة في بلاد الهند للدكتور عبدالهادي التازي.

* ابن بطوطة في الهند للدكتور حسين مؤنس.

- إن المجلد السابع يحيط الديانة الجينية الهندية والفلسفة الهندية القديمة والمقارنة بين الفلسفة الهندية والغربية، والآلهة والإلهات الهندوسية، وملحمة الرامايانا الهندية، وعلم اليوغا الهندي فيمكن لنا أن نقول بأن مباحث المجلد السابع كلها لا علاقة لها بأدب الرحلات لأنها تحيط بالمعتقدات الهندية ولعله سماها الأستاذ الطريحي مباحث المجلد السابع بالسياحة الدينية في المعتقدات الهندية.

- إن المجلد الثامن يحتوي الديانة الزرادشتية وما يتعلق بها.

نتائج البحث

بعد إلقاء نظرة عابرة على تلك الموسوعة نصل إلى النتائج الآتية:

- إن الأستاذ الطريحي جمع فيها كل ما وجد عن الهند باسم الرحلات إلى الهند شعرا ونثرا بالعربية أصالة أو ترجمة.
- إن الأستاذ الطريحي نقل فيها بعض المصادر باسم الرحلات إلى الهند بالعربية أصالة أو ترجمة، ولكن لا علاقة لها بأدب الرحلات بالمعنى الخاص على سبيل المثال: مسألة المنبوذين في الهند للشيخ عبدالعزيز الثعالبي، ورحلة في كشف معتقدات الهنود القدامى لشرف الزمان طاهر المروزي، و سياحة الميرزا قتيل في الهند (ملاحظات عن الحالة الدينية في الهند في القرن 18م)، تعريب: محمد عمر، و وقائع سلاطين كجرات للشيخ نظام الدين أحمد بخشي الهروي وغير ذلك. وكما أكثر مباحث المجلد الخامس وبعض مباحث المجلد السادس من موسوعة الرحلات الهندية لا يتعلق بأدب الرحلة وهو يلقي الضوء على بعض مراحل تاريخ الهند وثقافتها وعلاقتها التجارية والثقافية بالعرب. وكما مباحث المجلد السابع كلها لا علاقة لها بأدب الرحلات بأنها تحيط بالمعتقدات الهندية ولعله سمى الأستاذ الطريحي مباحث المجلد السابع بالسياحة الدينية في المعتقدات الهندية فالمجلد السابع يحيط الديانة الجينية الهندية والفلسفة الهندية القديمة والمقارنة بين الفلسفة الهندية والغربية، والآلهة والإلهات الهندوسية، وملحمة الرامايانا الهندية، وعلم اليوغا الهندي. والمجلد الثامن يلقي الضوء على الديانة الزرادشتية وما يتعلق بها.
- نظرا إلى المباحث غير المتعلقة بأدب الرحلات أستطيع أن أقول لو جمع ما نقل في موسوعة الرحلات الهندية ولا علاقة له بأدب الرحلات بالمعنى الخاص فهو يحيط على اكثر صفحات من موسوعة الرحلات الهندية.
- إن الأستاذ الطريحي نقل فيها بعض الرحلات العربية إلى البلدان

الأخرى غير الهند مثل سياحتي في سريلانكا للأستاذ محمد سعيد الطريحي، رحلة السيد حسن الأمين و الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى الباكستان.

- إن الأستاذ الطريحي بدأ موسوعته بتأليفه "كتاب تحية إلى الهند" وجمع فيها أشعار الشعراء العرب عن الهند وما يتعلق بها ومنهم عمر أبو ريشة، وأحمد شوقي، وخليل مطران، ونديم الرافعي ومصطفى جمال الدين ومحمود خليفة غانم وغيرهم.
- إن الأستاذ الطريحي قام بتحقيق وتحرير وتهذيب بعض الرحلات مثل سلوة الغريب وأسوة الأديب للسيد علي صدرالدين الحسيني الحسني المعروف بابن معصوم المدني، و رحلة إلى الهند للمطران مار إثناسيوس أغناطيوس نوري، و رحلة إلى الهند للمطران مارقولس بولس دانيال الباخديدي، و الرحلة الأعسمية إلى الديار الهندية (سنة 1924م) للشيخ عبدالحسين الأعسم النجفي وغير ذلك.
- إن الأستاذ الطُريحي قد قدم لعدد كبير من الرحلات الهندية أو المباحث الأخرى في صفحة أو صفحتين أو ثلاث صفحات أو أكثر منها.
- إن الأستاذ الطُريحي لم ينقل سائر الرحلة بل اختار منها ونقل في موسوعته مثل حكايات وحوارات من بلاد البهارات: قرأة ومختارات من رحلة أنيس منصور إلى الهند.
- قد نقل الأستاذ الطُريحي بعض رحلاته مثل لمعات النور في الرحلة إلى بنغلور وسلطنة ميسور، و بهجة الزمن في الرحلة إلى حيدرآباد الدكن، و رياض المسرات في محاسن كجرات وغير ذلك.
- نقل الأستاذ الطُريحي بعض الرحلات النسائية مثل مشاهدة أمينة السعيد في الهند لأمينة السعيد، و مشاهدات سائحة في الهند للدكتورة عائدة بشارة، و رحلة الهند للدكتورة نوال السعداوي ولكن لم يستوعبها.
- قد جمع الأستاذ الطريحي بعض الرحلات الهندية باسم الرحلة إلى

الهند والرحلة الهندية ومشاهدة أومشاهدات فلان، ولعله لم يذكر إسمه الأصلي مثل رحلة إلى الهند للمطران مار إثناسيوس أغناطيوس نوري، ورحلة إلى الهند للمطران مارقولس بولس دانيال الباخديدي، والرحلة الهندية لبطريرك أنطاكية وسائر المشرق مار أغناطيوش يعقوب الثالث، و مشاهدة أمينة السعيد في الهند، و من مشاهدات محمد المجذوب في الهند وغير ذلك.

- قد اقتبس الأستاذ بعض الرحلات وسماه باسم جديد بنفسه مثل ذكريات في الهند للسفير حليم سعيد أبي عزالدين من كتابه "تلك الأيام" ، ورحلة إلى الهند لصالح محمد جمال السعودي من كتابه "ذكريات ورحلات"، ورحلة سيدي ريّس أمير البحرية العثماني إلى الهند، اقتبسها الأستاذ محمد سعيد الطريحي من كتابه "مرآة الممالك" وغير ذلك وسماهما من نفسه باسم جديد.
- إن الأستاذ الطريحي لم يشمل أكثر رحلات الرحالين العرب إلى الهند من القرن العشرين في موسوعته. وهو نقص كبير نظرا إلى تسمية كتابه بـ"الموسوعة".
- إن الأستاذ الطريحي قد أبرز فكره الشيعي في رحلاته إلى الهند مرة بعد مرة، ومن هنا إلى هنا وأراد أن يعرض الهند على الناس كأن الهند مملكة شيعيية وأكثر أهاليها ينتمون إلى المذهب الشيعي.

***

د. ثمامة فيصل*

"عجالة في رحلة الهند" لمحمد رشيد رضا: دراسة تحليلية

الإمام محمد رشيد رضا (المتوفى سنة 1354هـ/1935م) شخصية مرموقة وشامخة وغنية عن التعريف في الأوساط العربية والإسلامية، فهو أحد رجال الإصلاح الإسلامي، ومن كبار الكتاب، ومن العلماء بالحديث والتاريخ والتفسير،ومن الصحفيين النابهين من العصر الحديث. ولد ونشأ في بلدة القَلَمُون بطرابلس الشام، وتلقى فيها تعليمه، ثم رحل إلى مصر سنة 1315هـ، ولازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، وعمل في مجال الإصلاح الديني والاجتماعي في مصر وغيرها من البلدان العربية والإسلامية. وأصدر مجلة "المنار" لبثِّ آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي. ومن آثاره تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير المنار.[1]

سافر محمد رشيد رضا إلى الهند سنة 1912م، وسجل رحلته في مقالتين نشرهما في مجلة المنار. نشر حلقتها الأولى في العدد السادس من المجلة الصادر في يونيو سنة 1912م بعنوان "عجالة في رحلة الهند" في نحو تسع صفحات، بينما نشر الحلقة الثانية في العدد الثامن من المجلة الصادر في أغسطس من نفس السنة بعنوان "عجالة من رحلة الهند" في نفس العدد من الصفحات. عَنْوَنَ الإمام محمد رشيد رضا هذه الرحلة بعنوان "عُجالة في رحلة الهند" لأنه كان قد اعتزم كتابةَ هذه الرحلة بشيء من التفصيل في شكل كتاب مستقل إذا سنحت له هذه الفرصة فيما بعد،

* الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، جامعة مولانا آزاد الأردية الوطنية – فرع لكناو – sumamaid@gmail.com

[1] أنظر: الأعلام لخير الدين الزركلي ج6 ص126.

فاستعجل كتابتَها باختصارٍ آنذاك في شكل هاتين المقالتين، فيقول في مقدمة الرحلة: "قد استفدت في رحلتي إلى الهند والبلاد العربية الشرقية فوائد كثيرة جديرة بأن تنشر في المنار، وأن تدون في كتاب مستقل، ولذلك عزمت على تأليف رحلة خاصة في ذلك، ورأيت أن أعجل لقراء المنار ببعض ما رأيت واستفدت"[2]. وقد أشار إلى هذا العزم في مواضع عدة من هذه الرحلة.

ولكنه، على حد معرفتي المحدودة، لم يؤلف بنفسه أي كتاب مستقل يتضمن رحلاته إلى الهند أو إلى بلاد أخرى تنفيذا لعزمه وتحقيقا لإرادته، إلا أن الدكتور يوسف إيبش جمع وحقق رحلاته في شكل كتاب بعنوان: رَحَلات الإمام محمد رشيد رضا.[3] جمع فيه إيبش رحلات الإمام المختلفة شرقا وغربا. ونجد في هذا الكتاب مقالتين لمحمد رشيد رضا بعنوان: "رحلتنا الهندية: شكر علني"،[4] عبر فيهما عن شكره وتقديره لمن استضافه وأكرمه من علماء الهند وأمرائها وأعيانها في مدنها ومؤسساتها المختلفة أثناء رحلته الهندية. وكانت هاتان المقالتان قد نُشرتا من قبلُ في مجلة المنار سنة 1913م. ومن المثير للعجب بهذا الشأن أن يوسف إيبش لم يضم إلى هذا الكتاب مقالتَي محمد رشيد رضا اللتين ألفهما ونشرهما بعنوان: "عجالة في رحلة الهند" واللتان نحن بصددهما الآن. هذا، وقد ظهرت مجموعة أخرى لرحلات محمد رشيد رضا بعنوان: رحلتان إلى سورة 1908-1920م، حررها وقدم لها زهير أحمد ظاظا.[5]

والحقيقة أن هذه الرحلة التي ندرسها الآن تختلف عن نظيراتها من الرحلات العربية المعاصرة عن الهند، فعامة تلك الرحلات تتمحور حول

[2] "عجالة في رحلة الهند"، مجلة المنار، م15، ع6، ص449.

[3] صدر في نيسان 2000م من دار بدر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

[4] رحلات الإمام محمد رشيد رضا، يوسف أيبش، ص61 وص65.

[5] صدرت طبعته الأول في 2001م من دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي.

وصف الأماكن المعروفة والآثار التاريخية والأسواق والقلاع والمساجد وغيرها، أو تركز على ذكر الأحداث والوقائع والتجارب الذاتية، ولا نجد فيها اهتماما خاصا بوصف وتحليل الأحوال الثقافية والاقتصادية والتعليمية والدينية والسياسية بقدر ما نجد في هذه الرحلة للإمام محمد رشيد رضا، فإنه قد عالج فيها هذه الجوانب والموضوعات بناء على ملاحظاته وانطباعاته ومشاهداته الذاتية. فهذه الرحلة رغم قِصَرها، تتضمن ملاحظات دقيقة وقيمة حول الأحوال السائدة في الهند آنذاك كما سنرى بعد قليل. وقد تطرق المصنف في رحلته إلى هذه الجوانب المهمة لا كأي سائح متفرج ومتنزه، بل تناولها كمفكر متأمل ومصلح يقظ. ومما تتميز به هذه الرحلة الاهتمام البالغ لمؤلفها بدراسة الحالة التعليمية لأهل الهند بوجه عام والحالة التعليمية للمسلمين بوجه خاص، فزار بعضا من أشهر المؤسسات التعليمية للمسلمين في الهند وتحدث عنها في هذه الرحلة بشيء من التفصيل. بدأ الإمام محمد رشيد رضا رحلته بالحديث عن سفره البحري من مدينة بور سعيد في مصر إلى مدينة ممبئي في الهند بإحدى بواخر البريد الإنجليزية. وكان كثير من رفاقه على الباخرة من الإنجليز فسجل ملاحظاته عنهم، ومَدَحَهم لأخلاقهم الرفيعة، وخص بالذكر اهتمامَهم البالغ بالرياضة البدنية، وأثنى عليهم لهذه الميزة، وقال إنهم يجمعون بين الترف والنعيم والبأس والقوة، وانتقد أهل الشرق لعدم اهتمامهم بها، وقال إنهم لا يأخذون عن الإفرنج إلا أسباب الترف والنعيم ووسائل الراحة واللذة. فقال منتقدا زعماء الشرق وقواده بهذا الصدد بوجه خاص: "ومن العجائب أن الذين يزعمون منا أنهم مصلحون سياسيون ويتصدون لزعامة الأمة وقيادتها في ميدان الحياة الاجتماعية والسياسية، هم أشد أفرادها إسرافا في الترف، وانهماكا في اللذات".[6]

[6] "عجالة في رحلة الهند"، مجلة المنار، م15، ع6، ص449-451.

ونستطيع أن نلمح في أسلوبه نزعته الإصلاحية بكل وضوح، ونجد هذا الأسلوب في مواضع مختلفة من هذه الرحلة، وهو أسلوبه الخاص للإصلاح والتنبيه. ولا يمكن أن يفوتناهنا تنويهه بأخلاق رفاقه من الإنجيز على السفينة، فرغم مخالفته الشديدة لسياسة الإنجليز الاستعمارية وظلمهم واعتدائهم على أهل الشرق في كثير من مقالاته، فإنه يثني عليهم لأخلاقهم الرفيعة التي عاملوه بها أثناء رحلته معهم في الباخرة، ولكنه على ما أعتقد بالغ في ذلك بحيث إنه اعتبره سرا لسيادتهم رغم ما هو معروف ومسجل عن هؤلاء الإنجليز من إساءتهم إلى أهل الشرق وسوء تعاملهم معهم في كثير من المناسبات. فيقول: ثم إن أخلاقهم وآدابهم ليست مما ينساها المعتبر، أو يغفل عنها العاقل المفكر، وإنها لأخلاق عالية، وآداب سامية، وهل سادوا الأمم وبَزُّوا الدول إلا بعلو أخلاقهم، وصحة أبدانهم؟[7]

ومما استأثر اهتمامَه على السفينة عنايةُ الإنجليز بالنظافة، فرأى الملاحين يغسلون السفينة كل يوم، فقارن هذه النظافة المتميزة بما كان قد رآه من قلة الاهتمام بالنظافة في البلاد الشرقية بوجه عام وفي قصور الملوك والأمراء الشرقيين بوجه خاص، فقال: ولعلك لا تجد قصرا من قصور الملوك والأمراء ولا دارا من دور أهل القنع والثراء، أشد نظافة من هذه البواخر الإنكليزية.[8] وبعد حديثه عن الإنجليز، تحدث عن أزياء أهل الهند وعاداتهم في الأكل والطعام؛ ومن جراء كونه قادما من بلد عربي عريق وثقافة عربية راسخة فوجيء بما رآه من أزياء أهل الهند وبخاصة أزياء الهندوس منهم، فيقول عنها: هي أول ما يشغل نظر السائح ويثير تعجبه.[9] فعبر عن حيرته واستعجابه من أشباه العراة من الرجال والولدان الذين رآهم في الهند. فيقول عن نساء الهندوس: ألوفا من النساء الوثنيات

[7] المصدر السابقص450.

[8] المصدر السابق.

[9] المصدر السابقص451.

مكشوفات البطون والسوق والأفخاذ يجلسن في الشوارع والأسواق.[10] ويقول عن رجالهم: ويرى كثيرا من الرجال والنساء عراة الأجسام لا يسترون منها إلا السوءتين فقط.[11]

ومن الطريف ما كتبه عن الخِرَق التي وجدهم يسترون بها السَّوءَتين، فقال: ويسمون الخرقة التي يسترون بها السوءتين "سبيلَين"، وقد أخذوا هذا الاسم عن المسلمين الذين كانوا يُكرهونهم على ستر عورتهم بعد الفتح الإسلامي، والفقهاء يطلقون لفظ السبيلين على القبل والدبر كما هو معروف.[12] وذكر أن الهندوس من الرجال والنساء يكثرون من الحلي، وبخاصة نساؤهم حتى يقول الناظر: كيف يستطعن حملها؟[13] وتحدث عن ملابس المسلمين أيضا وأشار إلى التزامهم بالثقافة الإسلامية. فتحدث عن نوع الحجاب القديم الذي كانت تلبسه النساء المسلمات في البلاد الشرقية بعامة وفي شبه القارة الهندية وما جاورها من البلدان بخاصة، وتحدث عن الطاقية التي يلبسها كثير من المسلمين الهنود حتى اليوم.[14] ومدح المجوس من أهل الهند بهذا الخصوص، واعتبرهم أرقى الطوائف الهندية، فقال عنهم: إنهم أرقى أهل الهند حضارة ومدنية وعلما وثروة. وذكر السبب أيضا فقال: والسبب في ذلك أن الإنجليز عُنُوا بتربية هؤلاء المجوس وتعليمهم ما لم يُعْنَوا بغيرهم لحاجتهم إلى الاستعانة بهم على بعض الأعمال الوطنية، وعدم خوفهم من عاقبة ارتقائهم لأنهم قليلو العدد.[15] فمثل هذه الملاحظات والتعليقات تقدم للقاريء صورة واضحة

[10] المصدر السابق.

[11] المصدر السابق.

[12] المصدر السابق.

[13] المصدر السابق.

[14] المصدر السابق.

[15] المصدر السابق ص452.

لألوان الثقافة الهندية، كما أنها تدل في جانب آخر على النظرة الفاحصة للإمام محمد رشيد رضا في تحليل الأوضاع.

وبعد حديثه عن أزياء أهل الهند، انتقل صاحب الرحلة إلى الحديث عن عادات أهل الهند في الأكل والطعام. وقال أثناء حديثه عن عاداتهم في الأكل: لا يزال أكثر وثنيي الهند يأكلون على ورق الشجر كما كانوا قبل الفتح الإسلامي الذي غير كثيرا من عاداتهم.[16] ونلاحظ هنا أنه عمم ما رآه في منطقة معينة، مع علمنا أن هذه العادة للأكل على أوراق الشجر كانت ولا تزال شائعة في مناطق جنوب الهند، وأنها لم تكن رائجة بين أهل الشمال بشكل عام وهم أكثر عددا.

وتحدث عن عادات المسلمين في الأكل، وقال إن عامتهم يمدون السماط على الأرض ويضعون عليها الطعام ويأكلون بأيديهم مثل العرب، وأن الموائد المرتفعة والموائد والسكاكين لا تكاد تستعمل في داخل الهند إلا في بيوت الأمراء، وبعض المتعلمين على الطريقة الأوربية من رجال الحكومة وأضرابهم.[17]ومما تجدر الإشارة هنا مشاهداته الذاتية بهذا الشأن أثناء زيارته لقصور الأمراء والحكام المسلمين في مختلف أرجاء الهند. فيقول متحدثا عن زياته للأمير الكبير "راجَا محمود آباد" في مدينة لَكْناو بإمارة أَوَدْ بشمال الهند (في ولاية أترابراديش حاليا): وما حضرت مائدة على الطرز الأوربي من كل وجه إلا مائدة الأمير الكبير راجا محمود آباد في لكناو حتى إن الآكلين الذين كانوا معنا عنده قد التزموا الأكل بالشوكة والسكين.[18]

والحقيقة أن الإمام رشيد رضا استفاض في الحديث عن عادات أهل الهند في الأكل والطعام، وأورد مشاهداته بشيء من التفصيل مع

[16] المصدر السابقص453.

[17] المصدر السابق.

[18] المصدر السابق.

تعليقاته الدقيقة أحيانا. فلننظر إلى هذا الاقتباس من الرحلة حول طعام أهل الهند: ويكثرون في الطعام من الأفاوية بالفلفل الأسود والأحمر فيكون شديد الحرافة، يتألم من بعضه من لم يتعوده، ويكثرون أكل اللحم ويقللون من الخضر، وهذا لا يوافق طبيعة بلادهم الحارة.[19] ولم تفته بهذا الصدد الإشارة إلى ورق التنبول (البان).[20] ومما تحدث عنه في هذه الرحلة الحالةُ الاقتصاديةُ لأهل الهند، ومما أعجبه فيهم بهذا الشأن قلة استعمال الهنود للماعون الأوروبي وعدم تقليدهم للأوربيين، وكذلك قلة استعمالهم للأزياء الأوربية.[21]وهذا يذكرنا بحركة "عدم الموالاة"تجاه الاستعمار البريطاني ومقاطعة كل ما يمت إليه بصلة في تلك الأيام من قبل الشعب الهندي تحت زعامة الزعيم الهندي الكبير غاندي.

وقد أشرت فيما سبق إلى أن الإمام محمد رشيد رضا تحدث بالتفصيل حول وضع التعليم في الهند وقتَ زيارته لها، فبدأ حديثه عن الحالة التعليمية فيها بانتقاده السياسة التعليمية للإنجليز، وقال إن المدارس التي أسسوها لا ترمي إلا إلى إعداد الكوادر التي كانوا بحاجة إليها لإدراة حكمهم في هذا البلد.فقال: ولولا ذلك لأمكن للحكومة الإنجليزية أن ترقي أهل الهند في هذه المدة التي استولت عليهم فيها إلى الدرجة العليا.[22] ولكن الحكومة الإنجليزية لم تكن ترغب في ذلك بسبب سياستها الاستعمارية.

وأشار إلى المدارس التي أسسها الهنود في مختلف أنحاء الهند. وهنا أيضا نجده يشيد بطائفة المجوس باعتباره مدارسَهم أرقاها مستوى وأكثرها عددا. وهذه حقيقة تاريخية لا شك فيها أن المجوس في الهند كان لهم اهتمام بالغ بتعليم أبنائهم، وإن كان ذلك بمساندة البريطانيين وتشجيعهم

[19] المصدر السابقص454.

[20] المصدر السابق.

[21] المصدر السابق.

[22] المصدر السابقص455.

لهم كما سبقت الإشارة إلى ذلك.[23] وأشار الإمام محمد رشيد رضا إلى تأخر المسلمين في التعليم العصري، وذكر سببه أيضا فقال: وأما المسلمون فتأخروا في البدء بالتعليم العصري عن جميع شعوب الهند، لأنهم كانوا أشد جفوة للإنكليز من غيرهم، وكان الإنكليز يرتابون فيهم ما لا يرتابون في غيرهم، ويخشون جانبهم ويحذرون قيامهم عليهم لأنهم كانوا أصحاب السيادة والقوة قبل استيلاء إنكلترة على البلاد.[24]

وتحدث عن السيد أحمد خان وعن تأسيسه مدرسة عليكره بمواطأة الحكومة الإنجليزية، وعما واجهه من معارضة شديدة واتهامات عنيفة من قِبَل مسلمي الهند في بداية الأمر، ولكنه واصل جهده بصمود وعزيمة؛ حتى أدركوا جدارة هذه المبادرة فقدموا له كل العون والمساعدة، فتكللت مساعيه بالنجاح. فيقول الإمام محمد رشيد رضا بهذا الشأن: وقد لقي السيد أحمد خان في أول العهد بالعمل مقاومة من المسلمين وتضليلا وتكفيرا من رجال الدين، ولكنه كان يأوي إلى ركن شديد، فنجحت مدرسته، وعضدها أغنياء المسلمين وأمراؤهم من جميع الفرق والنحل، وطلابها الآن ألف ومئتان أو يزيدون.[25]وللعلم فإن هذه المدرسة تحولت إلى كلية، وقد أشار صاحب الرحلة إلى هذه المرحلة الانتقالية أيضا. وأخيرا تحولت هذه الكلية إلى جامعة، وتُعدُّاليوم من أفضل الجامعات الهندية وأرقاها، وقد نالت سمعة واسعة على مستوى العالم، وأبناؤها يشغلون مناصب رفيعة داخل الهند وخارجها.

وأشار الإمام محمد رشيد رضا إلى النقص الذي كان يتصف به نظام التعليم في مؤسسات التعليم الدينية والمدارس العربية في

[23] المصدر السابق.

[24] المصدر السابقص456.

[25] المصدر السابق.

الهند.فيقول أثناء حديث عن إحدى المدارس العربية في دلهي: وفي دلهي مدرسة كبيرة تسمى المدرسة العربية، كانت أنشئت لأجل التعليم باللغة العربية وإحيائها، ووهب لها أحد كبراء المسلمين في حيدرآباد مبلغا كبيرا من المال يُصرف بواسطة الحكومة الإنكليزية، وفيها مآت من الطلبة لا يعرف أحد منهم من العربية شيئا، بل معلم العربية فيها لا يعرف العربية.[26] وهذه حقيقة مُرة لا نستطيع إنكارها وهي أن المسلمين الهنود الذين يتعلمون اللغة العربية أو يدرّسونها لا يهتمون باستعمالها وإحيائها في حياتهم بالتحدث بها والكتابة فيهاكما ينبغي رغم إتقانهم وحفظهم كثيرا من نصوصها وعلومها وقواعدها النحوية والصرفية، وهذه الظاهرة ما زالت قائمة في معظم المدارس العربية في الهند حتى اليوم، ولا يمكن معالجة هذه المشكلة فيما أعتقد إلا بعقد دورات تدريبية مكثفة لأساتذة هذه المدارس يتم فيها تدريبهم على استعمال هذه اللغة والتحدث بها والتواصل بها فيما بينهم ومع طلبتهم.

وتحدث الإمام محمد رشيد رضا في هذه الرحلة عن اهتمام الحكومة الإنجليزية بتعليم اللغة العربية، وانتقد المسليمن لارتيابهم في نية الإنجليز وراء هذا الاهتمام وقال: إن تعليم العربية يقوي الدين الإسلامي نفسه، ولا ضرر فيه البتة.[27] والحقيقة أن ملاحظاته حول هذا الموضوع تجدر بالبحث والدراسة في مقالة مستقلة. وفي سياق حديثه عن التعليم بين المسلمين الهنود انتقدهم نقدا لاذعا لفشو نزعات وثنية فيهم بدعاء أصحاب القبور واتخاذ قبورهم أوثانا. ومدح الشاه ولي الله الدهلوي لنزعته إلى الاستقلال في الفهم واجتناب التقليد الأعمى، وانتقد أتباعه لزجهم أنفسهم في غمرة التقليد فيما بعد. وهذه الملاحظات الصريحة تعكس في

[26] المصدر السابق ص457.

[27] المصدر السابق.

الحقيقة نزعته المعهودة إلى الاعتدال والاجتهاد والانفتاح. فقال عن الشاه ولي الله الدهلوي أثناء حديثه عن حالة العلوم الدينية للمسلمين في الهند: أما المسلمون فكانت سوق العلوم الدينية ووسائلها من العلوم العربية نافقة في كثير من مدنهم، ثم كسدت مدة طويلة ما كان يظهر فيها إلا قليل من العلماء، ثم جددها ولي الله الدهلوي صاحب كتاب حجة الله البالغة بنزوعه إلى الاستقلال في الفهم، واجتناب التقليد الأعمى في كل علم.[28]

وزار الإمام مدرسة ديوبند المعروفة بأزهر الهند بشمال الهند فأُعجب بها كثيرا، وتأثر بإخلاص علمائها، فقال عنها: ما قرت عيني بشيء في الهند كما قرت برؤية مدرسة ديوبند، ولا سُرَّتْ بشيء هناك كسرورها بما لاح لها من الغيرة والإخلاص في علماء هذه المدرسة. ولكنه في الوقت نفسه اقترح عليهم بعض الاقتراحات لإصلاح التعليم فيها وإضافة بعض العلوم العصرية في منهاجها، الأمر الذي يدل على رؤيته الرحبة وفكره الواسع حول نظام التعليم الديني.[29] ومن المدارس العربية الهندية التي زارها الإمام محمد رشيد رضا وتحدث عنها مدرسة فتح بُوْرْ بدلهي، ويبدو من انطباعاته حول هذه المدرسة أن مستواها كان رفيعا آنذاك؛فإن مستواها التعليمي قد انحط فيما بعد ولم تبق لها تلك السمعة التي كانت تتمتع بها في السابق، فلننظر إلى ملاحظته حول هذه المدرسة: وإني لأرجو الخير والإصلاح لمدرسة (فتح بور) في دلهي بهمة ناظرها سيف الرحمن الأفغاني وغيرته وإخلاصه، وقد سررت بزيارتي واجتماعي بجمهور العلماء والطلبة فيها، ورحب بي بعضهم بخطبة عربية ارتجالية؛ فأجبته بخطبة وجيزة أودعتُها من النصائح في إصلاح التعليم وأهله ما فتح الله تعالى علي به هناك.[30] وتحدث الإمام

[28] المصدر السابق م15 ع8 ص620.

[29] المصدر السابق ص621.

[30] المصدر السابق ص622.

محمد رشيد رضا في هذه الرحلة عن دار العلوم لندوة العلماء، وكان في الحقيقة مدعوا للمشاركة في احتفالها، فقال عنها: أما مدرسة ندوة العلماء التي أسست لأجل إصلاح التعليم الديني ودراسة العلوم الإسلامية والعصرية كلها باللغة العربية والتي زرت الهند بدعوة جمعيتها وكنت رئيس احتفالها (اجتماعها العام في هذا العام) فإنني لم أقف على طريقة التعليم فيها بسبب أيام العطلة فيها.[31] وأشار في رحلته إلى شدة اهتمام العلماء الهنود بالعلوم العقلية من المنطق والفلسفة القديمة والأصول، كما أشار إلى عنايتهم البالغة بالحديث وفهمه. ولكنه في الوقت نفسه انتقدهم لتأويل الأحاديث حسب مذاهبهم الفقهية وتكلفهم في ذلك، وانتقدهم لشدة اعتمادهم على التقليد دون الاجتهاد.[32]

واختتم الإمام محمد رشيد رضا رحلته بالحديث عن الحالة السياسية في الهند، فتحدث عن سياسة البريطانيين تجاه المسلمين والوثنيين، كما تحدث عن مدى التلاحم والتضامن الموجود بين هاتين الطائفتين من الشعب الهندي.كما أشار إلى أن الحكومة البريطانية وضعته موضع الظن والشك واتهمته بالسياسة، فقال: ولكن الحكومة الإنجليزية هناك جعلتني في موضع الظنة واتهمتني بالسياسة، فأذكت علي العيون والجواسيس، فكانوا أتبع لي من ظلي من حيث أفطن لهم ومن حيث لا أفطن.[33] وأضاف قائلا: فلم أتعمد البحث في السياسة لذاتها، وكنت أحسن التخلص ممن يسألني مسائل سياسية فلا أسيء رده ولا أخوض معه كثيرا ولكن جاء في كثير منها عفوا أو نافلة تابعة لمباحث أخرى.[34]

ولو تحدثنا عن أسلوبه في هذه الرحلة، فيمكن وصفه بالسهل

[31] المصدر السابق ص622.

[32] المصدر السابق ص622.

[33] المصدر السابق ص624.

[34] المصدر السابق ص625.

الممتنع الخالي من السجع أصلا كأسلوبه في سائر كتبه ومقالاته. ويتسم أسلوبه في هذه الرحلة بالجرأة والصراحة في التعبير عن آرائه وانطاباعاته.

المصادروالمراجع:

1. خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
2. محمد رشيد رضا، رحلات الإمام محمد رشيد رضا، جمع وتحقيق: الدكتور يوسف إيبش، دار بدر للنشر والتوزيع، 2000م.
3. محمد رشيد رضا، رحلتان إلى سورية (1908-1920)، تحرير وتقديم: زهير أحمد ظاظا، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2001م.
4. محمد رشيد رضا، مقالة بعنوان: عجالة في رحلة الهند، مجلة المنار، العدد 6، يونيو 1912م.
5. محمد رشيد رضا، مقالة بعنوان: عجالة من رحلة الهند، مجلة المنار، العدد 8، أغسطس 1912م.

***

دكتور محمد شاكر رضا *

الهند في رحلة "مشاهَدَاتي في بلاد الهند" للهادي إبراهيم المشيرقي

ملخص البحث:

الهند بلاد العجائب والغرائب، وبلاد السحر والجمال. ولذا لفتت أنظار السُيّاح العربيّن والغربيّن في كل عصر. وأسهم أدب الرحلة العربية مساهمة فعّالة في استكشافه الهند في العصر الحديث. ولكل رحلة من هذه الرحلات العربية طابعها المميّز. ومن أمثلة هذه الرحلات العربية المعاصرة يمكن أن نتوقف عند رحلة الأستاذ الليبي "الهادي إبراهيم المشيرقي" (1908م - 2007م)، في رحلته إلى الهند، اختار لها عنوان "مشاهداتي في بلاد الهند". وتعد رحلته من أروع الكتب التي ألفت في أدب الرحلات العربية الهندية في العصر الحديث، فقد أجاد المؤلف في وصف الأماكن الهندية، ومدنها، وآثارها، وعاداتها، وتقاليدها، ودياناتها، ومواقفها الغريبة و الطريفة التي صادفها. وتناول بعض اللمحات التاريخية، وأعطى لمحة خفيفة عن الأخلاق الحميدة و التسامح الذي يتمتع به الشعب الهندي العظيم، والشخصيات البارزة التي أنجبتها الهند. والكتاب مليء بالصور التي التقطها الكاتب. سافر المؤلف خلال مكوثه في الهند إلى بلاد دلهي، وجَيْبور، وآغرا، وبنارس، وكلكتا، ودارجِلِنْغ، وبنغلور، وممبئي، وعدة أماكن جميلة أخرى، وسجّل كل ما وقعت عينه عليه.

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، حيدرآباد، الهند.

نبذة عن المؤلِّف ورحلته:

نجد في كتاب "قصتي مع ثورة المليون شهيد" ([1]) معلومات عن المؤلف "الهادي إبراهيم المشيرقي"، وفيها أنه وُلد في طرابلس يوم الأحد في 15 ذي الحجة 1325هـ الموافق لـ 19 يناير 1908م. ومنح الجنسية العثمانية والشهادة بخبشة السلطان عبد الحميد الثاني. وأسّس نادي الموسيقى بطرابلس سنة 1933م، وهو الأول من نوعه في ليبيا، والنادي الأدبي بطرابلس، ومجلس إدارة منظمة السياحة والفنادق الليبية سنة 1951-1970م، كمَا كان من مؤسسي بعض الفرق المسرحيّة في طرابلس، وكان من مؤسسي الشركة الليبية للصناعات المعدنية، وعمل عضوا في لجنة المتصرفية الاستشارية في عهد الإدارة العسكرية البريطانية، واللجنة الاقتصادية للتجارة والصناعة لدى بعثة الأمم المتحدة للمساعدة الفنية بليبيا سنة 1951م.

عاش المشيرقي قرناً كاملاً وقفه في خدمة بلده من خلال انتباهه وحسن توظيفه، فكان من رعاة المسرح والمنتديات الأدبيّة. وضرب أروع الأمثلة في حب الوطن والدّفاع عن مصالحه، وفي دعم الفن والثقافة، ووقف إلى جانب قضايا أمته العربيّة والإسلاميّة، وساند قضايا التحرر من الجزائر إلى فلسطين، ودعم الثورة الجزائريّة وساندها مادياً وأدبياً، وقد اعترفت الحكومة الجزائرية بعد استقلالها بفضله ودوره البارز في الثورة الجزائريّة. وتوفي في طرابلس في الثالث من شوّال 1428 هجري الموافق لـ 14 أكتوبر 2007م، وقد أوصى قبل وفاته أن يدفن في الجزائر، وتكرمت الحكومة الجزائريّة باستقبال جثمانه بما يليق بمقامه، وتمَّ دفنه بالجزائر تنفيذاً لوصيته .

([1]) – قصتي مع ثورة المليون شهيد، للهادي إبراهيم المشيرقي، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، عام 2000م، ص 5 وما بعدها.

كان المشيرقي كثير الرحال قام برحلة إلى عدد كبير من البلدان منها: الهند، واليابان، والصين، وإيطاليا، والنمسا، والألمانيا، وسويسرا، وفرنسا، وإسبانيا، والبرتغال، وبرطانيا، والولايات المتحدة، والبرازيل، والأرجنتين، والمغرب، وتونس، ومصر، والسودان، والحبشة، ولبنان، وفلسطين، والأردن، والحجاز، وسوريا، والعراق، وتركيا، وإيران، وإندونيسيا وغيرها من البلاد. وقد تجول في داخل هذه الأقطار، وتكررت رحلاته إلى كثير من البلاد أعلاها عملا بالقول المأثور: سافر ففي الأسفار خمس فوائد. وكان المشيرقي يعتبر الرحلة دائرة معارف، والسفر لذة ومتعة وراحة وفرجة وترفيها رغم ما قيل عنه من أنه مشقة وقطعة من العذاب. وكان يرحب بالتعب في سبيل المعرفة وسعة الأفق والعلم بأحوال وأمور العالم والأمم ([2]).

إنه شارك في مؤتمرات وندوات وفعاليات ثقافية في عدد من الدول العربية وغير العربية. وألّف كتاب "مشاهداتي في بلاد الهند"، وكتاب "ليبي في اليابان"، وكتاب "ذكريات" وكتاب "قصتي مع ثورة المليون شهيد".

ويعد كتابه "مشاهداتي في بلاد الهند" الكتاب الوحيد – بقد ما أعرف - لليبي يسجّل رحلته إلى الهند ومشاهداته فيها. ويمكن تقسيمه إلى جزئين رئيسيين، الأول: وهو اليوميات، وفيها يشير المؤلف إلى الأماكن التي ذهب إليها. ثم يعطي معلومات تاريخية مختصرة عن أهم معالم هذه البلاد. والجزء الثاني يعطي فيه المؤلف معلومات عامة عن الهند. والكتاب خفيف يشتمل على 103 صفحة، ويتزيّن بكثير من الصور، ويعتبر فريدا في المكتبات الهندية والعربية، وزيادة في رصيد كتب الرحلات العربية. وطُبع بالمطبعة الليبية طرابلس، ليبيا عام 1967م. وأهدى المؤلف كتابه إلى روح خله الوفي المرحوم الأستاذ أحمد راسم باكير (1910-1963م) الذي كان من

([2]) - مشاهداتي في بلاد الهند، للهادي إبراهيم المشيرقي، طبع بالمطبعة الليبية، طرابلس، ليبيا، 1967م، ص 6.

أعلام طرابلس البارزين، وجاهد وكافح في صمت رائع وتواضع من أجل إعلاء كلمة الحق وصال وجال من أعلى المنابر مرشدا ومدافعا من أجل حرية الشعوب. وقدّم المشيرقي هذا الكتاب إلى منظمة التحرير الفلسطينية، وخصها بثمنه، مساهمة منه في خدمة قضية فلسطين، قضية العروبة والإسلام. وكتب أحمد الشقيري اللبناني (1908- 1980م) للكتاب المقدمة، وكان القشيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، وأدى دورا ملموسا في كفاح تحرير فلسطين داخل الدول العربية وخارجها، كما ترك عدداً من المؤلفات تدور حول القضايا العربية والقضية الفلسطينية ([3]). وقبل الخوض في الحديث عن الهند تحدث الكاتب عن الشعب الفلسطيني وكفاحهم ضد بريطانيا العظمى من أجل الدفاع عن وطنهم فلسطين، ووضع خلال الكتاب صورا شتى تتعلق بالثورات والمظاهر الفلسطينية.

ويشتمل الكتاب على عدة أسفار قام بها المؤلف خلال إقامته في الهند، ويتناول كل سفر تفاصيل المدن التي زارها، والمشاهد التي رآها. ويقوم المشيرقي بتعريف موجز لكتابه، فيقول: "أتقدم بهذه المشاهدات التي رأيت أن أجمعها وأطبعها، ويطلع عليها من فاتته فرصة زيارة الهند من أبناء الضاد، فيُلِمّ بأحوال أمة عظيمة في التاريخ لعبت دورا وأبرزت وجود عظماء من أمثال غاندي ... ونهرو، وبذلك تتم الفائدة. وأشعر من صميم فؤادي بأني قد قمت بالتعبير عما يكنّه ضميري من محبة وحنين لتلك البلاد العظيمة مهديا لقطاتي من تلك المشاهدات التي اعتبرها ذكريات أيام طوال قضيتها في ربوع الهند الحبيب الذي يسكنه الشعب الوديع المسالم الذي بث فيه الزعيم المثالي غاندي العظيم روح الإخاء والوفاء والتسامح والإخلاص، الهند الذي يكفي أن يقال عنها أنها أنجبت هذا الرجل العظيم الذي عاش للسلم ومات لأجله... سيدي القارئ: لعلك لا تجد في هذا الكتاب شيئا مغريا

([3]) – موقع وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية: https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=5084

أو أسلوبا جذابا يجعلك تقبل على مطالعته بشوق فأرجو المعذرة، إذ إن كتابي هذا لا يشتمل على قصة خيالية ولا هو بالبحث العلمي المستفيض، ولكنه مجرد استعراض يشبه الشريط السينمائي ولكن بدون "ماكياج"، جمعت فيه أجمل مشاهداتي في بلاد الهند، ونقلت فيه ما سمعت وما رأيت آملا أن أكون قد وفقت في ذلك. إن ذكريات مشاهداتي في الهند لم تدون في المذكرات، بل إنها اختارت أن يكون القلب لها مقرا مدى الدهر، ومهما كان الوصف فإني في الواقع أشعر بأن ذلك لا يفي تلك الربوع حقها نظرا لما أُكنّه لها من عميق الحب، ولارتباط هذا البلد العجيب الساحر بروابط من حياتي ... ومن خلال رحلاتي علقت انطباعاتي عن الهند بذهني وأصبحت شغلي الشاغل حتى أفرغتها في هذا الكتاب المتواضع الذي أقدمه اليوم للقراء علهم يجدون فيه ضالتهم المنشودة. فإن وفقت فتلك هي بغيتي، وإن لم يحالفني الحظ في نيل رضا القارئ فتلك لم تكن أمنيتي - حفظ الله الهند وجاراتها وسهل السفر للقارئ. ([4]).

صورة الهند في "مشاهَدَاتي في بلاد الهند":

تحدّث فيها الكاتب الرحالة عن أسفاره إلى الهند، والتقط خلالها صورا شتى لمناظر عدة، وبأبعاد وزوايا متعددة، ووضع تلك الصور خلال كتابه. ووضع في صفحة الغلاف صورة ملوّنة لطِفلة هندية تلبس الساري، وهي جالسة أمام المصابيح الزيتية الترابية التي تضاء في عيد ديوالي (عيد الأنوار) في المنازل والشوارع في جميع أنحاء الهند. وتدعو هذه الصورة القراء إلى حب القراءة والاطلاع على هذا الكتاب قبل لمسه وتقليب صفحاته. ولا شك أن الصورة في صفحة الغلاف تكون مرآة الكتاب كله، وفاتحته. وذكر الكاتب تفاصيل دقيقة عن الآثار والمشاهد التي زارها خلال إقامته في الهند، وتناول

([4]) - مشاهداتي في بلاد الهند، للهادي إبراهيم المشيرقي، ص 6.

بعض اللمحات التاريخية عنها. وزار المؤلِّف الهند للمشاركة في مؤتمر سياحي عالمي لأصحاب الفنادق بدلهي في شهر فبرائر 1955م. وكان مؤتمرا كبيرا اهتمت به الحكومة الهندية وجمعية أصحاب الفنادق أيما اهتمام. وكان رئيس الشرف وكيل رئيس الهند سعادة راد حقي شان. ويذكر المؤلف وصوله إلى الهند وما لقي به من استقبال حار في المطار بدلهي الجديدة من جانب ممثلي الحكومة الهندية: "جمعتنا الطائرة الخاصة التي أقلتنا إلى الهند من لندن عبر باريس وروما والقاهرة، وبعد تناول العشاء في مطار القاهرة استأنفنا السفر إلى دلهي، ووصلنا صباحا. أُستقبلنا في المطار بدلهي الجديدة استقبالا رائعا ملؤه الحفاو ة والترحيب والزهور، فقد قلد كل منا عقدا من الزهور الزكية الرائحة، وما ألطفها من عادة في الاستقبال" ([5]).

وشاهد الكاتب الرحالة في العاصمة الهندية: منارة قطب الدين، وقوس علاء الدين، وجمعه مسجد، والقلعة الحمراء، ومرصد (صوان جى سنغ/Swai Jai Sing)، وشاهد أيضا عمود درافا (Iron or wishing pillar)، ويجذب هذا العمود انتباه الناس بسبب مقاومته القوية ضد التآكل منذ قرون. وهذا العمود قطعة واحدة من الحديد صنعه المهندسون قبل ألفي سنة في زمن تشندر غوبت الثاني (Chandragupta II) الذي حكم الهند خلال 375-415م. ويقوم الكاتب بتعريف هذا العمود الذي يدهش الناس قائلا: "وبين المنارة و (القاعدة) من جهة، والقوس من الجهة الأخرى، ووسط أطلال المعبد القديم، وضع المهاراجا درافا ([6]) عمود نصر تذكارا لأحد انتصاراته. والعمود من الحديد، وقد نقشت عليه كتابة بإحدى لغات الهند العديدة، ويبلغ ارتفاعه 15 مترا، وهو قائم بذاته، تجلت فيه دقة الصناعة رغم كبره وشكله المخروطي التام، حتى إن الخبراء اليوم كما أفاد الدليل

([5]) - نفس المصدر، ص 17.

([6]) – أراد بـ درافا Chandragupta II الذي بناه في أوئل القرن الخامس الميلادي.

يدهشون لتمكن القدماء من صنع عمود كهذا، قطعة واحدة من الحديد قبل ألفي سنة ([7]). ويعتقد بعض الهندوس أن أي شخص يستطيع أن يسند ظهره إلى هذا العمود، ويحيطه بأكمله بذراعيه حيث تتصل يداها سوف تتحق أمنيته. ويتحدث الكاتب عن هذا العمود غير أنه خصّصه بتحقق أمنية النساء، فيقول: "ولهذا العمود شأن مع النساء، تقصده الواحدة فتسند ظهرها إليه، وتحاول أن تحيطه بيديها من الخلف، والمحظوظة هي التي تتصل يداها من وراء العمود، فلها إذا أن تطلب أو تتمنى ما تشاء، ويتحقق ذلك في اعتقادهن ماذا تطلب المرأة يا ترى؟؟ وماذا تطلب الفتاة؟؟ ([8])

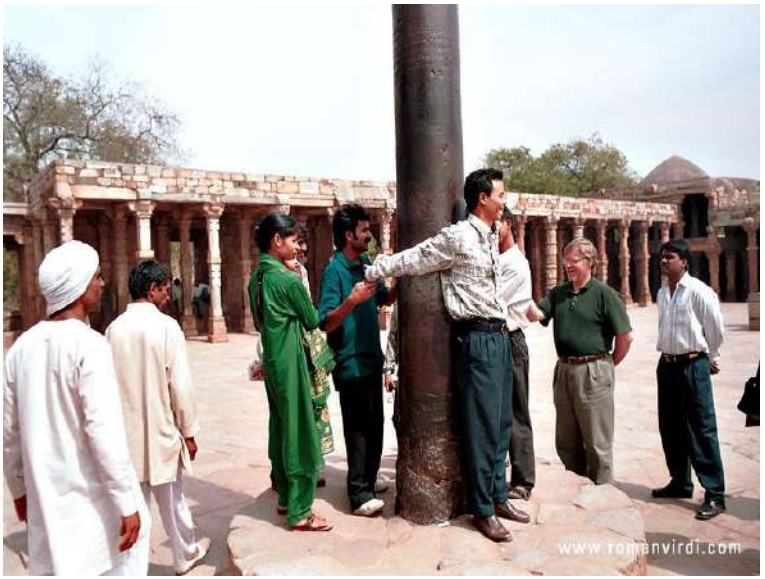

رجل يحاول أن يحيط العمود بيديه من الخلف في مساحة منارة قطب الدين

وزار الكاتب ضريح "غاندي" والشخصيات الأخرى، ويتعجب لعظماء الهند

([7]) - نفس المصدر، ص 21.

([8]) – نفس المصدر، ص 21.

ومشاهيره أمثال الرحالة العرب الآخرين، ويتأثر تأثرا بالغا بالمناضل الهندي الكبير "غاندي" (Mohandas Karamchand Gandhi)، (02 أكتوبر 1869م – 30 يناير 1948م) بشخصيته، وصفاته الإنسانية التي تحلى بها منذ صغره من الحب والإخلاص والصدق، وعلاقاته مع والديه وزوجته، ومع أصدقائه وزملائه وحتى مع المنبوذين الذين أحبهم ورفع معنوياتهم بأن اعتبرهم من الإنسان. ويعبّر الكاتب عن احترامه وتقديره لهذه الشخصية العظيمة هكذا: "لنقف هنا اجلالا وتقديرا لهذا الانسان العظيم الذي احس بمأساة امة كاملة كانت تئِنُّ من الغبن والظلم والاستغلال ... واستطاع (غاندي) بتلك الصفات العالية التي لازمته من الصغر أن يجمع الهنود من حوله على اختلاف طوائفهم واديانهم، وأن يكون منهم - على فقرهم وضعفهم الجسماني وانعدام امكانياتهم - قوة أرهبت الإمبراطورية البريطانية واهتز لها التاج. عظيم ذلك الرجل الذي قال: "إنني إذا أخدم الهند لا أبتغي إيذاء أمة أخرى، ان الوطنية القائمة على البغضاء تقتل، اما الوطنية القائمة على الحب فهي تمنح الحياة"، و "كنت أرفض دائما ان اعمل في السر عملا أخجل من أن آتيه جهرا" ([9]). ويروي الكاتب حادثة وقعت في مدينة كلكتا: " في هذه المدينة ذات يوم بعد الحرب العالمية الثانية ظهر شعب كلكتا بأكمله في مظاهرة سلمية مطالبين بالاستقلال، وكان على رأس تلك المظاهرة الزعيمان غاندي ونهرو، ولما ظهرت عليهم دبابات المستعمرين الكبيرة محاولة تفريق الجموع المحتشدة، رفع غاندي صوته طالبا من الجماهير عدم إفساح الطريق للدبابات الزاحفة، والصمود أمامها، صمد الناس ولم يفسحوا الطريق للدبابات وتقدمت هذه، وسارت على الأجساد حتى سمع للعظام دوي رهيب. ولما شاهد رجال الدبابات ذلك، قدروا التضحية ونزلوا منها وتركوها بين الجماهير قائلين: إن شعبا هذا

([9]) – نفس المصدر، ص 24.

شعوره وهذه طاعته لزعمائه يجب أن ينال استقلاله. وكان ذلك فعلا العامل الأكبر لنيل الهند استقلالها" ([10]). ولا شك أن هذه الحادثة تدل على زعامة غاندي كما تدل على الشعور السياسي للشعب الهندي وطاعته لزعمائه.

ويغادر الكاتب مدينة دلهي ليصل بالطائرة إلى مدينة جَيبور (عاصمة ولاية مادهيا برديش) مع أعضاء المؤتمر الآخرين لقضاء عطلة الأسبوع (الأحد)، وينبهر بمدينة جيبور، ويسميها بباريس الشرق، وبلاد الخيال، وبلد العصا السحرية، والبلد العجيب، والمدينة القِرمزية. ويُعجب بهذه المدينة بسبب رؤيته القصور العجيبة والبديعة فيها، زخرفتها غاية في الدقة، وهي تجمع بين فنون الفرس والعرب والروم. وبناها المهاراجا سافاى جَيْسِنغ الثاني (Sawai Jai Singh II)في عام 1927م ، وكان المهاراجا مدمنا على المخدرات، وإدمانه هذا كان السبب في جعل جيبور مدينة شهيرة. وشاهد الكاتب الفيلة في الطريق، وكان هذا أيضا أمرا معجبا له، وركبها للتنقل في أنحاء المدينة. ومما لفت انتباه الكاتب في مدينة جيبور قدسية البقرة، وكونها أشد البلاد ازدحاما بالأبقار بعد مدينة بنارس، فيصفها: "في الأزقة والطرقات والميادين تجد البقر آمنا مطمئنا لا يكترث بما يدور حوله من حركة وصخب، فالبقرة لا يهمها المرور، وتسير بخطى وئيدة مترددة، تقف حيثما راق لها الوقوف. وكثيرا ما تضطر السيارات والعربات إلى التوقف بسبب بقرة في الطريق، والانتظار إلى أن تتحرك أو تساعد على التحرك، وليس حظ الذكر من التقديس كالأنثى، إذ يستعمل الثور لحمل الأثقال وجر العربات، أما هي فمقدسة وحسب، لا تعبّد ولا يثار غضبها، وإذا وافاها الأجل تحرق كالبشر عندهم" ([11]).

([10]) – نفس المصدر، ص 58.

([11]) – نفس المصدر، ص 29.

ويصل المؤلف بالقطار إلى مدينة آغرا. وشاهد هنا تاج محل، والقلعة الحمراء (وتوجد أخرى بدلهي وهي تحمل نفس الاسم)، وبرج الياسمين (لفَظَ شاه جهان آخر أنفاسه فوق هذا البرج، وهو ينظر إلى تاج محل النظرة الأخيرة). وكان المؤلف في اشتياق إلى رؤية تاج محل الذي بناه السلطان شاه جهان لزوجته، كأنه جاء إلى الهند لأجل رؤيته، وسرعان ما رأى تاج محل ومناظره الخلابة، اندهش وأعجب به، حتى اعتقد بأنه قد وصل غايته. ويصف المؤلف تاج محل بشكل مستفيض في صفحات كتابه. ومن بين الآثار التي شاهدها الكاتب المشيرقي "فتح بور سِكري". ويعد فتح بور سكري من الآثار الإسلامية الخالدة في الهند، ومعنى فتح بور: مدينة النصر، وسماها السلطان "جلال الدين أكبر" (المولود في 15 أكتوبر عام 1542م، والمتوفى في 25 أكتوبر عام 1605م) بهذه التسمية بعد أن فتح منطقة غوجرات في سنة 1573م. وكان اسم القرية التي أصبحت فتح بور سيكري هو "سيكري" فقط حيث أقام الشيخ سليم جشتي الولي المسلم الشهير في غار هنالك. وأسّس السلطان أكبر هذه المدينة، وحوّل عاصمته إليها من مدينة آغرا. ولكنه سرعان ماأعاد عاصمته إلى آغرا التي تقع على بُعد 38 كيلو ميتر من فتح بور سكري لأسباب سياسية، وجعل مدينة فتح بور سكري عاصمة ثانية له. ويذكر المؤلف هذه التفاصيل في رحلته مشيرا إلى الآثار الباقية في هذه البلاد، منها قلعة فتح بور سيكري، وحيراني منار، وقصر الفيل، وحواء محل. ويكشف اهتمام تعليم المرأة في عهد السلطان أكبر، فيقول: "كانت بالقعلة مدرسة خاصة، وهي أول مدرسة شيدها الإمبراطور محمد الأكبر، وبذلك صار أول إمبراطور اهتم بتعليم المرأة. وهذه المدرسة تشبه قصر السلطانة تركية أو (البيجوم استنبول) العظيم في زخرفته وبهائه" ([12]). وبالإضافة إلى ذكر هذه القصور الجميلة في تلك

([12]) – نفس المصدر، ص 40.

القلعة العظيمة التي كانت غاية في الروعة والفن والتنسيق والإبداع والزخرفة والنقش، ذكر المؤلف طرائف مضحكة تتعلق بالسلطان أكبر ووزيره الذي كان ذكيا حاذقا، ولم يذكر المؤلف اسم ذلك الوزير، لعله نسي اسمه. كان اسمه "مَهيش داس بيراغي"، (**Mahesh Das Bairagi**)، ودُعي بـ "بِربَل" لفكاهته وظرافته. وقد أُعجِب السلطان أكبر به لفطنته وسداد رأيه. وقصَّ الدليلُ هذه الطرائف على المؤلف وأعضاء المؤتمر الآخرين ليروّح عنهم، وهذه الطرائف المضحكة مشهورة في الهند. ولم يكن "بربل" رئيس الوزراء لدى السلطان أكبر كما ظنّ الكاتب، بل كان وزيرا له، وقد عمل قائدا في الإمبراطورية المغولية.

يزور الكاتب مدينة "بنارس" مهد الديانة الهندوسية، ويقدم صورتها، ففيها المعابد الكثيرة لكل واحد تاريخه، وفلسفته، ومذهبه يقصدها الحجاج من الهند، وآسيا الشرقية وغيرها، وفيها نهر الغانج المقدس لدى الهندوس، هم يتبركون بمياهه. ونجد في الكتاب تفاصيل دقيقة عن الكثير من الديانات والآلهة التي يعبدونها. ولدى الهندوس ثلاثة آلهة رئيسة: "براهما" هو إله الخَلق، و"فيشنو" هو إله الحفظ، و"شيفا" هو إله الدمار. ولا تغفل عين الرّحالة وهو يرصد طقوس الديانة الهندوسية أن يسجل حرق الأموات، فإنه رآه مرات عديدة في الهند، والقصد من الإحراق إحداث الفناء التام حتى لا يبقى للإنسان أثر في هذا العالم حسب معتقدات الهندوس. وعكست الرحلة الواقع الاقتصادي والاجتماعي الذي يعيشه الهنود، حيث يعاني كثير منهم من الفقر والمرض، كما يصفه الكاتب: " وفي بنارس تكثر ألعاب الفقراء الهنود، وكثيرا ما يشاهدهم الإنسان على قارعة الطريق يعرضون ألعابهم على السياح، هذا يصارع دبا، وذاك يعاكس أفعى، وآخر يعاكس بحركات بدنية من الغرابة والصعوبة بمكان ... تزدحم البلاد بالشحاذين والمعوزين ومشهوي الخلقة والمصابين بمختلف الآفات، تكاثر

عددهم بشكل ملحوظ هنا، حتى انني ذات مرة – وقد دخلت إحدى السيارات التي كانت تقلنا – في انتظار رفاقي الذين كانوا يصورون المناظر ... فأحاط الشحاذون بالسيارة من كل صوب حتى حجبت واضطررت لأن أقفل النوافذ والأبواب رغم اشتداد الحر" ([13]). وشاهد الرحالة نفس المشهد في مدينة ممبئي، وصوّره في كتابه: " هنا قمت بزيارة مسجد ([14]) أقيم على صخرة في البحر، ويصله بالأرض جسر طوله نصف كيلو ميتر تقريباً أقيمت في أوله المطاهر والميضات للاغتسال وللوضوء، ونظرا إلى بعد موقع المسجد بحيث لا يمكن لصوت المؤذن من الوصول الى المصلين في المدينة، فقد زود المسجد بطبل كبير يقرع في أوقات الصلاة ايذانا ببدئها. وعندما يسير المرء على الجسر يشاهد على الجانبين الكثير من الناس يطلبون الاحسان من المارة، وبعد كل بضع خطوات يجد (صرافا) مستعّدا لتصريف القرش إلى عشرين قطعة، فيتمكن المرء من إرضاء قسم من طالبي الإحسان بدون حرج ولا زحام ([15]).

ومن البلاد التي زارها المؤلف ووصفها في كتابه: مدينة كلكتا، ودارجلنغ، ومدراس (تشيناي)، وبنغلور، وميسور، وأورنغ آباد. وانتهت رحلته في الهند بزيارة مدينة بومباي الشهيرة، وهي تدعى بالعاصمة الصناعية للهند. ويتحدث الكاتب في جملة ما يتحدث عنه في كتابه هذا عن دخول الإسلام إلى بلاد الهند، وسقوط الحكم الإسلامي، ومحنة المسلمين في الحكم البريطاني، ودور مسلمي الهند في حرب الاستقلال، والمسلمون والقومية الهندية، وميلاد باكستان، وعواقب التقسيم، كما يتحدث في كتابه عن البطولات والشخصيات الإسلامية في الهند مثل السلطان تيبو، وسير سيد

([13]) – نفس المصدر، ص 46.

([14]) – يدعى هذا المسجد "بمسجد حاجي علي".

([15]) - نفس المصدر، ص 75 – 77.

أحمد خان وما إلى ذلك.

لغة الكاتب:

جاءت لغة المؤلف صافية رائقة في عمومها، وأسلوبه رائع جذّاب. واختار الكاتب طريقة تجمع بين أسلوب المذكّرات الشخصية وتدوين المشاهدات في أدب الرحلات. وبين هذا وذاك نجد بعض الأخطاء اللغوية التي تناثرت بين صفحات الرحلة.

وردت الأخطاء النحوية، مثل قوله: (السلطان) الاكبر ([16])، والصواب: أكبر بدون الألف واللام، فإن الاسم العَلم بحسب الأصل لا تدخله الألف واللام، وذلك لأنه معرفة بالعَلمية من قبل، وأل وسيلة للتعريف، ولا يجوز أن يجتمع على الاسم الواحد معرفان ([17]).

وانتشرت الأخطاء الإملائية في الكتابة، مثل: الاجلال، والاحساس، والامكان، والارهاب، والاحباب، والاحراق، والايمان، والاتمام وما شابهها، فقد كتبها المؤلف بهمزة الوصل، لا القطع ([18])، مع أن هذه الكلمات من الفعل الرباعي، والهمزة في الفعل الرباعي: الماضي، والأمر، والمصدر تكون همزة القطع، لا الوصل ([19]).

وفي المقابل فقد برع المؤلف في استخدام لغة السرد والوصف، ووصف الأبنية والشواهد الأثرية، والمشاهد الحية التي وقعت عليها عيناه بأسلوب جميل، وقوّاها بالتقاط صور لها، وإرفاقها بها، وتزداد هذه الصور رونقا وجمالا، كما نجد عند حديثه عن تاج محل، والقلعة الحمراء، ومنارة قطب

([16]) – المصدر نفسه، ص 38، 39.

([17]) – شرح ابن عقيل، ابن عقيل الهمذاني، طبع بدار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، عام ١٩٨٠م، ج 1، ص 127.

([18]) – المصدر نفسه، ص 23.

([19]) – الأساس في اللغة العربية، للدكتور عبد العزيز نبوي والدكتور أحمد طاهر حسنين، طبع بخدمات الطباعة القاهرة، عام 1987م، ص 42.

الدين، وقلعة فتحبور سكري وما إلى ذلك.

المصادروالمراجع:

1. الأساس في اللغة العربية، للدكتور عبد العزيز نبوي والدكتور أحمد طاهر حسنين، طبع بخدمات الطباعة القاهرة، عام 1987م.
2. شرح ابن عقيل، ابن عقيل الهمذاني، طبع بدار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، عام ١٩٨٠م.
3. قصتي مع ثورة المليون شهيد، للهادي إبراهيم المشيرقي، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، عام 2000م.
4. مشاهداتي في بلاد الهند، للهادي إبراهيم المشيرقي، طبع بالمطبعة الليبية، طرابلس، ليبيا، 1967م.
5. موقع وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية: https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=5084

***

د. قمر شعبان الندوي *

رحلة علي الطنطاوي إلى الهند: أدب في تأريخ وتأريخ في أدب

الملخص:

رحلات العرب إلى الهند ذي جذور عميقة وعريقة في القدم؛ رحل إليها التجار والسياح والدعاة والمجاهدون والعلماء والمثقفون والأدباء والساسة والمفكرون، ولكل من رحلاتهم بصمات عميقة وقوية في صفحات التاريخ مما تتعزز به الصلات الهندية-العربية على مدى القرون والأحقاب. **وعلي الطنطاوي** الذي رحل إلى الهند مستهل المنتصف الثاني من القرن العشرين وذلك عام 1954م[1]، وزار بعض مدنها، ودور تعليمها، وسجل رحلتها في أسلوبه الممتع البديع الذي يؤدي إلى تجلية جوانب مشرقة من تاريخ الهند الرائع، وحضارتها المتجذرة الضاربة في أعماق الماضي، وصورها النمطية المنوعة وقت وروده بها في قالب أدبي-تاريخي فاتن يمكن تعبيره بـ: "أدب في تأريخ وتأريخ في أدب". سوف تحاول هذه الدراسة بلورة بعض هذة الجوانب الأدبية- التاريخية المتمثلة في رحلته إلى الهند.

وتتمحور الدراسه حول المحاور الآتي ذكرها:

- دراسة حياة الطنطاوي الأدبية والفكرية
- دراسة رحلته إلى الهند
- الجانب التاريخي في رحلته
- الجانب الأدبي في رحلته

---

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بنارس الهندوسية، فارانسي الهند.
q.shaban82@gmail.com

[1] - الطنطاوي، علي: ذكريات، ج: 5، دار المنارة، جدة، 1987م، هامش ص: 215.

- التحليل النقدي لرحلته

الخاتمه

المصادر والمراجع

حياة علي الطنطاوي الأدبية والفكرية:

علي الطنطاوي؛ المعرف لايعرف! هو أحيانا شمس تستنير منها الكواكب والنجوم على سماء الفكر الإسلامي المزيج من الأدب والتاريخ، وأحيانا هو بدر تتبدى منه ظلمات المنطق والعقلانية، وتتجلى للقارئ النهم المغرم بالإبداع فصاحة اللغة ونصاعة البيان، وأحيانا هو عينه نجوم وكواكب معا تشع منها ومضات الألفاظ والمعاني والحروف والمفردات سلسلا من سلسل؛ إنه لطالب الأدب منارة ممسى راهب متبتل؛ إنه دون ارتياب علي الطنطاوي المؤرخ الأديب المفكر المنطقي المتفلسف، كل ما يكتب يكتب وكأن أمامه بحرا للتعابير والدلالات يتلاطم، والقارئ يغوصه فيغنم بأصداف ملئها الدرر واللآلي التي لطالما أو لربما لاتوجد في بحار أخرى؛ لقد خلف الطنطاوي وراءه أعمالا علمية وفكرية وتاريخية وأدبية وصحافية ما يمثل أسلوبه البلاغي القوي الاستثنائي النابغ الذي لاينجز إلا بذوق أصيل ودراسة متعمقة واسعة الأطراف وشاسعة الجهات مع الحنكة والدربة، وهذه الأعمال أجدرها بالذكر: أبو بكر الصديق ،أخبار عمر، أعلام التاريخ ، بغداد: مشاهدات وذكريات، تعريف عام بدين الإسلام، الجامع الأموي في دمشق، حكايات من التاريخ ، دمشق: صور من جمالها وعبر من نضالها، ذكريات علي الطنطاوي، (8 أجزاء) ، رجال من التاريخ، صور وخواطر، صيد الخاطر لابن الجوزي (تحقيق وتعليق)، فتاوى علي الطنطاوي، فصول إسلامية، فكر ومباحث، في أندونيسيا، في سبيل الإصلاح، قصص من التاريخ، قصص من الحياة، مع الناس، مقالات في كلمات، من حديث

النفس، من نفحات الحرم، هتاف المجد، بعد الخمسين، فتاوى علي الطنطاوي (الجزء الثاني) ، فصول اجتماعية ، نور وهداية، فصول في الثقافة والأدب، فصول في الدعوة والإصلاح، البواكير.

الطنطاوي في الهند:

علي الطنطاوي لكونه واسع الثقافات، مطلعا على تواريخ الأمم، والحضارات، وتاريخ اللغات والآداب كان على إلمام متقن ومعرفة دقيقة عن الهند وتاريخها الإسلامي المشرق الممتد إلى حوالى تسعة قرون، كما كان متعرفا على علمائها الأمجاد، ومفكريها النوابغ، ومؤرخيها الإسلاميين العمالقة، لقد كان تصفح نزهة الخواطر، وثقافة الهند، ومر بإنجازات علمائها في الحديث، والتفسير، والأدب، واللغة، والفقه الإسلامي، وفوق كل ذلك فإن الشخصية العلمية والفكرية البارزة التي تعلق بها تعلق الصديق بالصديق الحبيب الوفي وهي شخصية الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، -وعلى حد تعبير الطنطاوي عينه-، لقد كان عرفه قبل أن يلقاه عن طريق كتابه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، فإن كل هذه العوامل والصلات هي التي بعثته على ارتحاله التواق النهم إلى المدن الهندية المختلفة، فإنه كما كتب في ذكرياته زار أربع مدن بها: وهي مومباي، وكلكته، ودهلي، ولكنو؛ ينزل بدهلي، ويتجول في أسواقها، وشوارعها، وميادينها، فيصف كل ذلك بمواصفات تشبه بعضها بأسواق دمشق، وشوارع بغداد، ومناطق الرياض، لقد سجل زيارته لدهلي بعنوان: دهلي: الفردوس الإسلامي المفقود، فيصرصر قلمه مصورا مشاهد هذه الزيارة: "إنها دهلي كما كتبت، لادلهي كما يقول الناس، ولقد زرتها، وبقيت فيها أمدا (عشرة أيام) وجلت في شوارعها وحاراتها، ولقيت من رجالها وعلمائها، وقرأت الكثير عنها". وبعد هذه الجمل البسيطة في بُداءة هذه الرحلة يسرد التاريخ الإسلامي المشرق لهذه المدينة، بطريقة ينظم فيها حكايات فخر واعتزاز تمتع بها المسلمون في

هذه المدينة إبان الحكم الإسلامي فيقول:

"إنها المدينه التي لبثت 800 سنة وهي دارة الإسلام، وسدة الملوك المسلمين الذين ملؤوا الهند مصانع وآثارا وأترعوها مساجد ومدارس وقبابا"إلى أن قال "المدينة العظيمة التي عاش فيها أبطالنا حاكمين، ثم ثووا في ثراها خالدين"[2]

نرى الطنطاوي في هذه الرحلة يقارن بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية، ويرى أن دهلي رمز من رموز هذا الجمع بين القديم والحديث اللذين يتمثلان فيما هو متجل في مبانيها ومعالمها وآثارها المتلألئة النيرة الشامخة، فيكتب في مكان:

"دهلي التي تجمع الزمان من طرفيه والأرض من جانبيه، ففيه القديم والحديث، وفيه الشرق والغرب جميعا، فهي من هنا المدينة الآسيوية التي تحتجب وراء الأسوار العالية وتتوارى خلال الأزقة الضيقة، وهي من هناك المدينة الأوروبية السافرة المتبرجة، ففي دهلي القديمة سحر الشرق وروحانيته، وفي ذهلي الجديدة (نيودلهي) روعة الغرب وحضارته، في دهلي أروع آثار الملوك المسلمين وفيها أكبر آثار الحكام البريطانيين".[3]

ثم يردف مقارنا بينهما:

"أما المسلمون فقد عنوا بالجمال أولا ثم بالضخامة والجلال؛... وأما الإنجليز فأرادوا الضخامة والجلال، ثم الروعة والجمال، فمن أراد الهيكل الضخم والعظمة البادية رآه في آثار الإنجليز، ومن طلب الدقة والفن والجمال وجدها في آثار المسلمين"، ثم يقول: "وحسبهم أن قبرا بناه الملك المسلم شاهجيها لا يزال إلى اليوم أجمل من كل قصر شيد في الشرق والغرب، بل لا يزال بالإجماع أجمل بناء أقيم على ظهر الأرض كلها هو تاج

[2] - ذكريات، الجزء: 5 ص: 213.

[3] - المصدر نفسه، ص: 214.

محل"؛ "فإن حب شاهجيها لزوجته ممتاز محل قد خلده بقصيدة من الرخام، كلماتها من المرمر طوع له الحجر اليابس لان في يده، قصيدة ناطقة تنافس بجمالها خوالد القصائد في آداب الأمم".[4]

إن هذا الأديب الأريب في عباراته الجزلة المتينة الرشيقة والأنيقة غير أدباء عصره، وغير سياح زمانه؛ فالكل عندما يسطر رحلته على قرطاس الذكرى لا يأتي إلا بوصف من حركته والحوادث التي يعاني منها، والأكلات والمطابخ دون تحليتها بنصاعة البيان، وفصاحة اللسان، وسلاسة النطق والكلام، ولكن صاحبنا الطنطاوي يغوص عمق تاريخ كل مدينة مر بها، ويحاول تقشيرها والوصول إلى ما به من حلو ومر، ورطب ويابس، وسمو وشموخ، ثم ما يشاهده بأم عينيه من غابات وبساتين وخمائل[5]، وجمال وجلال وروعة وبهاء، ثم يقدم لنا المناظر التي كانت تتمتع بها هذه المدينه وقت رحلته إليها عام 1954م،فالمشاهد الرائعة ذي النضارة والاخضرار التي تمثلها رحلته غير ما نشاهدها اليوم؛ كأن أظفار الزمان خدشتها، وبدلتها من جنة فيحاء إلى قاع صفصاف وبواد غير ذي زرع، فإن الأشجار التي استئصلت أمام عيوننا تحضيرا لكومن ويلث كيم بلغ عددها مآت الآلاف، ثم لم تغرس أشجار مكانها من جديد؛ فتخيل كيف كانت المدينة قبل 70 عاما من الآن عند زيارة هذا الأديب المبدع والكاتب المنشئ الذي لايزال يغني بمجد هذه المدينة الرائعة، ويصور بعدسة فكره وخياله وإبداعه تلك المشاهد في هذه المدينه.

وإليكم بعض ما التقط الطنطاوي من مشاهد، يقول:

" سرنا في ريف دهلي نقصد المدينة فلما بلغنا أوائلها رأينا شوارع فساحا تظللها الأشجار الكبيرة والعجب أن هذه الأشجار على كبرها مزهرة مثل

[4] -المصدر نفسه.

[5] - حديقة كثيفة الأشجار.

أزهار الروض البهيج، وعلى جانبيها حدائق وبساتين، فيها دارات، وبين كل دارة ودارة أكثر من 40 مترا، فلم تكن بيوتا لها حدائق بل كانت حدائق فيها بيوت"[6].

كان الطنطاوي أديبا رحالة لقد ضرب مشارق الأرض ومغاربها، فشاهد الحضارات، والثقافات، والمعالم والآثار، فطالما نراه يشبه المناطق المختلفة لدهلي والمدن الهندية الأخرى بمناطق زارها في دول أوروبيه أو عربيه أو شرقية أخرى؛ يقول عن منطقة كنات بليس في نيودلهي"هي مدينة مدورة لا أعرف لها شبيها إلا بغداد عندما بناها المنصور"، كأنه في هذه العبارة يتجول في شوارع بغداد وهو في العصر العباسي.

"إلى جانب دهلي الجديدة، دهلي القديمة يحيط بها سور ضخم، له أبواب لا تزال باقية أبوابه، عليها أسماء من شادها من ملوك المسلمين، وبين المدينتين فضاء واسع أشبه بالمرج الأخضر في دمشق".

بقي الطنطاوي في دهلي 10 أيام، جال في أسواقها وطرقها وشوارعها، يقول عن الأسواق"أسواق ضيقة لا أول لها ولا آخر ربما"ربما هي أسواق تشاندي تشوك، وأسواق على أطراف الجامع الكبير، ثم يشبهها كأسواق دمشق حول الجامع الأموي، وأسواق بغداد، وأسواق مكه والمدينة المنورة، ثم يقول عن البياعين: "البياعون يقعدون متربعين في وسطها كما كان يفعل التجار في سوق الخياطين في الشام، وفيها حارات وأسواق ضيقة ملتوية رأيت مثلها في الرياض". ثم يتحدث ما شاهده من الملابس المختلفة من الكيس والزي البنجابي المؤلف من سروال طويل وقميص إلى الركبتين، ومنديل الخمار والساري المعروف بالزي البنغالي، والشراني والعمامة الفخمة يقصد عمامة السيخ وبنطال قصير، ثم يواصل واصفا جامع دهلي الكبير:

[6] - ذكريات، 5، ص: 215.

"هو أعظم مساجد الهند، بل هو أعظم مساجد الأرض لم أر أروع منه، وأما صحنه فهو أوسع من صحن الجامع الأموي"، وهناك مواصفات دقيقة وعميقة للمسجد اتركها"

ثم يصف القلعة الحمراء فيقول مما يقول:

"هي في الحقيقه بلد كامل، فيها قاعات لا تكاد تقل في روعة نقشها وبراعه تزيينها عن قاعات الحمراء في الأندلس".

وهنا نقتبس لكم فقره تمثل الأدب في التاريخ والتاريخ في الأدب في معنى الكلمة:

"لما وقعت عليها وأحاط بي صمتها وهدوؤها، أحسست كأني قد انفصلت عن حاضري وغبت عن نفسي وأنني قد عدت إلى الماضي القريب، وشعرت كأني أسمع في أرجاء القلعة دويّ الطبل، وهتاف المجد، وصدى الأذان تردده منارات المسجد، وأرى خفق الراية الإسلامية على رأس الإمبراطور الملك المسلم الصالح، وأبصر جحافله ترمح ظافرة من سمرقند والأفغان إلى سواحل الهند كلها تقطف ثمار النصر، وتنثر في الأرض نور القرآن وعدالة الإسلام"[7].

ثم يلقي على الوضع الراهن المؤلم نظرة تحسر وقلق:

"مساجد كما قلت لكم قد عطلت من شعائرها، ومآذن قد فقدت مؤذنيها، وقلاع غاب عنها جنودها وقصور فارق أصحابها وراية قد سكنت المتاحف لم تعد ترفرف في سمائها".

ويشبهها بالأندلس الكبرى والفردوس الإسلامي المفقود.

ويعطر زيارته التاريخية لدلهي فيقول:"إن اليوم هو ابن الأمس وأبو الغد فمن كان له تاريخ عظيم وعرف تاريخه دفعه أن ينشئه كما أنشا الأجداد وأن يبنيه مثل ما بنوا"فالطنطاوي في هذه العبارة يمثل متفائلا قويا ويطمح

[7] - المصدر نفسه، ص: 219.

طموحا ثابتا ومثابرا لإعادة ذلك التاريخ الإسلامي المفقود.

نبني كما كانت أوائلنا تبني، ونفعل مثل ما فعلوا

الطنطاوي في لكنو:

له قصة طريفة جدا في لكنو، وصل إليها مع صاحبه الشيخ أمجد الزهاوي شيخ علماء العراق عن طريق الطائرة ولكن المستقبلين والمستضيفين في لكنو انتظروه في محطة القطار ظنا بأنه قادم عن طريق القطار؛ فلم يجد المنتظرون في محطة القطار ضيفهم، ولم يجد الضيف القادم عن طريق الطائرة مستضيفيه في المطار؛ وهو غير عارف بالمدينة وطرقها وشوارعها ولغتها ومناطقها إلا كلمة عامة في مجال الرحلة وهي الكلمة الإنجليزية بأسلوبه العربي أوتيل، فأوصلته سيارة شركة الطيران إلى فندق مناسب ورائع وفق وصف الطنطاوي بمنطقة حضرت كنج؛ فقضى ذلك النهار والليلة بعده، ثم نهارا آخر وليلة أخرى ثم نهارا ثالثا وليلة ثالثة؛ وعلى حد تعبيره :"نحن محبوسون في الفندق لا المقصد الذي جئنا من أجله حققناه، ولا صديقنا الندوي وجدناه".

ثم في اليوم الرابع في الصباح الباكر خرج الطنطاوي بحثا عن صديقه الندوي مستأجرا سيارة بلغة الإشارة متأملا وجوه الناس؛ ليجد فيهم بعض روائح الندوية؛ يقول الطنطاوي "ما زلنا نمشي حتى لمحت وجه شاب وقع في قلبي أنه مسلم، وللمسلم نور في وجهه يدركه المسلم، فوقفت السيارة وأشرت إليه؛ فأقبل علي، فقلت له: السلام عليكم ورحمة الله، فأجاب بلسان عربي مبين: وعليكم السلام ورحمة الله، فقلت له ألا تعرف أبا الحسن الندوي؟ وكان لقاؤه في تلك الساعة أحب إلي من عطية كبيرة أعطاها، وكان هو طلبتي ومقصدي؛ قال: وقد انطلقت أساريره وبرقت عيناه، نعم، وأنا من تلاميذه، فهل أنت الشيخ أمجد أم الطنطاوي؟ قلت: نعم أنا الطنطاوي، فأقبل علي معانقا ومرحبا وتصافح قلبانا، وأذكر أن اسم الفتى كان عبد المحسن". بعد قراءة هذه العبارة اتصلت بالأستاذ

محسن العثماني الندوي مستفسرا عن عبد المحسن هذا: فقال: العرب لايستخدمون اسم محسن من دون عبد، ففي العرب كل محسن هو عبد المحسن؛ وأنا ذاك الفتى الذي لقيه الطنطاوي الضال الطريق في لكنو.

قضى الطنطاوي أحلى أوقاته وأسعد أيامه في لكناو مع صديقه الإمام الندوي، و علماء ندوة العلماء وجاب أسواقها وشوارعها ومعالمها التاريخيه، وعلقت لكناو بقلبه علقا تمنى قضاء بقية أيامه فيها بحرم دارالعلوم ندوة العلماء، يقول: سألني الأستاذ ماجد الشبل عن المكان الذي أتمنى أن أقضي فيه بقية أيام حياتي، قلت إن لم أستطع أن أعود إلى بلدي وبلدي دمشق، ولم أقدر أن أبقى بجوار بيت الله هنا في مكه؛ فإن أحب مكان إلي هو لكناو، وأن أقيم في معهد ندوة العلماء فأجمع فيها بين الظل والماء وصحبة العلماء".[8] ثم يقول عن لكناو: أما لكناو التي فيها ندوة العلماء، فلقد حلت صورتها في عيني لما رأيتها، فلما خبرتها ازدادت حلاوة على حلاوتها". نرى الطنطاوي في سردياته الرحلوية وزياراته الأجنبية أنه معجب بلكناو أشد إعجابا لكينونتة ندوه العلماء فيها، وها هو ذا الطنطاوي يرسم مشاعره عن ندوه العلماء: "ولم يرغبني في دار الندوة جمال منظرها وحده، ففي الأرض مناظر كثيرة بل إن المثل العليا التي يطمح البشر إليها والدنو منها من قديم الزمان إلى الآن هي الحق والخير والجمال: والثلاثة فيها؛ الجمال في موقعها، والخير في أهلها والحق في الغاية التي تعمل لها وتسعى إليها".[9]

وله مواصفات منوعة لندوة العلماء مقارنة مع الحركات الدعوية في العالم العربي، ناقدا إياها في تركيبيتها الحزبية وهندسيتها القيادية التي تسعى إلى تولي المناصب؛ فهناك علم دون تقوى، ودعوة دون إخلاص، ولكن جماعة أبي الحسن الندوي مختلفة تمام عن تلك الحركات، يقول: "أما

[8] - المصدر نفسه: 119.

[9] -المصدر نفسه: ص: 122.

جماعة أبي الحسن من الندويين فقد أخذوا بالحسنيين، يعين بالعلم الذي ينمي العقل ويرشد إلى الطريق، وبالتقوى التي تخلص الروح وتنجي في الآخرة".

وخلال ذلك يتحدث الطنطاوي عن عناية الشيخ أبي الحسن الندوي والندويين بالأدب؛ فالدعوة لديه لا تكون إلا باللسان والقلم، وقوام اللسان والقلم الأدب،كما وقد عالج في بعض المواضع إنشاء أبي الحسن الندوي مع الكاتب والأديب العربي الكبير عبد الرحمن رأفت الباشا رابطة الأدب الإسلامي: "وهنا لتواضع أبي الحسن الندوي وتخشنه ويسره وبعده عن الزهو والتعلي، وأنا لم أر في من عرفت من الناس من هو أبعد عن التكلف، وأقرب إلى البساطة من أبي الحسن، فهو في لباسه يلبس أيسر لباس وأرخصه، قميص طويل تحته سراويل واسعة".

وللطنطاوي ذكريات ولقاءات مختلفة مع الشيخ أبي الحسن الندوي في الجلسة الافتتاحية لتأسيس رابطة العالم الإسلامي، وفي اجتماع المجلس الأعلى في الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، وفي المناسبات المختلفة في مكة المكرمة، وفي المدينة المنورة، وفي دمشق وفي لكناو بندوة العلماء، وجده -على حد تعبيره نفسه- "في الأحوال كلها مستقيما على الحق، عاملا لله، متواضعا زاهدا حقيقيا يحضر المؤتمرات ولكنه يجتنب الفنادق الكبار".

مر الطنطاوي بكلكتة في رحلته إلى البلاد الشرقية من إندونيسيا وغيرها، فأعجب بها أيضا، وهي لديه خامسة مدن الأرض في السكان، ولكنها كئيبة قديمة، ومر بمومباي، فوجدها أجمل بلاد الدنيا، وأكبرها؛ له ساحل متعرج، يدخل فيه البر في البحر، والبحر في البر، فلا ترى إلا رأسا بارزا أو خليجا والجا أو برزخا معترضا".[10]

[10]-مقدمة المسلمون في الهند، ص: ٢٠

هكذا وصف الطنطاوي مدينة مومباي.

إعجابه بتاريخ الهند الزاهر:

الطنطاوي عالم عملاق؛ تصفح تواريخ الأمم والحضارات، وتواريخ البلدان والأقاليم، والحكومات والإمبراطوريات، ولكنه إعجابه بتاريخ الهند إعجاب استثنائي وقياسي، يقول: "إن أكثرنا يجهل تاريخنا في الهند؛ وتاريخ الإسلام في الهند يعدل ربع التاريخ العام، ذلك أننا من قبل حكمنا هذه القارة الهندية نحوا من 1000 سنة، وكانت يوما لنا وحدنا، وكنا نحن سادتها، ولئن كانت لنا في أسبانيا أندلس أضعناها فإن لنا أندلسا أكبر، ولئن تركنا في الأندلس تلألأ من بقايا شهدائنا، والسواقي من دماء أبطالنا، فلقد خلفنا في الهند أضعاف ما تركنا في الأندلس، ولئن كان لنا في الأندلس مسجد قرطبة، وقصر الحمراء؛ فإن لنا في كل شبر من هذه القارة دما ذكيا أرقناه، وحضارة خيرة وشيت جنباتها، وطرزت حواشيها بالقلم والعلم والعدل والمكرمات والبطولات، وإن لنا فيها معاهد،ومدارس كما أنارت عقولا، وفتحت بالحق قلوبا ولا تزال تفتح القلوب، وتنير العقول، وإن لنا فيها آثارا تفوق بجمالها وجلالها الحمراء.[11]

علي الطنطاوي كاتب مبدع أكثر من أن يكون كاتبا مؤرخا؛ يتناول تاريخ المدن والبلاد والحضارات بالذكر في كتاباته وذكرياته، يمكن بها التوصل أو الوصول إلى نقطة واضحة من التاريخ، ولكن الغلبة القوية والمدهشة البديهية للكتابة الإنشائية، والأسلوب الأدبي أحيانا بل دائما تجعل قارئ كتاباته حائرا متعجبا أنه قارئ تاريخ أو قارئ أدب أو قارئ إنشاء؛ فيختلط الحابل بالنابل.

ولغلبة الأسلوب الإنشائي، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، في

[11] - ذكريات ٨، ص: ١٠٥.

كتاباته نجد فيها الغلو، والاطراء إلى الجانب العلمي الرصين والنقد الأدبي المتين؛ يا للعجب! أين الأسلوب العلمي من الأسلوب الأدبي والتاريخي في كتابة واحدة! ولكن صاحبنا الطنطاوي يجعل كل ذلك سهلا.

الخاتمة:

الشيخ علي الطنطاوي أديب إسلامي مارس في حياته الأكاديمية والمهنية الصحافة والتدريس وإلقاء المحاضرات والخطابة والتأليف؛ ولكن التاريخ ولاسيما التاريخ الإسلامي، والأدب؛ ولاسيما الأدب الإسلامي، والفكر؛ ولاسيما الفكر الإسلامي؛ كل ذلك سمات كتاباته البارزة المشرقة مع السلاسة والفصاحة والبلاغة في كتاباته، يبدو أنه لا يسجل رحلته أثناء حله وترحاله بل يسجل ذكرياته بعد مرور وقت قصير أو طويل من الزمن فنجد هناك تكرارا كثيرا في ذكر الوقائع. وإن المقدمات التي قدم بها المختارات، وفي مسيرة الحياة، والمسلمون في الهند، والطريق إلى المدينة للشيخ أبي الحسن الندوي توجد فيها ما تمكن به تركيبية رحلته إلى الهند، ومواصفات المناطق، والشخصيات الهندية إضافة إلى ما كتبه عن دهلي في ذكرياته، فكله أو جله لايخلو عن تكرار بيان واحد في أسلوب واحد. والشيء المهم الذي يتجلى في رحلته للهند، وفي كتاباته الأخرى أن مدينة لكناو، ولاسيما حرم دار العلوم ندوة العلماء أحب مكان تمنى الطنطاوي قضاء بقية أيامه بعد الحرمين الشريفين بالمملكة العربية السعودية، وذلك مما يدل على حبه الشديد للشيخ أبي الحسن الندوي الذي دوما خاطبه بالصديق الحبيب أو بأخي أبي الحسن. على كل، الطنطاوي يصنع لنا في خضم رحلته إلى الهند نصا بديعا من نوع آخر؛ ليس هو أدبا محضا وتاريخا محضا؛ "فهو التاريخ في الأدب والأدب في التاريخ".

***

د. سعيد بن مخاشن*

صورة الهند وأهلها في رحلات محمد بن ناصر العبودي

إن أدب الرحلات نوع أدبي هام يربط حاضر قوم بماضيه،ومصدر هام للاطلاع على أحوال المناطق الغابرة وتواريخها السالفة وأجيالها الماضية، كما يوضح أدب الرحلات التنوع الثقافي واللغوي بين الشعوب، ويوثق عادات وتقاليد المجتمعات المتنوعة، ويفتتح أمام الناس طرق العيش المختلفة المتواجدة في مختلف بلاد العالم. بالإضافة إلى ذلك، يزيل أدب الرحلات الستار عن طبوغرافية المناطق النائية وأنظمتها السياسية والعلمية وأنماط الحياة فيها، كما يعد هذا النوع مصدرا هاما للباحثين والمؤرخين حيث تتضمن المعلومات الهامة عن الفترات التاريخية من خلال عيون الرحالة.

ترجمة حياة محمد بن ناصر العبودي

هو الشيخ محمد بن ناصر بن عبد الرحمن بن عبد الكريم العبودي ولد في 30 ربيع الآخر من سنة 1345 هـ (1926 م) بمدينة بريدة، وينتمي إلى أسرة آل سالم المشهورة في بُريدة. عاش الراحل زهاء 95 عاما، ألّف خلالها ما يزيد على 300 كتاب، وسافر إلى أكثر من 160 دولة، وحصل على عشرات الجوائز، كان من أهمها "شخصية العام" من وزارة الثقافة السعودية .

عاش محمد بن ناصر العبودي، الذي ولد عام 1926م في بريدة حاضرة القصيم وسط الجزيرة العربية، في بيت تطلع إلى العلم وأحب المعرفة، وفي ظروف اجتماعية وثقافية بالغة الصعوبة، وهو الأمر الذي رسم شخصية

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية بحيدرآباد.

الطفل الذي درس في الكتاتيب دراسة دينية على يد مشايخ عصره قبل تسعة عقود. ولعل من اللافت في شخصية الراحل العبودي أنه لم يتخرج من جامعات متخصصة وعريقة، لقد بدأ الراحل دراسته في نظام «الكتاتيب»، وهو النظام الذي كان سائداً للتعليم قبل إقرار التعليم النظامي في بلاده السعودية قبل عشرات العقود،لكن عصاميته وذكاءه وحماسه للتعلم، وجلده وصبره وتعدد المواهب في داخله، وكثرة المحطات التي توقف بها، أو عمل في دهاليزها، مكنته من أن يخلق من نفسه شخصية متفردة، ليس من المبالغة أن نقول إنها مقتصرة على العصر الحديث، بل على مر التاريخ، مما أهله لأن يوصف بـ«الجاحظ»، الذي غاص بين الكتب قراءةً وتأليفاً، ومات بسببها عندما سقطت عليه، أو وصفه بـ«ابن بطوطة»، الرحالة الشهير، كما أضيف لهذا الوصف «عميد الرحالة العرب»، كما عرف بالداعية والفقيه بعد أن دخل عالم التأليف فيهما.

شغل الشيخ العبودي وظائف رئيسية منها مدير المعهد العلمي في بُريدة من عام 1373 هـ إلى عام 1380 هـ، ثم نقل إلى وظيفة الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عندما افتتحت، وكان من الموظفين المؤسسين للجامعة وذلك لمدة ثلاث عشرة سنة. عين بعدها وكيلًا للجامعة الإسلامية لمدة سنة واحدة. ثم نقل إلى وظيفة الأمين العام للدعوة الإسلامية برتبة وكيل وزارة (المرتبة الخامسة عشرة) وبقي فيها ثماني سنوات. وأخيرا الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي.

رحلات محمد بن ناصر العبودي

إن رحلات محمد بن ناصر العبودي إلى الهند تعتبر واحدة من الرحلات المميزة التي توثق تجارب العلماء والرحالة الذين زاروا الهند، وتظهر جوانب متعددة من تفاعل الثقافات بين العالم العربي والإسلامي والهند. وإن هذه

الرحلات تنضم بعض الميزات الرئيسية التي تميزه عن بقية أخواتها حيث تناولت موضوعات هامة متعددة النواحي بأسلوب أنيق ممتع وطرز طريف ميسور الأخذ وسهل الفهم مثلا: التنوع الثقافي والديني، الاهتمام العلمي والديني، التوثيق الحضاري والمعماري، الأطعمة والعادات المحلية، الوصف الجغرافي والطبيعي، التفاعل مع العلماء والمفكرين، وما إلى ذلك.

بدأ الشيخ محمد العبودي رحلاته المكوكية حول الكرة الأرضية مبكرا، وفي وقت انعدمت فيه كل وسائل الاتصال إلا ما ندر، فلا وجود لهواتف نقالة ولا كاميرات ولا إنترنت ولا أية وسائل الاتصال التي تتوفر حاليا لكثير من الرحالة وتساعدهم في تأدية مهامهم. لكن ذلك لم يمنع الشيخ العبودي من أن يبدأ في رسم خارطة رحلاته الكبرى، والتي بدأها بإفريقيا التي كانت الوجهة الأولى له عام 1965م، حيث استغرقت الرحلة ثلاثة أشهر و17 يوما، وأثمرت ميلاد كتابه الأول عن القارة السمراء باسم "إفريقيا الخضراء". ليستمر في رحلاته بعد ذلك ويطوف كل بلاد العالم عدا دولتين فقط بينهما كوريا الشمالية. كان الشيخ العبودي يحرص على تدوين رحلاته بشكل مستمر، يسجل ملاحظاته على أي بلد يذهب إليه، وهو الذي امتاز بأسلوب فريد في سرد القصص والحكايات عن البلاد التي يزورها مما جذب القراء لكتبه، خاصة أنه عمل على توثيق تلك الرحلات في كتب طبعت تباعا في شكل يوميات دون فيها ما يرى أو يشاهد، وطعمها بمعلومات إضافية محاولا أن يربط ماضي تلك الدول بتاريخها الإسلامي عن طريق إبراز مسميات أماكنها التي عرفت بها في التراث الإسلامي.

رحلاته إلى الهند وكتاباته فيها

قد قام الرحالة العبودي بعدة زيارات إلى بلاد الهند. وطاف معظم أنحاء الهند، شرقها وغربها، شمالها وجنوبها عدة مرات، وهو يقول في مقدمة كتابه عن رحلته إلى الهند، في أول الأمر قد أزمع أن يجعل جميع ما يكتبه في

الرحلات عن الهند كتابا واحدا، ولكنه وجد فيما بعد أنها كثرت بحيث لا يحتملها كتاب واحد، بل إن بعضها أصبح كتابين بعد أن كان كتابا واحدا. فصدر منه أكثر من سبعة عشر كتابا عن الهند ما بين المطبوع والمخطوط. فبعضها كما يلي: نظرات في شمال الهند، وفي الشمال الشرقي من الهند، وجنوب الهند،وغرب الهند، وراجستان بلاد الملوك، والاعتبار في السفر إلى مليبار، وفي الشمال الغربي من الهند، وشرق الهند، وسياحة إلى كشمير، ومقال في بلاد البنغال، وعلى أعتاب الهملايا. وقد تميزت رحلاته وكتاباته بـ:

- الدقة والموضوعية :حرص العبودي على دقة المعلومات التي ذكرها في كتابه، كما حرص على الموضوعية في وصفه للأحداث.
- الموسوعية :شملت رحلاته وكتاباته العديد من الموضوعات المتعلقة بالهند، مثل: معالمها الطبيعية والتاريخية، ودياناتها، وثقافتها، وحياتها الاجتماعية.
- الأسلوب السهل الممتع :تميز أسلوب العبودي في الكتابة بالسهولة والوضوح، كما استخدم لغة بسيطة ومفهومة.
- وقد أثرت رحلاته وكتاباته على العديد من الرحالة والأدباء العرب.
- وتعتبر رحلاته وكتاباته نموذجًا للكتابة عن الرحلات في القرن التاسع عشر.

إن معظم رحلات الشيخ العبودي كانت زيارات عمل تتعلق بحضور مؤتمرات إسلامية، أو مهرجانات دينية، أو زيارات لجامعات ومدارس، أو حضور ندوات ومجالس تنضوي كلها تحت لواء الدعوة. ولكنه كان ينتهز هذه الفرص ليزور بلدا منها قريبا من موقع العمل أو في الطريق إلى الهدف أو في طريق العودة إلى الوطن.خلال هذه الزيارات كان من عادته الكتابة كل ما يشاهده أو يلاحظه وما يسمعه. يقول الشيخ العبودي عن رحلاته إلى ولايات الهند ومناطقها: "وكان لي نصيب وأي نصيب من إيصال الخير من

بلاد الحرمين إلى أولئك الإخوة الأدنين، حتى زرت ولايات الهند من أقصى الشمال في كشمير إلى أقصى الجنوب في كيرلا، وتامل نادو، وفي شرقيتها من ولاية أوريسا وغرب البنغال، إلى غربها في ولايات مهاراسترا وكجرات وراجستان. وفي كل هذه الولايات وغيرها كنت أينما حللت أقيد ما رأيته أو سمعته مما يتعلق بما رأيته، وأكثر القول فيما يتعلق بالإخوة المسلمين ومؤسساتهم كما قيدت ما لاحظته من أمور عامة في البلاد تتعلق بالأقوام الأخرى في الهند".[1]

إن الرحالة الشيخ العبودي يعبر انفعالاته عن الهند وولاياتها وبلادها وخصائصها وكل ما شاهده من غرائبها وعادات أهلها وتقاليدهم قائلا: "فإن بلاد الهند بلاد واسعة، ذات ولايات شاسعة وأقوام متعددة الأصول والنحل، بل هي كثيرة الملل، بعد أن كانت دار إسلام على مدى متطاول من القرون. دخل بعض أهلها في الإسلام حبا فيه، لا من باب غزو والفتح كأهل الجنوب، ودخل أناس في الإسلام كان فتحها فتح حروب، ولكنه كان فتحا للهند نعمت فيه بالعدل والمساواة، بل لم تعرف المساواة إلا بعد أن خفقت فيها رأية الإسلام بـ"لا إله إلا الله محمد رسول الله". ([2])

إن المناطق الهندية بين سمع الهند وبصرها تتمتع باختلافات عديدة من الصعود والانحدار، واليبس والاخضرار، فكذلك أهلها وسكانها، فيتحدث الرحالة العبودي عن ما شاهده في جنوب الهند وشمالها عن فروق المعتقدات والآلهة والأصل العنصري ودخول الإسلام وما إلى ذلك: "وقد يسر الله لي أن زرت كل الولايات الهندية على وجه التقريب. وهذه الأوراق التي ستراها في هذا الكتاب عن جزء جنوبي من أرض الهند، يتميز عن

[1] محمد بن ناصر العبودي: نظرات في شمال الهند، مكان النشر: غير مذكور، سنة النشر: غير مذكور، المجلد الأول، ص 17

[2] محمد بن ناصر العبودي: في جنوب الهند، الطبعة الأولى، الرياض، 1997م، ص 5

شمال الهند بميزات، ويبتعد عنه بصفات، لعل أعظمها أثرا، أثر اختلافهما في اللغات فضلا عن تباين المعتقدات حتى داخل ما أسماه الإنكليز والأوروبيون بالنحلة الهندوكية، التي هي في حقيقتها مذاهب شتى لا يمكن وصفها إلا بما وصفها به أسلافنا من العلماء المسلمين من أهل الهند ومن غيرهم من الطارئين وهي أنهم "كفار الهند"، لأن مذاهبهم متباينة، بل إن آلهتهم الهندوكية –إن صح التعبير- متشاكسة متخاصمة فهذا –على سبيل المثال-"راون" المعبود في الجنوب معتبر،في الوسط والشمال شيطانا من الشياطين، وذلك "رام" كبير آلهة الشماليين والمتوسطين، وهو رجل اتخذ صفة الإله عند أولئك القوم الضالين، ولكنه عند أهل الجنوب غير محبوب.

وحتى الأصل العنصري القديم، فإنهم قد اتفقوا في التسليم على أنه مختلف في الشمال عن الجنوب، فالشماليون سادتهم ينتسبون إلى الجنس "الآري" القادم إليهم عبر جبال الهملايا، والجنوبيون من "الدراور" الذين هم أهل البلاد الأصلاء، ولكنهم ليسوا فيها عند الشماليين بالفضلاء، وهكذا حتى تصل الفروق بمن يروق له أن يعدها العشرات بل المئات كل أولئك بين أولئك الأقوام الذين هم من كفار الهنود وهم ما بين سيد ومسود.

أما الفروق ما بين أهل الجنوب والشمال، فيما يتعلق بواقع الحال، في العقيدة الإسلامية، فإنه لا فرق إلا في دخول الإسلام إلى تلك البقاع. ففي شمال الهند دخل به الفاتحون وفي جنوبها أدخله التجار السائحون. ومذهب أهل الشمال هو مذهب الحنفية، وأما أهل الجنوب فإنهم من الشافعية". ([3])

إن تربة الهند ولو كانت عجمية، لكنها ترسم الآثار العربية على جبينها منذ عهد سحيق، فيقول الرحالة العبودي عن تأثير اللغة العربية على أسماء

[3] في جنوب الهند: ص 6.

البلاد والأماكن: "وبهذه المناسبة فإن معظم الأسماء هنا وبخاصة للأماكن الجيدة والأثرية هي أسماء إسلامية إما عربية أو أردية قد اختلطت فيها الكلمات العربية بالفارسية. وذلك أن اللغة الأوردية كانت اللغة الجامعة في أكثر أنحاء الهند ما عدا جنوبها، ولم تكن لغة عامة شاملة غيرها إلا الإنكليزية التي كانت لغة الدوائر الرسمية والتعليم العصري في كل أنحاء البلاد". (4)

إن الهند لم تزل مركز العلم والعرفان منذ أمد مديد يفد إلها الباحثون من كل فج عميق لكي ينهلوا من منهلها العذب، فيقول عن دائرة المعارف العثمانية وإسهاماتها: "دائرة المعارف العثمانية اسم مجلجل في عالم الكتب الجيدة فقد بادرت منذ دهر إلى طبع نفائس من المخطوطات العربية في فنون عدة منها: التفسير، والحديث، والطب، والعلوم القديمة...". ثم تابع قائلا: "وكنت أتمنى أن تتاح لي زيارتها حتى زرت حيدرآباد الزيارة الأولى منذ عشرين سنة، ومررنا بهذه الدار العظيمة في عملها وإنتاجها، وإن لم تكن بقدر ذلك في أبنيتها وأدواتها الإدراية، والعبرة إنما هي بالجوهر، والجوهر هنا حصلت منه على ما يفوق وسائلها المادية". (5)

ويقول عن تشار منار الشهيرة الكائنة بحيدرآباد الدكن: "ومعنى تشار منار، المنارات الأربع، فتشار هي أربعة أو أربع بالأردية التي أخذت الكلمة من الفارسية، و"منار" هو المنارة بالعربية. وتشار منار مبنى هائل ذو أربع منارات، وبني ليكون منارة لمسجد مكة المجاور له فيما قيل، وقيل معلما من معالم المدينة, ومظهرا على قوة الدولة فيها، وهي عادة ربما كانت بقيت من عهد الحاكم المغولي في الهند الذي دأب على تشييد مثل هذه الأبنية الفاخرة التي لا تزال باقية في الهند، يرتادها السياح، وتثير تعجبهم، ومن ذلك "تاج

4. نفس المصدر:114.

5. المصدر السابق، ص 121.

محل" في مدينة "آقرا" قرب دلهي، و"المسجد الجامع" في دهلي، و"فتح بور سكري" مما ذكرته في كتاب "شمال الهند" من الرحلات الهندية هذه". ويقع "تشار منار" في وسط ميدان صغير تتفرع منه أربعة شوارع على كل شارع منها: قوس من الأقواس الأربعة التي تشبه أقواس النصر بحيث أن الذي يكون في الشارع يرى مبنى "تشار منار" من خلال هذه الأقواس من أي اتجاه جاء". ([6])

الهند والهنود وخدماتهم: كما يتضح من كتابات الرحالة محمد بن ناصر العبودي، في أول الأمر كانت رؤيته عن الهند مقتصرة وضيقة، وكان يعتقد أن ما يكتبه عن الهند سيشتمل في كتاب واحد. ولكن فيما بعد اضطر إلى الاعتراف أن للهند تراثا عظيما وثقافة واسعةيتطلب إلى كتب عديدة. وهو يقول بنفسه: "وكنت أزمعت أول الأمر أن أجعل جميع ما أكتبه في الرحلات عن الهند كتابا واحدا،ولكنني وجدت أنها كثرت بحيث لا يتحملها كتاب واحد، بل إن بعضها أصبح كتابين بعد أن كان كتابا واحدا". ([7])

ويتابع قائلا عن إسهامات المسلمين في تشييد المؤسسات والمراكز العلمية والدينية واهتمامهم البالغ في أمور دينهم أكثر من أي دولة أخرى، كما يشيدهم على إنهاض أبناء قومهم وخدماتهم الجبارة : "إن بعض بني قومنا يعرفون بعض ما فيه من أمور، وإن كنت أعتقد أن أكثرهم لا يعرفون أكثر ما في الهند، وبخاصة ما يتعلق بنشاط الإخوة المسلمين في إقامة المؤسسات الإسلامية،وفي بناء المساجد ،وافتتاح المدارس والمعاهد الإسلامية، بل الحرص على أمور دينهم أكثر مما يحرص عليه إخوان لهم في الدين في بلاد أخرى". ([8])

---

[6] نفس المصدر: ص 130-129.

[7] نظرات في شمال الهند: ص 15.

[8] المصدر السابق: ص 16.

وكان يعترف من تجرباته خلال أسفاره إلى الهند يجب عليهم مساعدة الإخوة المسلمين في الهند مثلما يسعون إلى مساعدة غيرهم من المسلمين على أمور دينهم، وهو يقول: "من واجبنا نحن المسلمين في العالم أن نأخذ بأيدي إخواننا المسلمين في الهند فنساعدهم من الناحية الثقافية والدينية".

في خاتمة المطاف، يمكننا القول إن رحلات العبودي إلى الهند وكتاباته عنها تُعدّ من أهم المصادر العربية التي تُعنى بوصف الهند في القرن التاسع عشر.

المصادروالمراجع

1. محمد بن ناصر العبودي: في جنوب الهند، الطبعة الأولى، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، 1997م.
2. **"نظرات في شمال الهند"**، تأليف: محمد بن ناصر العبودي، مطبعة النرجس،الرياض، 2003هـ.
3. محمد بن ناصر العبودي: نظرات في شمال الهند، مطبعة النرجس،الرياض، المجلد الأول، 2003هـ.
4. **"في شرق الهند"**، تأليف: محمد بن ناصر العبودي،مطابع التقنية للأوفست،الرياض، 1998م
5. **"العبودي والديانات الهندية"**، تأليف: الدكتور عبد الله الغذامي.

***

الدكتور المفتي محمّد شرف عالم*

علي الطنطاوي ورحلته إلى الهند

ملخّص البحث

كانت الاتصلات بين الهند والبلاد العربية متواجدة منذ زمن سحيق، وكانت ماقبل الإسلام في غضون التجار العرب[1]، كما اشتهرت سواحل الهند بمواقعها الجغرافية بين التجار العرب، ودعّمت الاتصالات حين وفد الصحابة إلى الهند كدعاة وغزاة، وبدأ يتّسع نطاقها على مرور الأيام. وحضر جماعات من الرحالة من أكناف العالم إلى الهند، وزار الهند عدد ضخم من الأدباء والرحالين، ورسموا مشاعرهم عن الثقافة الهندية في صورة جذّابة، ومن الرحالين علي الطنطاوي، وهو زار الهند مرتين، وحضر أول مرة إلى الهند عام 1954م أثناء رحلته إلى إندونيسيا، ومرة ثانية عام 1957م، وتحدّث عن مدينة دلهي عاصمة الهند وغيرها من المدائن الأخرى، وذكر عن دلهي وأسواقها ولباس رجالها ونسائها وآثارها ودكاكينها، وعرّفها جمالها، ووضّح ما هلفته هذه الديار من أثر في أحاسيسه، وأظهر مشاعره عن دلهي بالخصوص وقال " دلهي الفردوس الإسلامي المفقود"، وترك آثارها التاريخية الخالدة الأباطرة المسلمون في الهند.

المقدّمة

أدب الرحلة فنّ من الفنون الأدبية، ويجعل له الكاتب ما جرى له

* الأستاذ المساعد في قسم اللّغة العربيّة، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، حيدرآباد، الهند

[1] .الندوي،سيد سليمان:عرب هند کی تعلقات (العلاقات العربية –الهندية)-أعظم جراه،دارالمصنفين، مطبعة المعارف 2010م، ص 1-6.

من واقعات وما وجده من أمور في غضون رحلةٍ قام بها لأحد الأقاليم، والدول، وينفرد هذا النوع من الأدب بروح المغامرة والمجازفة والاستطلاع حيث يحاول الرحّال إلى وضاحة انطباعاته وتجاربه وسط رحلاته من وصف المناظر مع القاطنين المحليين، ويوجد في طياته تأمّلات فلسفيّة عن الحياة والحضارات المتنوّعة. وهو يعتبر أسلوبًا من أساليب الأدب، وفنًّا من فنون الكلاميّ الأدبيّ، الذي تتألّف فيه أنماط القصّة، والمسرحيّة، والمقالة الأدبيّة، دون أن يتلطّف بمعاييرها، ويترفّق بمقاديرها التي صمّمها أصحاب الأدب والنقد. وإنّ أظهر ما يتميّز أدب الرحلة، هو طريقة الكتابة القصصيّة المعتمدة على عرضٍ حقيقيٍ لمنعكسات الحياة المتباينة، ومفاهيم أهلها على العصور المتلاحقة، حيث يرسم صورة الرحلة بأحوال الأقاليم اجتماعيّة، وسياسيّة، وحضاريّة، ودينيّة، وعقليّة في ثوبٍ أدبيٍّ. وتواجد هذا الفن في الأدب العربي منذ القرن العاشر للميلاد، ولايزال مستمرًا في العصر الحديث مع تطوّرات وتصرّفات في مواضيعه ومحاوره.

ويفد السيّاح والرحّالة من أنحاء العالم إلى الهند كلّ عام من عشرات الآلاف من الزوّار، ويقصِدون أن يتمتّعوا بمظاهرها الجذّابة، وآثارها التاريخيّة، وفنونها المختلفة، وحضارتها المتنوّعة، فينظرون إلى دولة كبيرة أطرافها مترامية، ومناظرها متباينة، وأجزاؤها مختلفة، وديانتها متعدّدة، ولغاتها مغايرة، ونظرًا لذلك يحصلون على "الوحدة في التنوّع"، وفي هذا الإطار تطرح الهند لكلّ من زارها ميدانًا فسيحًا للمعاينة والدراسة والتدبّر والتمتّع. وزار الهند في العصر الراهن عدد كبير من الأدباء والرحّالين العرب، منهم المصريّون والعراقيّون والسوريّون واللبنانيّون والسعوديّون، فرسم الرحّالة يوميّات رحلاتهم في بلدان الهند حيث يرسمون أحاسيسهم، وانطباعاتهم، وأفكارهم عن الحضارة الهنديّة في صورة دقيقة.

علي الطنطاوي

وكان الشيخ علي الطنطاوي فقيهًا، وأديبًا، ورحّالة وسوريًّا، ويعتبر من جهابِذة الدعوة الإسلاميّة، والمتضلّعين من المعارف الإسلاميّة، وأعلام الأدب العربيّ البارزين في العصر الحديث، وكانت ولادته في دمشق بسوريا عام 1909م، وترعرع في بيت علمٍ وأدبٍ، وكان أبوه الشيخ مصطفى الطنطاوي من العلماء الأجلاء في الشام، وأكمل الطنطاوي دراسته الإبتدائيّة والثانويّة في دمشق، ثم ارتحل إلى مصر للالتحاق بدارالعلوم العليا، وكان أوّل طالبٍ شاميّ يُزمّع ويعزم ويُظهر ثباتًا على مصر للدّراسات العليا، ولكن ــ مع الأسف الشديد ــ لم يُكمل السنة الأولى، وارتدّ إلى دمشق، والتحق بكلية الحقوق، حيث تخرّج منها عام 1933م، ويحصل على شهادة البكالوريوس في القانون، ثم بدأ عمله في التدريس بالعراق، فانقلب إلى دمشق حيث صار قاضيًا شرعيًّا، وفي غضون ذلك تحوّل إلى العراق، وبعد أعوام قليلة عاد إلى بلده، وعهد إليه بعمل قاضٍ شرعيٍّ، حتى ارتقى إلى درجاته العليا، وانتقل الشيخ علي الطنطاوي إلى السعوديّة في آخر حياته، وانهمك بكثير من الكليّات في مكّة المكرّمة والرياض، ثم تفرّغ للدعوة الإسلاميّة، ويستفيد من وسائل الإعلام المرئيّة والمسموعة والمطبوعة، حتى وافاه الأجل عام 1999م في جدّة، ودُفن في مقبرة مكة المكرمة. وترك الشيخ علي الطنطاوي عددًا كبيرًا من مؤلفاته، وبعض منها: أبوبكر الصديق، وأخبار عمر، وأعلام التاريخ، وبغداد، ومشاهدات وذكريات، و تعريف عام بدين الإسلام، والجامع الأموي في دمشق، وحكايات من التاريخ، ودمشق من جمالها وعبر من نضالها، وذكريات علي الطنطاوي (8 أجزاء)، ورجال من التاريخ، وصور وخواطر، وفي سبيل الإصلاح، وقصص من التاريخ، وقصص من الحياة، ومن نفحات الحرم. وبدأ الطنطاوي رحلاته بعد حصوله على شهادة الثانويّة حيث زادت رحلاته إلى بلاد قريبة أو بعيدة لكسب العلم

والعمل والدعوة والعمل لقضايا الأمة والشركة في المؤتمرات إلى أن زار كثيرًا من الدول العربيّة كمصر والعراق والحجاز وهكذا الدول غير العربيّة مثل إيران وباكستان والهند وسنغافورة وماليزيا وإندونيسيا وألمانيا وأماكن أخرى، وكتب عن رحلاته كلّها بأسلوب أدبي جذّاب. ويكتب عن رحلاته في ذكرياته، فيبيّن عن رحلته إلى مصر، وهو يعبُر فلسطين في الجزء الثاني من ذكريّاته، ويتحدّث عن زيارته إلى بغداد عام 1936م في الجزء الثالث، وعن قدومه إلى القدس عام 1954م في الجزء الرابع، وعن وصوله إلى كراتشي ودلهي في الجزء الخامس، وسنغافورة وماليزيا في الجزء السادس، وأخرى إلى أمانيا 1970 في الجزء السابع، كما كتب عن زيارته إلى السعودية في الجزء الثامن.

رحلة علي الطنطاوي إلى الهند

وقدم علي الطنطاوي إلى الهند مرّتين، وجاء أوّل مرّة إليها في سنة 1954م خلال رحلته إلى إندونيسيا تحت إشراف وفدٍ أرسله المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس، للنظر في كارثة فلسطين، وارتحل هذا الوفد إلى أطراف العالم الإسلامي، ويمرّ بالعراق وباكستان والهند وبورما وغيرها، وقد ينشغف برحلته وتستوعبها ثمانية أشهر، وكتب الطنطاوي مقالاته في مجلة " المسلمون" بعد ما انصرف من رحلته، ثم جمع ما نشر في كتابٍ اسمه " في إندونيسيا.. صور من الشرق"، وتكلّم عنها أيضًا في الجزء الخامس من ذكرياته.

ويوضّح علي الطنطاوي عن رحلته ويتحدّث بهذه الكلمات" يا أصدقائي المستمعين، ها أنذا أعود إليكم بعد ما غبت عنكم ثمانية أشهر، وبلغت فيها أبعد المشرق، ووصلت فيها إلى ما لم يصل إليه ابن بطوطة، رأيت فيها السند والهند ، ويذكر أيضًا كم لقيت من ناس، وكم شاهدت من عجائب وغرائب ولطائف وطرائف، ومانسيت دمشق على هذا كلّه يومًا، ولا

خمد الشوق إليها ساعة، إلخ..[2]، ويكتب أيضًا ولو أنّي انصرفت من أوربا وأمريكا وفتشتموني لما وجدتم معي عجبًا، لأنكم تعرفون ألوان الحياة في أوربا، وأمريكا، تعرفونها من السينما، ومن الكتب، ومن المجلات، ومن ألسنة الراحلين إليها، أم بلاد المشرق فما كنت أعرفها أنا، ولاتعرفون اليوم أنتم من أمرها إلا القليل، سأعيد عليكم مراحل رحلتي مرحلة مرحلة، أريكم ما رأيته، وأسمعكم ما سمعته، وأنقل إليكم ما شعرت به، وأحسسته حتى نكونوا كأنكم معي فيها[3].

وأمّا رحلته الثانية إلى الهند فهي في عام 1957م، وغبر علي الطنطاوي فيها عشرة أيام في مدينة دلهي عاصمة الهند.

زار علي الطنطاوي الهند عام 1954م، فقصد إلى مدينة دلهي وأسواقها، ومدينة علي جراه، وجامعتها، ومدينة كولكاته، ومدينة لكناؤ، ومدينة مومباى، كما يخبر نص الرحلة كان يقصد أن يتحدث كثيرًا عن أيامه في الهند، ويقول بعد رجوعه من الرحلة: "أحدّثكم عن آثار المماليك، وقد عثر عليها في أطراف دلهي، ومن آثار أسرة المماليك مسجد قوة الإسلام، وهي أطلال من الروعة والضخامة، ما ليس للقصور العوامر، ومنها منارة قطب، وهي تطّلع على الدنيا من علو سبعين مترًا، كأنها من ضخامتها جبل، وهي جبل من الأمجاد والمكرمات، ثمّ أوضح مآثر المغول في قلب دلهي، ودلهي وما حولها هي منازل أبناء الإسلام، وبنى شاهجهان المسجد الجامع، وقصر نائب الملك وقبته الشامخة وبينهما شارع واحد مستقيم، وبعد ذلك أظهر امتعاضه عن الإنجليز أنّهم أخذوا الهند من سيطرتنا، وكنّا نحن حكامها، ثم دعا عليهم وذكر عن هذه الكلمات أنّ الله رماهم بحجرهم، وعاملهم بعملهم، فانتزعها منهم،لقد خلا قصر نائب الملك، ونزل الرأية، وهوى

[2] الطنطاوي علي: صور من الشرق: دارالمنارة، جدة، 1992م، الطبعة الأولى ، ص، 12

[3] .المصدر السابق ص 12

التاج، ولم يبق من ذلك الاستعمار الذي بنوا له بناء من يحسب أن له الخلود، إلا قبة القصر تناجي قبته المسجد تتحدثان من بعيد، تتشاكيان غير الأيام وعبر الدهر. ويبيّن علي الطنطاوي أيضًا عن القلعة الحمراء، التي لاتزال آية في القوة وفي الرشاقة، وبناها شاهجهان، ثمّ أظهر غرابته بهذا السؤال، "أفليس عجبًا أن يكون تيمور لنك أكبر مخرّب في التاريخ، وأن يكون من ذريته شاهجهان، وهو أكبر بناء في التاريخ، وهوبنى التاج محل، وهو أجمل أبنية الدنيا على الإطلاق؟

ثمّ ذكر عن مدينة كولكاتة وقال عن سكّانها، ويجد فيها خمسة ملايين ونصف من البشر، بمقدار أهل سورية ولبنان والأردن معًا، والناس فيها يجرون عربات الركوب والبقر تمشي، تتبختر في الشوارع لأنها مقدسة معبودة، لا يعرض لها أحد, و ذكر أيضًا عن مدينة لكناء التي فيها ندوة العلماء، وعن ديوبند التي فيها أزهر الهند، ومدينة علي كراه التي فيها أكبر جامعة في الشرق، وعن المدينة الجميلة عروس المدائن مومباي التي عاين فيها شباط الشام في الصيف، وقد ضل طريقه في البحار، ثم يذكر عن بعض الحيوانات نحو القردة التي تملأ الأسطحة في مدينة لكناؤ، ويشبّهها القطط في ملك الشام، ويحكي لها القفزان والوثوب من الأ شحار إلى شرفات الفنادق وغرف البيوت والطواويس التي تختال حرة في الحقول، ويبيّن عن بعض الطيور نحو الببغاوات التي تطير كالعصافير، ويذكر عن بعض الأشجار نحو أشجار الببّايا التي تحمل البطيخ، ثم يظهر التعجّب، ويسئل عنها بهذه الكلمة، فهل سمعتم بأشجار كالنخل تحمل بطيخًا؟.[4]

وكان علي الطنطاوي يحاول كتابة كتاب مستقل عن أيامه في الهند وباكستان، ولكن _ مع الأسف الشديد_لم يصدر الكتاب من الكبر

[4] . المصدر السابق: ص_16،17

والمرض،[5] ففقدنا رحلة متفوقة ومتمتعة بالامتياز عن الهند من قبل الأديب النابغ، ولكنه بيّن موجزًا في مقالاته المتنوعة في ذكرياته ورحلته " صور من الشرق في إندونيسيا".

وجاء علي الطنطاوي إلى الهند عام 1957م، وكانت رحلته ثانية، وقضى في مدينة دلهي عشرة أيام، وتجوّل في أسواقها وطرقها، وشعر بالعجب ممّا عثر عليها، وتحدّث عنها في ذكرياته تحت موضوع " دلهي.. الفردوس الإسلامي المفقود"[6]، وجعل علي الطنطاوي لها صورة مدينة دلهي، وآثارها التاريخية، وتركها الأباطرة والعواهل المسلمون في الهند، ويشاهد علي الطنطاوي مدينة دلهي، تزخر الزمان من جانبيه والأرض من طرفيها، فيتواجد فيها القديم والحديث، والشرق والغرب بأسرها، ويحصل لك سحر الشرق وروحانيته في دلهي القديمة، وروعة الغرب وحضارته في دلهي الجديدة[7].

ويقوم علي الطنطاوي بوصف مدينة دلهي الجديدة ودلهي القديمة في ذكرياته، ويتحدث عن دلهي الجديدة، ويشبّهها بمدينة دارالسلام بغداد عندما بناها المنصورالخليفة الثاني، ويذكر عن ميدان يقع في وسط دلهي كالدائرة الكاملة، ويجد حوله مباني كبيرة، وتقام خلالها شوارع مستقيمة، وتنبعث الأشعة مثل النجوم، وتتلاحق الدوائر تفصلها هذه الشوارع المستقيمة[8]

ويقوم بوصف دلهي القديمة، ويوضّح عنها أنّها موجودة بجوار دلهي الجديدة، وحولها سور عظيم، وله أبواب متعدّدة، وتبقى حتى الآن،

---

[5] .المصدر السابق، ص،29

[6] .الطنطاوي علي: ذكريات : دارالمنارة،جدة،1982م، الطبعة الأولى، ص 213

[7] .المصدر السابق،ص،213

[8] المصردالسابق،ص، 216

ويخاطب القارئ، وهو يقول: "إنكم تجدون أسماء من سلاطين المسلمين من بناها، وتشاهدون فضاء وسيعًا بين المدينتين، و هو أشبه بالمرج الأخضر في دمشق، ويشتغل الشبان باللعب، فإذا عبرتم هذا الفضاء الذي تشقه الشوارع، وتجدون السور في وسط الشوارع والمباني، كما تجدون في مدينة دمشق[9].

ويقوم علي الطنطاوي بوصف أسواق دلهي ويتحدث عنها أن لها أسواقًا ضيقة لا أول لها ولا آخر، ويشبّهها بأسواق دمشق التي تقع حول الجامع الأموي، وبأسواق بغداد، وبأسواق مكة المكرّمة وبأسوق المدينة المنوّرة، وتبنى الدكاكين على جوانب الأسواق، ويوجد كلّ شئء فيها، ويقعد البائعون متربعين في وسطها، كما كان يفعل تجار سوق الخياطين في ملك الشام، وفيها حارات وأسواق ضيقة، وينقضي ثلاثة رجال منها بدقة شديدة، ثم يخاطب المشاهدين وقال لهم إنكم تشاهدونها في الرياض[10].

ويمثّل علي الطنطاوي في رحلته لباس المرأة في مدينة دلهي، ويتحدّث أنّ دلهي وهي مثل جميع مدائن الهند، معرض عجيب لكل ما يتمثّل الإنسان من ملابس، فخاطب القارئ للنظر إلى امرأة قرويّة مسلمة قد ارتدت كيسًا حقيقيًّا معلّقًا برأسها، يخفى كلّ شيء من جسدها حتى يديها، وتستر قدميها، وأمام عيونها كوتان وفتحتان بمقدار العين، قد أرسل القطعة من الثياب عليهما، وأخرى ترتدي اللباس البنجابي، وهو لباس البنجاب شائع بين المسلمات، وهو مجتمع من سرواويل طويل كسراويل "البيجامة"، وفوقه قميص إلى الركبتين، وخمار من قماشه يخفى الرأس، ويُثرن الفتنة في ألوان اللباس إثارة، وثالثة ترتدي الساري وهو قماش غير محيط، يطوي طيًّا على الجسد ليستر إحدى الكفتين وأكثر الظهر، ويترك

[9] .المصدر السابق،ص، 216

[10] .المصدر السابق، ص 217

البطن حول السرة مكشوفًا، ويعرف باللباس البنغالي، وهو في الحقيقة لغير المسلمات، ولكنني شاهدت بعض المسلمات يتخذنه، والساري أنواع متنوعة، وأشكال مشكلة، منه ما يبلغ ثمانية آلاف[11].

كما يقوم بوصف ملبس الرجل، والرجل منهم يرتدي الشرواني، ومنهم من يتّخذ العمامة الضخمة جدًّا، ويطيل لحيته، وهو ملبس السيك ويقال له السيخ، وحلق الشعر حرام في ديانتهم، ولذلك تنظر إليهم يتعبون أشدّ الملل باللحى الطويلة، ولايعلمون ماذا يفعلون بها؟ وقد أنكروا من القطع منها بالمقصّ وحلقها، فهم يربطونها بالخيطان، أو يجعلون منها ضفرًا... وربما نظرت إلى رجل بلحية هائلة تصل إلى بطنه، وعمامة بمقدار رأس الفيل الصغير، وتحت ذلك بنطال قصير لا يخفى إلا أربعة أصابع من أعلى الفخذ، ويتّخذ علماء المسلمين في الهند قميصًا واحدًا يصل إلى الركبتين، تحته سروال طويل وعلى الرأس طاقية صغيرة، وكل ذلك من الخام أوالكتان، ومن الرجال من يتّخذ اللباس الإفرنجي، ولكنه يلبس على البنطلون قميصًا يرخى عليه من فوقه، بدل الجاكيت الذي لا يحتمل في ذلك الحر[12].

وقارن علي الطنطاوي بين المعمار الفني للسلاطين المسلمين والحكام البريطانيين، فيتحدث أن المسلمين قد اهتموا بالجمال أولا، ثم بالضخامة والجلال، وأما الإنجليز فحاولوا الضخامة والجلال، ثم الروعة والجمال فمن حاول الهيكل الضخم والعظمة البادية، نظر إليه في آثار الإنجليز، ومن سعى الدقة والفن والجمال، وجدها في آثار المسلمين[13].

ثم يبيّن علي الطنطاوي عن الآثار الإسلامية وهو يقول عنها، وهي

[11] .المصدر السابق، ص ، 217

[12] .المصدر السابق، ص، 214

[13] . المصدر السابق،ص، 218

أجل وأعظم، وبنى الإنجليز ما بنوا في الأيام كشفت فيها خفايا الكون، وسخّر الإنسان فيها الآلات من الحديد، وبيّن مثالا في هذا الصدد، ووضّح أن قبرًا بناه الملك المسلم شاه جهان، وهو قصر شيد أجمل من كل قصر في الشرق والغرب إلى هذا اليوم، بل أجمل بناء أقيم على ظهر الأرض كلها بالإجماع وهو التاج محل، ويصل السياح من مشارق الأرض ومغاربها من العالم، ويقفون عليه مشدوهين مكبرين متعجّبين[14].

ويقوم علي الطنطاوي بتصوير معالم دلهي التاريخية في ذكرياته، وقد تركها الملوك من المسلمين والحكام من البريطانيين، يصف قصر نائب الملك الإنجيز في الهند " فلست أدري كيف أصفه لكم؟ إن قصر عابدين في القاهرة يبدو إلى جنبه بيتًا عاديًا، بل هو أكبر، كما قالوا_ من قصر الملك في لندن، فيه داران كبيرتان عليتان مشمخرتان على الجانبين، وبينهما الدار الكبيرة وفوقها قبة شامخة تنطح النجم، وهو من سعته كأنه مدينة كاملة"[15]. ويصف المسجد الجامع الذي بناه الملك شاه جهان، وهو من أعظم مساجد الهند، بل هو من أعظم مساجد الأرض، لم أر أروع منه، وهو قائم على قاعدة يصعد إليها على درج عريض جدًّا، يزيد على أربعين درجة ، وله سور عال فيه ثلاثة أبواب، وعلى كل باب برج كأنه عمارة، فإذا صنعت الدرج ودخلت وجدت صحنًا رحيبًا، أوسع من صحن الجامع الأموي في ملك الشام، لكنه مربع، وفي صدره مكان الصلاة، وهو على الطراز المغولي. ثم يتحدّث عن القلعة الحمراء التي أمام المسجد، وهي تبنى بنوع نادر من الحجر، لونه أحمر، وهي بلد كامل، فيها قاعات، وتزيّن في براعة وتنقّش في روعة ولاتقلّ عن قاعات الحمراء في ملك الأندلس[16].

حينما نقرأ علي الطنطاوي كتابه، فنجده أنّه ذو قلم سيّال،

[14] .المصدر السابق، ص، 214
[15] .المصدر السابق ، ص، 214
[16] .المصدر السابق،ص،219

ولسان ذرب وقت التحدّث، وخيال مجنح، ونفس مرهفة، وعين دقيقة في العثور على كلّ جديد وعجيب ومثير ومؤثر، كما تقوّي ذاكرته في الاحتفاظ بما يراه أو يسمعه أو يدركه، فيستحضرها بما عاينه، حتى حين بدأ يكتب ذكرياته، أو يتحدّث عن رحلاته بعد مضي نصف قرن على بعضها، وهو كلّما وصل فيما كتب إلى دولة أو مدينة، وقف عند طبيعتها، تعرّف جمالها وخضرتها، وأنهارها الجارية، وبيئتها اللطيفة، وتاريخها الغابر، ووصول الإسلام إليها، وواقعها المعاصر ، من الثورات إلى الاستقلال، وتحرّكاتها السياسية، وتطوراتها الاجتماعية، وتغيّراتها العمرانيّة، وعادات شعوبها المختلفة، وتشعر بأنّها آلة تصوير للصورة والصوت، والمشاعر والانعكاسات.

وامتاز علي الطنطاوي ببيان رحلته مع كثرة التمثيل، والاستطراد، كما امتاز حتى حين بدأ يكتب ذكرياته، أو يتحدّث عن تاريخ البلاد بأسلوبه الأدبي الجذّاب، ويعرّف جمالها وخضرتها، ويوضّح ما هلفته هذه الديار من أثر في عواطفه، ويبيّن عن كيفيّة سيطرة البريطانيين على أرض الهند.

الخاتمة

يعدّكلّ ما سبق، نصل إلى تسجيل النتائج الآتية:

_جاء علي للطنطاوي إلى بلاد الهند مرّتين، مرّة أولى عام ١٩٥٤م، ومرّة ثانية عام ١٩٥٧م، فزار مدينة دلهي وأسواقها، ومدينة علي كراه، وجامعتها الكبيرة والشهيرة ، ومدينة كولكاته، ومدينة لكناؤ، وندوة العلماء فيها، وقردتها، وطواويسها، وببغاواتها، وأشجارها، ومدينة ديوبند وجامعتها وهي أزهر الهند، و مدينة مومباي، وهي عروس المدائن في جمالها، وبحارها، وتجارتها، وأسواقها.

_جاء علي الطنطاوي إلى الهند مرة ثانية عام١٩٥٧م، وغبر في مدينة دلهي عشرة أيام، وذكر في ذكرياته من الجزء الخامس وبيّن عن دلهي

وقال"دلهي الفردوس الإسلامي المفقود،"وآثارها التاريخية، التي تركها الأباطرة المسلمون في الهند، نحو القلعة الحمراء ، والمسجد الجامع، ومسجد قوة الإسلام، وغيرها من آثارها الفخمة، وتحدّث عن دلهي القديمة ودلهي الجديدة، وسورها الضخم، وأبوابها باقية حتى الآن، وعن شوارعها وعماراتها، وأسواقها، ودكاكينها،وحاراتها،ولباس القاطنين بها المتنوع.

_ وتحدث عن امرأة قروية مسلمة، ونقابها، وخفائها كلّ شيئ، سوى العينين، وذكر الزي البنجابي، وعن سروال طويل يقال له البيجامة، وبيّن عن الزي البنغالي، وعن الشرواني، وعن الساري، ثم بين عن أنواع متنوعة من الألبسة نحو البنطلون والجاكيت وغيرها الزياء المختلفة.

***

د. ثمينة كوثر*

"سياحتي في بلاد الهند الإنكليزية وكشمير" للأمير يوسف كمال: دراسة تحليلية

لقد صدق من قال "ليس الخبر كالعيان". هذه هي الجملة التي بدآ بها البيروني كتابه الشهير "تحقيق ما للهند". لقد حققت الرحلة اكتساب المعارف والتعارفوالتبادل بين الثقافات منذ بداية الإنسانية. فأدب الرحلة من هذه الآداب التي ساهمت مساهمة كبيرة في الكشف الجغرافي والاطلاع الواسع على العادات والتقاليد للأمم الأخرى.

الأمير يوسف كمال كان من أبرز الشخصيات المصرية في القرن العشرين، عُرف بشغفه بالفن والثقافة والرحلات. كانت له عدة رحلات إلى أماكن مختلفة حول العالم، منها الهند، كان يوسف كمال أيضًا مؤسسًا لمدرسة الفنون الجميلة في القاهرة، وله إسهامات كبيرة في المجال الثقافي والفني.

"سياحتي في بلاد الهند" هو سرد للأمير يوسف كمال عن رحلته إلى الهند. في الكتاب، يقدم وصفاً مفصلاً لمشاهداته خلال رحلته، بما في ذلك الأماكن التي زارها، والأشخاص الذين التقى بهم، والتقاليد والعادات التي لاحظها. الأمير يوسف كمال يسرد تفاصيل دقيقة عن المدن والمعالم الشهيرة التي زارها في الهند، ويقدم تحليلاً للعادات والتقاليد الهندية، والعلاقات الاجتماعية والسياسية التي كانت موجودة في تلك الفترة، خاصة في ظل الحكم البريطاني للهند.

* أستاذة مساعدة بالقسم العربي جامعة مولانا آزاد الوطنية الاردية حيدرآباد، الهند
ايميل:drsamtabish@gmail.com

ويعتبر الكتاب من الوثائق التاريخية المهمة التي تسجل انطباعات شخصية عن الهند خلال فترة أوائل القرن العشرين. الأمير يوسف كمال (1882-1969) كان شخصية بارزة في الحياة المصرية، ومعروفا برحلاته واكتشافاته، إضافةً إلى كونه أحد الشخصيات الرائدة في إنشاء مدرسة الفنون الجميلة في مصر.

الكتاب يعكس ملاحظاته حول الثقافة الهندية، والتقاليد، والعمارة، والفنون، والديانات الهندية، كما يسلط الضوء على التأثيرات الثقافية والسياسية التي رآها أثناء زيارته. يعتبر العمل مهمًا لأنه يجمع بين رؤية عربية شرقية للهند وتوثيق لأوجه الهند من منظور مسافر مثقف في تلك الفترة.

أهم المحاورفي الكتاب:

الثقافة الهندية:

يركز يوسف كمال على وصف المدن التي زارها في الهند، مثل كلكتا، بومباي، ودلهي، ويتحدث عن طبيعة المناخ والمناظر الطبيعية التي رآها، من جبال إلى أنهار وغابات.

يشير الكتاب إلى عادات وتقاليد المجتمع الهندي، بما في ذلك اللباس، الطعام، الطقوس الدينية، والأساليب المعمارية. يوسف كمال يبرز كيف أن الحضارة الهندية تمتلك عمقاً تاريخياً وثقافياً كبيراً، كما يقارن بعض جوانبها بالثقافة المصرية. كانت الهند في تلك الفترة تحت الاستعمار البريطاني، ويوضح الأمير كيف أثر هذا الاستعمار على الحياة اليومية في الهند، وكيف تفاعلت الثقافة الهندية مع التأثيرات الغربية.

يذكر العربات ذات العجلتين يجرها اثنان من البقر وتزدحم بها الطرق، ويقارن بين الحي الفرنجي من المدينة و حي هندي،" أما القاذورات ووساخة أهل البلد فلا داعى لوصفها، وهذا بخلاف الحى الإفرنجي من المدينة.يذكر

بان البارسيين أو الهندوس اذا مروا امام معابدهم طبقوا بيديهم على بعضهما ورفعوها الى وجوههم را كزين بالإبهامين على ما بين الحاجبين من جباههم مع اتجاه السبابتين وباقي الأصابع الى الجهة العليا من الرأس وترى بين حواجبهم بعض رسوم تكون تارة على شكل دائرة ملونة بالأحمر وتارة على شكل هلال وأخرى على شكل مستطيل من أسفل الى أعالي الحاجبين وغير ذلك وهذه علامة تختلف باختلاف طبقة الشخص أو عقيدته الدينية والطائفة المنسوب اليها ومما يهم مزارعي مصر انني رأيت في طريقي كثيراً من قصب السكر يزيد ارتفاعه عن أجود قصب بلادنا.

استمرت هذه الرحلة من ٣٠ ديسمبر ١٩١٣ الي ١٧ أغسطس ١٩١٥. و معظم الادخالات في صورة مذكرة .و يبدو انه كان يدخل و يكتب التفاصيل و مشاهداته في المذكرة التي طبعت فيما بعد.

الرحلة كوسيلة للاكتشاف الثقافي

يمكن مناقشة الأسباب التي دفعت الأمير يوسف كمال للسفر إلى الهند، سواء كانت شخصية أو علمية. يُظهر الكتاب شغف الأمير بالاكتشاف والتعلم، وهو ما يمكن اعتباره جزءًا من حركته الفكرية التي سعت للبحث عن المعرفة والفنون.يتناول الكتاب الهند خلال فترة الاحتلال البريطاني، مما يوفر فرصة لاستكشاف كيف انعكس الوضع الاستعماري على تجربة يوسف كمال وكيف رأى التفاعل بين الثقافة الهندية والسياسات الاستعمارية.

الرؤية الثقافية والفنية

واحدة من أهم النقاط في الكتاب هي ملاحظاته حول العمارة الهندية وفنونها. الأمير يوسف كمال كان شغوفًا بالفن والعمارة، لذا يمكن تسليط الضوء على التفاصيل التي لاحظها وأعجب بها في الهند، وكيف قارنها

بالعمارة المصرية أو العربية. يتحدث الكتاب عن الطقوس والعادات الهندية بشكل مفصل. يمكن تحليل كيف رأى الأمير هذه العادات، وما إذا كانت رؤيته استشراقية أو موضوعية، وكيف أثرت تجربته على فهمه لهذه التقاليد

الروحانية والدين

الأمير يوسف كمال أبدى اهتمامًا بالديانات الهندية مثل الهندوسية والبوذية، ويمكن هنا مناقشة كيف رأى هذه الديانات مقارنة بالإسلام، وكيف تأثر بفلسفاتها الروحية.

الاستعمارومو اقف الأمير

يعرض الكتاب بشكل غير مباشر تأثير الاستعمار البريطاني على الهند. يمكن تحليل كيف نظر الأمير إلى التغييرات الاجتماعية والسياسية التي حدثت تحت الحكم البريطاني، وكيف تفاعل معها.

يوسف كمال كان يجسد جسراً بين الشرق والغرب بفضل انتمائه المصري العربي وتعليمه الأوروبي. من خلال كتابه..

اللغة والأسلوب الأدبي

يتميز الكتاب بلغة وصفية غنية تعكس مهارة الكاتب في السرد ووصف التفاصيل.احاول تحليل الطريقة التي استخدمها الأمير في وصف الأماكن والأشخاص والطقوس الهندية، وكيف ساهم ذلك في نقل تجربته للقارئ.

الأسلوب:

يوسف كمال يستخدم أسلوبًا وصفيًا دقيقًا لنقل المشاهد الهندية التي رآها يمكن للقارئ أن يشعر بأنه يسير مع الأمير في شوارع الهند

أو يتأمل معه العمارة الهندية المعقدة. الأمير يصف الطبيعة، المدن، والشخصيات التي يلتقي بها بأسلوب حيّ يجعلك تشعر وكأنك حاضر معه في اللحظة.النص مليء بالتشبيهات والاستعارات، وهو ما يمنح الوصف عمقًا إضافيًا. على سبيل المثال، عندما يصف الأمير المعابد الهندية أو طقوس العبادة، غالبًا ما يستخدم تشبيهات تربط بين التجربة الروحية والهندسة المعمارية أو الطبيعة، مما يضفي على النص بعدًا روحانيًا.

التوازن بين البساطة والجمال

على الرغم من ثراء التفاصيل، إلا أن أسلوب الأمير في الكتابة يتميز بالوضوح والبساطة. يمكن للقارئ أن يتبع السرد بسهولة دون أن يشعر بالضياع بين التفاصيل المعقدة أو المصطلحات الثقافية. هذا التوازن بين الوصف العميق واللغة البسيطة يجعل الكتاب مقبولاً للقراء من مختلف الخلفيات.

الأمير يوسف كمال لديه قدرة على اختيار الكلمات المناسبة لتوصيل إحساس معين. على سبيل المثال، عند وصف احتفالات دينية أو تقاليد اجتماعية، يستخدم كلمات ملونة وحسية، مثل "مهيب"، "مبهر"، و"غامض"، لإيصال الشعور الذي أصابه أثناء تجربته.

التنقل بين الثقافات

إحدى السمات المميزة في أسلوب الكتابة هي قدرة الأمير على نقل معاني وتجارب ثقافية هندية بلغة عربية مفهومة للقراء العرب. هذه "الترجمة الثقافية" تتطلب قدرة على جعل عناصر ثقافة أخرى مألوفة دون أن تفقد خصوصيتها. فعلى سبيل المثال، عند وصف تقاليد العبادة الهندوسية، يتجنب المصطلحات الغريبة ويفسرها بطريقة تجعلها قريبة للقارئ العربي.كثيرًا ما يلجأ الأمير إلى المقارنة بين المشاهدات الهندية وما يعرفه من

الثقافة المصرية أو الأوروبية. هذه المقارنات تعطي القارئ سياقًا أوسع لفهم الفروقات والتشابهات بين الثقافات المختلفة. الكتاب لا يقتصر فقط على الوصف الحسي للمناظر والتجارب، بل يحتوي على تأملات فكرية حول الفلسفات الهندية والروحانيات. أسلوب الأمير في هذا الجانب يميل إلى العمق الفلسفي، حيث يحاول تحليل وفهم الأديان والفلسفات التي يراها أمامه، مما يعطي الكتاب بعدًا أكثر تأمليًا ووجوديًا. يوسف كمال لا يعتمد فقط على السرد الشخصي، بل يدخل القارئ في حوارات داخلية حول أفكاره ومشاعره تجاه ما يراه. هذا يعطي النص طابعًا عاكسًا لطبيعته التأملية.

التفاعل مع الطبيعة والبيئة

اللغة المستخدمة لوصف المشاهد الطبيعية في الهند غالبًا ما تكون مشبعة بألفاظ شاعرية. الأمير يصف الجبال، الغابات، والأنهار بألفاظ تعكس إعجابه بجمال الطبيعة الهندية. هذا يعكس نظرته المتأملة لجمال العالم الطبيعي، وكيف أن الطبيعة جزء من الروحانية والتقاليد الثقافية. في بعض أجزاء الكتاب، يمكن ملاحظة تأثير الرومانسية الأدبية في طريقة وصفه للطبيعة، حيث يربط بين الجمال الطبيعي والبعد الروحي للإنسان. نبرة الكتاب تميل إلى أن تكون شخصية وعاطفية. الأمير لا يكتب كتقرير رسمي عن رحلته، بل يعبر عن مشاعره وانطباعاته الشخصية بطريقة تشعر القارئ بعمق تجربته. هذا التداخل بين العاطفة والعقل يجعله نصًا أدبيًا أكثر منه وثيقة علمية.الأمير لا يكتفي بوصف الأماكن فقط، بل يتفاعل معها بشكل عاطفي وفكري. يترك النص القارئ في حالة من التأمل في التجربة الإنسانية وكيف أن السفر يمكن أن يكون وسيلة لاكتشاف الذات بقدر ما هو اكتشاف للعالم.

اللغة الرمزية

في العديد من الفصول، يستخدم الأمير لغة رمزية ليصف الأماكن والأشياء. على سبيل المثال، يمكن أن تمثل المعابد الهندية بالنسبة له رموزًا للخلود والروحانية، بينما تمثل المدن المكتظة رمزًا للحداثة والصراع. هذه الرمزية تضفي عمقًا فلسفيًا على النص وتجعله مفتوحًا للتأويل.باختصار، أسلوب يوسف كمال في الكتابة يعكس توازناً بين الوصف الحسي الدقيق والتأملات الفلسفية، مما يجعل الكتاب ليس مجرد دليل سفر، بل نصًا أدبيًا غنيًا يقدم تجربة ثقافية وروحية متكاملة. في الكتاب، يعرض الأمير يوسف كمال رؤيته وتفاعله مع الثقافة الهندية بطريقة توثق انطباعاته عن الهند خلال رحلته. الكتاب يقدم لمحة عن الهند من منظور شخص شرقي عربي، ما يتيح لنا فرصة لرؤية كيف قام يوسف كمال بتفسير الثقافة الهندية الغنية والمعقدة. هنا بعض التفاصيل التي يمكن تناولها حول الثقافة الهندية كما رآها الأمير يوسف كمال.

الفن والعمارة الهندية

الأمير يوسف كمال كان شغوفًا بالعمارة، ويُظهر ذلك في وصفه التفصيلي للمباني الهندية التي زارها، خاصة المعابد والمساجد. يعبر عن إعجابه بالتصاميم المعمارية الهندية الغنية بالتفاصيل والزخارف التي تعكس الروحانية العميقة. يصف العمارة المغولية والتأثيرات الإسلامية في المعالم التاريخية مثل تاج محل، ويقارنها مع ما رآه في مصر والعالم العربي. يلاحظ الأمير الدقة والتفاصيل المذهلة في المنحوتات الهندية، سواء تلك الموجودة في المعابد الهندوسية أو البوذية. ينقل للقارئ كيف كانت هذه المنحوتات تعبر عن القصص الأسطورية والدينية بعمق وحرص على التفاصيل، مشيرًا إلى الرموز المستخدمة في تلك الأعمال الفنية.

التقاليد والعادات الاجتماعية

يلاحظ يوسف كمال تنوع الملابس التقليدية في الهند بين المناطق والطبقات الاجتماعية. يصف الأزياء الهندية مثل "الساري" بالنسبة للنساء و"الدهوتي" و"الشرواني" بالنسبة للرجال، مشيرًا إلى أن الملابس التقليدية تعكس الهوية الثقافية والدينية لكل مجموعة. الكتاب يصف بعض الاحتفالات والأعياد التي شهدها الأمير خلال رحلته. من أبرز الأعياد التي قد يكون تحدث عنها هي ديوالي (مهرجان الأنوار) أو الهولي (مهرجان الألوان)، وكيف لاحظ أن هذه الاحتفالات مليئة بالرموز الدينية والاجتماعية التي تجمع الناس من مختلف الخلفيات الدينية. يسلط الضوء على التنوع الكبير في المطبخ الهندي، حيث يتناول مجموعة من الأطباق النباتية وغير النباتية. يعبر عن إعجابه بالتوابل والنكهات القوية المستخدمة في الطعام الهندي، مثل الكاري والماسالا. ويلاحظ كيف أن بعض الأطعمة ترتبط بمعتقدات دينية معينة، مثل الامتناع عن أكل اللحوم بين العديد من الهندوس والجاينيين.

النظام الطبقي والمجتمع

يلاحظ يوسف كمال النظام الطبقي الهندي (الكاست)، ويتأمل في كيفية تأثيره على بنية المجتمع الهندي، وكيف يحدد مكانة الفرد في المجتمع. على الرغم من محاولته لفهم هذا النظام، يعبر في بعض الأجزاء عن حيرته أو عدم قبوله لبعض الجوانب المتعلقة بعدم المساواة الاجتماعية التي يراها. الكتاب يحتوي على ملاحظات الأمير حول التفاعل بين مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية في الهند، وكيف أن الناس يتصرفون وفقًا لقيمهم ومعتقداتهم التقليدية. يلاحظ بعض المظاهر الاجتماعية التي تربط بين الأدوار الاجتماعية والدينية، مثل أدوار الكهنة، التجار، والفلاحين.

الموسيقى والرقص

يلاحظ الأمير أن الموسيقى الكلاسيكية الهندية تلعب دورًا كبيرًا في حياة الهنود، ويشير إلى الآلات الموسيقية التقليدية التي رآها خلال رحلته مثل السيتار والطبلة. قد يكون وصفه للموسيقى مليئًا بالتفاصيل التي تعكس إحساسه العميق بجمال تلك الألحان ورسوخها في الروح الهندية. يمكن أن يكون يوسف كمال قد أشار إلى الرقصات التقليدية التي شهدها، مثل "بهاراتا ناتيام" أو "كاتاكالي"، والتي تعتبر جزءًا لا يتجزأ من التراث الثقافي الهندي. الرقصات الهندية ليست مجرد حركات فنية، بل تحكي قصصًا أسطورية ودينية، وهو ما يمكن أن يكون قد لاحظه الأمير في تعابير الراقصين وأزيائهم.

الطبيعة والبيئة

في الكتاب، يعبر الأمير عن إعجابه بالجمال الطبيعي للهند، بدءًا من جبال الهيمالايا المهيبة إلى الأنهار مثل نهر الغانج المقدس. يعبر عن انبهاره بالتنوع الطبيعي في الهند وتأملاته في العلاقة بين الطبيعة والثقافة الهندية، وكيفية تأثير الطبيعة في تشكيل الروحانية الهندية.

التأثيرات الإسلامية والمغولية

يوسف كمال لا يغفل عن التأثيرات الإسلامية في الهند، خاصةً خلال فترة حكم المغول. يذكر كيف تركت العمارة والفنون المغولية بصمة عميقة على الثقافة الهندية، مشيرًا إلى معالم مثل تاج محل وجامع مسجد في دلهي. قد يكون الأمير لاحظ كيفية تداخل العناصر الهندوسية والإسلامية في الثقافة الهندية، خاصةً في مجالات مثل الفنون، الموسيقى، والعمارة. يعبر عن تقديره للتعايش بين هذه الثقافات في إطار المجتمع الهندي.

الفكروالحداثة

يعرض الكتاب ملاحظات الأمير حول كيفية تفاعل الهند مع الحداثة التي بدأت تدخل في المجتمع خلال الفترة التي زار فيها الهند. يتناول تأملاته حول التأثيرات الاستعمارية البريطانية على الثقافة الهندية، وكيف بدأت الهند تمزج بين تقاليدها القديمة والحداثة الغربية، خاصة في التعليم والحياة الاجتماعية.

باختصار، كتاب "سياحتي في بلاد الهند " يقدم تصويرًا غنيًا للتنوع الثقافي والديني في الهند، مع تقديم رؤى شخصية وتحليلية حول التقاليد والفنون والمعتقدات التي رآها. من خلال عيون الأمير يوسف كمال، يمكن للقارئ أن يكتشف مدى ثراء وتعقيد الثقافة الهندية وتجربتها الفريدة.

المراجع والمصادر:

1. كمال، يوسف، رحلتي الي بلاد الهند الإنكليزية وكشمير ١٩١٥، الجزالاول، مطبعة المعارف بشارع الفجالة، بمصر، ١٩٢٠
2. شمت المجيدل، عبد الله الهند في أدب الرحالة العرب مجلةشؤون اجتماعية، صيف ٢٠١٨
3. حسن، محمد ذكي، الرحالة المسلمون في العصور الوسطي، دارالرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨١
4. قنديل، فواد، ادب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢

***

د. طلحة فرحان*

تصوير الهند وثقافتها في رحلة فتح الله أنطاكي: دراسة وصفية

يعتبر أدب الرحلة فنا يستحق الاهتمام، إذ يتيح للقراء تجربة فكرية غنية تتنوع بين الأسلوب القصصي المشوق والطرافة الأدبية مع لمسات من الغرابة والخيال. يسلط هذا الأدب الضوء على معطيات حضارية متنوعة، مما يمكن القارئ من استكشاف أنماط الحياة ورؤى جديدة لم يألفها من قبل. يأتي هذا في قالب ممتع يجذب الانتباه، حيث يمثل احتفالا أدبيا يدمج بين تخصصات معرفية متعددة، من جغرافيا وإثنوغرافيا وتاريخ. وقد قرض الإمام الشافعي قصيدة في مدح السفر، مشيرا إلى أن راحة العقل والأدب تكمن في ترك الأوطان والسفر، حيث يجد المرء ما يعوضه عمن يفارقه، فهو يقول[1]:

ما في المقام لذي عقل وذي أدب	من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوضا عمن تفارقه	وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده	إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب
والشمس لو وقفت في الفلك دائمة	لملها الناس من عجم ومن عرب

الكتاب الذي نحن بصدده هو تصنيف رحلي قام به الأستاذ فتح الله أنطاكي وسماه "الهند كما رأيتها". كان أنطاكي يشغل منصب رئيس تحرير جريدة العمران في مصر. في عام 1932، انطلقت رحلته إلى الهند،

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، حيدرآباد.

[1] مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع، محمد شريف سليم، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1919ء، ص63

بدءا من القاهرة، مرورا بالشام وبغداد، وصولا إلى البصرة ثم كراتشي. خلال ثمانية أشهر قضاها في الهند، تجول أنطاكي بين معظم الولايات، مستكشفا ثقافات متنوعة وآثارا تاريخية غنية، فهو يقول: "برحت القاهرة في أول اكتوبر من العام الماضي ١٩٣٢ قاصدا الهند للسياحة والاطلاع عن طريق الشام وبغداد والبصرة وخليج فارس فكراتشي وقد قطعت تلك المسافة الطويلة في أسبوعين وقضيت في الهند ثمانية شهور كاملة متنقلا في أهم الإمارات والبلدان دارسا أحوال الهنود وقد عدت إلى بلادي وجعبتي مملوءة بالأخبار والمشاهدات وتركت تلك البلاد في نفسي ذكرى طيبة لن أنساها مادمت حيا"[2].

استطاع أنطاكي من خلال هذه الرحلة أن يتعرف على الحياة اليومية، وعادات الناس، وتاريخ البلاد الذي يمتد لآلاف السنين. استخدم أنطاكي مجموعة من المصادر والكتب ليعزز فهمه للواقع الهندي، مما أضاف عمقا إلى انطباعاته. كتب تجربته في مؤلفه الذي أطلق عليه "الهند كما رأيتها"، حيث تمكن من نقل مشاعره وأفكاره حول ما رآه من مشاهد فريدة. أشعرت كلماته القارئ وكأنه يسير إلى جانبه، مستكشفا الأسواق الصاخبة والمعابد المدهشة، والتنوع الثقافي الذي يميز الهند. عبر أسلوبه الأدبي عن إعجابه بالمناظر الطبيعية الخلابة والتاريخ الغني الذي يحيط به. تناول الكاتب أيضا التحديات التي واجهها في رحلة الاستكشاف، كالصعوبات اللغوية والتواصل مع السكان المحليين. كما سلط الضوء على التفاعل الإنساني، والذي كان جزءا لا يتجزأ من تجربته، حيث شكلت لقاءاته مع مختلف الأشخاص لحظات مؤثرة تركت بصماتها في ذاكرته. يعد الكتاب وثيقة تاريخية أدبية تبرز تجارب شخص عاش لحظات مؤثرة في بلد غني بالتاريخ والثقافة. إن "الهند كما رأيتها" لا يقدم فقط وصفا للأماكن،

[2] الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، مطبعة فاضل للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1933ء، ص 9

بل يمثل نافذة على عالم مليء بالاختلافات والتنوعات، مما يجعل القارئ يشعر بشغف المغامرة والاكتشاف.

يسترجع الكاتب ذكرياته عن رحلة ميمونة إلى الهند، حيث غمره أهل البلاد بألطافهم وحسن ضيافتهم ويصف كيف استقبله الجميع، من الأمير الجليل إلى الخادم البسيط، بالترحاب والحفاوة، مما يدل على عمق كرم الضيافة الهندية.فهو يشير إلى عواطف الولاء والإخلاص التي أظهرها الناس تجاهه، مما جعله يشعر بأنه موضع احترام وتقدير من كبار الموظفين والوجهاء وقناصل الدول. يبرز أنطاكي صفات الشعب الهندي، حيث يصفهم بأنهم كرماء يتمتعون بمكارم الأخلاق، ويشتهرون بالوداعة والتواضع. يتجلى في أسلوبه الأدبي تفاعل عاطفي عميق مع هذه التجارب، مما يجعل القارئ يشعر بروح الرحلة ومعانيها. يعبر أنطاكي عن إعجابه بالاحترام الكبير الذي يكنه الهنود للأجانب، دون انتظار أي جزاء أو شكر، وهو ما يشهد عليه كل من زار هذه البلاد. من خلال كلماته، ينقل الكاتب صورة حية عن الهند وشعبها، مبرزا القيم الإنسانية التي تميزهم وتترك أثرا في نفوس الزوار، فهو يقول: "ولا غرو فالهنود قوم كرام جبلوا على الكرم ومكارم الاخلاق اشتهروا بالوداعة والتواضع يحترمون الأجنبي احتراما عظيما وهم لا يبتغون جزاء ولا شكورا يشهد لهم بذلك كل من زار بلادهم وتعرف بهم"[3].

لقد عبر الرحالةأثناء زيارته للهند، عن رغبته في لقاء غاندي، الزعيم الهندي المعروف، لكنه اكتشف أنه كان محبوسا خلال فترة إقامته في الهند، فيظهر كيف أن الهنود يعتبرون غاندي أكثر من مجرد سياسي، بل يقدسونه كنبي عظيم. ففي قلوبهم مكانة عظيمة له حيث يشبهونه بالسيد المسيح، مما يعكس عمق التأثير الروحي والديني الذي يتمتع به، فهو

[3]الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، مطبعة فاضل للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1933ء، ص 9

يقول: "وقد كنت أرغب ملاقاة غاندي الزعيم الهندي الشهير إلا أنه كان سجينا مدة وجودي في بلاده والهنود يعتبرونه كنبي عظيم لا كسياسي خطير. وهو في الحقيقة زعيم ديني كبير يقدسه الهندوس ويشبهونه بالسيد المسيح عليه السلام"[4].

يقدم أنطاكي لمحة شاملة عن التنوع الديني في الهند، حيث يوضح أعداد الهندوس والسيك، والمسلمين، والمسيحيين، والفرس، والإسرائيليين، مما يعكس غنى التعددية الثقافية في البلاد. يشير إلى أن الهندوس يشكلون الأغلبية، بينما يعاني المسلمون من الفقر مقارنة بهم، ويقدم تفاصيل حول أوضاع الفئات المختلفة، مما يبرز الفجوات الاجتماعية والاقتصادية. ويتميز أسلوبه بالموضوعية والدقة، حيث يعتمد على الأرقام والإحصاءات لتوضيح واقع المجتمعات الهندية، مما يضفي على الكتابة طابعا علميا وموثقا. يتناول أنطاكي في رحلته مسألة التعصب الديني في الهند، مشيرا إلى تأثيره السلبي على العلاقات بين المسلمين والهندوس ويعبر عن استيائه من العداء المستحكم بين الطائفتين، رغم كونهما أبناء وطن واحد. فيصف كيف أن أي مشادة بين مسلم وهندوسي قد تؤدي إلى اندلاع ثورات ضخمة تسفر عن مقتل عشرات الآلاف من الأبرياء، مما يعكس عمق الصراع والجهل الذي يغذي هذا التعصب. فمن خلال هذا الوصف، ينقل الكاتب صورة قاتمة عن الواقع الاجتماعي في الهند، ويحث القارئ على التفكير في ضرورة التعايش السلمي والاحترام المتبادل بين جميع الطوائف.

كما يتناول الرحال التناقض الصارخ بين الثروة والفقر في الهند، حيث يشير إلى وجود طبقات من الأغنياء الذين يعيشون في بذخ بينما يرزح ملايين من الفقراء تحت وطأة البؤس. يصف كيف أن الكثيرين ينامون في

[4] الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، مطبعة فاضل للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1933ء، ص 10

الشوارع، مما يثير مشاعر الشفقة والألم لديه. يستخدم الكاتب أسلوبا واقعيا ومؤثرا، حيث يجسد صور الحياة اليومية للفقراء ويعبر عن مظاهر الفقر بشكل درامي، مما يعكس عمق المعاناة الإنسانية. كما يسلط الضوء على تعاطف الأجانب مع المحتاجين، مما يظهر أن الإحسان يتجاوز حدود الوطن والدين، وهو ما يعكس إنسانية مشتركة في مواجهة الفقر.

يسلط أنطاكي الضوء على وجود الأجانب في الهند، ويشير إلى أن معظمهم من الأفغانيين والعرب والعراقيين والفرس الذين ينجحون في التجارة. يستعرض الكاتب النجاح البارز لليهود والفرس في تحقيق الثراء، بينما يلاحظ أن الجاليات الأوروبية، باستثناء الإنجليز، قليلة جدا.

يستخدم أنطاكي أسلوبا سرديا يجمع بين الوصف والتحليل، مما يعكس فهمه العميق للواقع الاقتصادي والاجتماعي في الهند. ويبرز تباين الهجرات بين الهند ومصر، مما يدل على الفرص المتاحة في الهند رغم قلة الأجانب. هذه المقارنة توضح مدى أهمية الموقع الجغرافي والعوامل الاقتصادية في تشكيل المجتمعات.

يقدم الرحال رؤية شاملة للإعلام في الهند، مشيرا إلى وجود مئات من الصحف والمجلات التي تصدر باللغات المختلفة ويسلط الضوء على "التايمس أوف أنديا" كأكثر الصحف انتشارا، موضحا أرقام توزيعها الكبيرة التي تعكس تأثيرها الواسع في المجتمع الهندي. كما يتناول "هندوستان تايمس"، مشيرا إلى كونها جريدة هندية تصدر باللغة الإنجليزية، مما يدل على تنوع المشهد الإعلامي. يتناول الرحال المصري ظاهرة انتشار النصابين والدجالين في الهند، ويشير إلى توافدهم سنويا وادعائهم أنهم صحفيون بارزون. كما يوضح كيف تم خداع العديد من الشخصيات البارزة في الهند، لكنهم في النهاية اكتشفوا دجل هؤلاء المحتالين، مما استدعى فضحهم أمام الأمراء والزعماء. يسرد الكاتب أيضا قصة "فهمي المصري"، الذي انتحل

صفة كاتب وصحفي، محققا أرباحا كبيرة قبل أن يقبض عليه، مما يعكس الخطر الذي يشكله هؤلاء النصابون على المجتمع. وهكذا يعكس تجاربه في رحلته ويعبر عن قلقه إزاء الظواهر السلبية التي تؤثر على سمعة الصحافة.

يقدم الكاتب صورة غنية عن المسلمين في الهند، مشيدا بغيرة هؤلاء على دينهم الإسلامي وحرصهم على الالتزام بتعاليم القرآن. يبرز أنطاكي انطباعاته القوية عن إيمانهم، مشيرا إلى أنهم يقومون بأداء الصلوات بشكل دقيق، مما يعكس روحهم الدينية العميقة. كما يتناول كرمهم في عيد الفطر، حيث يوزعون الصدقات والزكاة على الفقراء، مما يدل على حسهم الاجتماعي والتضامن الإنساني، فهو يشير إليه قائلا: "وفي عيد الفطر المبارك يوزعون الصدقات والزكاة على الفقراء والمساكين من الهنود والأجانب بكرم وسخاء كل على قدر طاقته وأكثر من طاقته من الأمير العظيم إلى التاجر الصغير"[5]. في هذا الاقتباس يظهر تصوير الهند من خلال وصف كرم المسلمين في الهند خلال عيد الفطر، حيث تتجلى مظاهر العطاء والسخاء من مختلف الفئات الاجتماعية. يبرز الكاتب مشهدا جماعيا يعكس روح التعاون والمشاركة، مما يسلط الضوء على القيم الإنسانية التي تتجاوز الحدود الثقافية والعرقية.

يعكس الكاتب صورة نابضة عن الحياة الاجتماعية في الهند، مركزا على أخلاق الهنود وثقافتهم. يتناول أنطاكي بشكل خاص النساء الهنديات، مشيرا إلى تحفظهن واعتزازهن بخصوصيتهن، حيث يبرز التصوير الفني للوجوه الطبيعية، ما يعكس تقديرهم للجمال البسيط والطبيعي بعيدا عن معايير المدنية الغربية. يستخدم الكاتب أسلوب المقارنة، حيث يضع الثقافة الهندية في مواجهة مع العادات الغربية، مما يعطي القارئ تصورا عن تباين القيم والتقاليد، فهو يشير إلى غياب

[5] الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، مطبعة فاضل للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1933ء، ص 21

العلاقات الرومانسية المتعارف عليها في مجتمعات أخرى، موضحا أن مثل هذه الحوادث لا تكاد تذكر في الهند، مما يعكس تقاليد عائلية قوية وقيودا اجتماعية تحكم تفاعل الأفراد. من خلال وصف الكاتب لحياة الشبان والشابات، يتجلى كيف أن الحياء والخجل يسيطران على تصرفاتهم، مما يدل على عمق القيم الأخلاقية المتجذرة في المجتمع الهندي. كما أن التركيز على الحياء يؤكد على المكانة الاجتماعية للمرأة وضرورة الالتزام بالضوابط الثقافية. يرسم أنطاكي صورة مفعمة بالاحترام للسيدة الهندية، مشيدا بدورها المحوري في الأسرة والمجتمع. تتجلى الثقافة الهندية من خلال تصوير المرأة كرمز للوفاء والتضحية، حيث تتفانى في خدمة زوجها وأولادها، مما يعكس قيمة الأسرة وعراقتها في المجتمع الهندي. يستخدم الكاتب تعبيرات تشدد على عمق التزام السيدة الهندية، مثل "تفدي النفس والنفيس"، مما يدل على استعدادها للتضحية بكل شيء من أجل أحبائها. كما يبرز عشقها لبيتها واهتمامها براحة أهلها، مما يلقي الضوء على الروابط الأسرية القوية التي تعتبر جوهر الحياة في الهند، فهو يشير إلى كل هذا قائلا: "والسيدة الهندية تفدي النفس والنفيس في سبيل خدمة زوجها وأولادها وتعشق بيتها كما يعشق العاشق عشيقته وتسهر على راحة أهلها وذويها بإخلاص ونشاط وصبر عجيب حتى أصبحت مضرب المثل في الوفاء والتضحية والشرف"[6]. من خلال الاقتباس أعلاه يظهر صبر المرأة الهندية ونشاطها، مما يدل على قوتها الداخلية قدرتها على التحمل التي تتمتع بها. هذا التصوير لا يقتصر على الإعجاب، بل يعكس فهما عميقا للقيم الثقافية المتجذرة، مثل الشرف والإخلاص.

بأسلوبه الأدبي، ينجح أنطاكي في نقل هذه القيم بأسلوب مؤثر، حيث يمزج بين الوصف الشعوري والتعبيرات القوية ليجعل القارئ يشعر

[6] الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، مطبعة فاضل للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1933ء، ص 22

بتقدير عميق لدور المرأة في المجتمع الهندي. وهذا يعزز الفهم الثقافي ويوفر رؤية ثرية عن كيفية رؤية المجتمع الهندي للمرأة ومكانتها فيه. كما يسلط أنطاكي الضوء على خصال الشاب الهندي، موضحا التهذيب والأخلاق العالية التي يتمتع بها. يعكس تصوير الشاب الهندي كفرد "مهذب تهذيبا تاما" ثقافة تعلي من قيمة الاحترام والتقدير في العلاقات الاجتماعية، حيث تأنف نفسه الشريفة من معاكسة الفتيات أو إغرائهن.

يبين الكاتب كيف أن الشاب الهندي يتسم بالخجل والارتباك حتى عند مخاطبة إحدى قريباته، مما يبرز الطابع التقليدي والمتحفظ للمجتمع الهندي. هذه السمة تعكس تأثير القيم الثقافية والدينية التي تؤثر في سلوك الأفراد، وتعزز من مكانة النساء في المجتمع، أنظروا كيف عبر عن مشاعره تجاه الشاب الهندي قائلا: "والشاب الهندي مهذب تهذيبا تاما تأنف نفسه الشريفة معاكسة الفتيات وإغرائهن على الفساد وكثيرا ما تجد الشاب يخاطب إحدى قريباته وهو في غاية الارتباك والخجل مما لم أر مثله في بلاد شرقية خلاف الهند"[7].

أسلوب الكاتب يجمع بين الوصف الدقيق والانطباعات الشخصية، مما يجعل القارئ يشعر بعمق الفروق الثقافية بين الهند وبلاد أخرى. استخدامه للعبارات مثل "لم أر مثله في بلاد شرقية" يبرز تفرده ويعكس استغرابه وتقديره لتلك القيم، مما يسهم في بناء فهم أعمق للثقافة الهندية.

كما يبرز الأستاذ الرحال أحد جوانب الثقافة الهندية المتعلقة بالفساد والممارسات الاجتماعية،ويشير إلى أن الفساد، بشكل عام، لم ينتشر في الهند كما هو الحال في العديد من البلاد الأخرى، مما يعكس طبيعة المجتمع الهندي الذي يحتفظ بقيمه التقليدية. تصويره للمومسات

[7] الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، مطبعة فاضل للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1933ء، ص 22

ككائنات قليلة جدا بالنسبة لعدد السكان يعكس الصرامة الأخلاقية التي تميز الهند، ويعطي انطباعا عن مجتمع يحافظ على آدابه. الكاتب يستخدم أسلوبا مباشرا وواضحا، مما يتيح للقارئ فهم الفروق الثقافية بيسر. تعبيراته تدل على الدهشة والإعجاب بالخصائص الأخلاقية للهند، حيث يبرز كيف أن الثقافة الهندية تحتفظ بقدر من النقاء مقارنة بالعديد من المجتمعات الأخرى، فيصف الثقافة الهندية وصفا دقيقا ويقول: "وأما الفساد فلم ينتشر في الهند كما انتشر في البلاد الأخرى والمومسات قليلات جدا بالنسبة لعدد السكان وفي بلاد كثيرة لا تجد بيوتا تدار للبغاء السري أو العلني مطلقا"[8]. هذا التصوير لا يقتصر فقط على الإحصاءات، بل يمتد ليشمل تأملات أعمق في طبيعة المجتمع ودوافعه. من خلال هذا الأسلوب، يعرض الكاتب فهمه العميق للثقافة الهندية، مما يجعل نصه ليس مجرد توثيق للرحلة، بل أيضا دراسة ثقافية تتناول الأخلاق والعادات.

ثم يتطرق أنطاكي ويلقي الضوء على عمق التمسك الديني لدى الهنود، معتبرا إياه العامل الأساسي وراء الحياة الهادئة والشريفة التي تعيشها العائلات الهندية ويظهر إعجابه بالانضباط الديني الذي يتسم به المجتمع، حيث يصف الهنود بأنهم يتبعون أوامر الله بدقة ويبتعدون عن المعاصي. هذه النظرة الإيجابية تصور تقدير الكاتب للثقافة الهندية، حيث يرى في التمسك بالدين عاملا يسهم في استقرار الأسرة وهدوئها.

كما يستعرض أنطاكي جوانب التجارة في الهند، موضحا أن على الرغم من الكساد الذي يعاني منه الاقتصاد العالمي، يتمتع التجار الهنود بسمعة حسنة من حيث الشرف والأمانة. يبرز الكاتب فخره بخصال هؤلاء التجار، حيث يعتبرهم نموذجا للنزاهة، مشيرا إلى أن الفشل المالي لا يسيء إلى سمعتهم، بل يجعلهم يخرجون من الساحة مرفوعي الرأس. تظهر

[8] الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، مطبعة فاضل للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1933ء، ص 22

أسلوبية أنطاكي الأدبية من خلال استخدامه لتراكيب لغوية واضحة ومعبرة، ما يعكس انطباعاته الشخصية عن التجار الهنود. هو لا يكتفي بسرد الحقائق، بل يثري النص بآرائه القوية حول القيم التجارية في الهند مقارنة بالبلدان الأخرى، مما يجعل القارئ يتفاعل مع تلك الأفكار. الاختيار الدقيق للكلمات والتعابير، مثل "موفور الكرامة" و"خسارة أمواله فقط"، يظهر عظمة الشرف التي يتسم بها التاجر الهندي. كما أن التطرق إلى التحفظات الاقتصادية العالمية يضفي على نصه عمقا إضافيا، مما يجعل القارئ يدرك أهمية النزاهة كقيمة أساسية في عالم التجارة.

ثم يتطرق الكاتب إلى إلقاء الضوء على الفروق الاقتصادية بين ضروريات الحياة وكمالياتها،فيقول كيف أن الطعام الأساسي، مثل اللحم والسمن والأرز، متاح بأسعار منخفضة جدا، مما يدل على وفرة الموارد الغذائية في البلاد. وفي المقابل، يبرز الكماليات، مثل السجاير الإنجليزية والأقمشة الحريرية، كسلع باهظة الثمن نتيجة الضرائب الجمركية المرتفعة، مما يعكس واقعا اجتماعيا واقتصاديا معقدا. يلتقط أنطاكي بأسلوب أدبي تفاصيل الثقافة الهندية، متناولا كيف تتداخل جوانب الحياة اليومية مع السياسات الحكومية.

كذلك يبرز أنطاكي الصورة النمطية للفلاحين الذين يعيشون حياة بسيطة وصعبة، مشبها إياهم بالفلاحين المصريين. ويظهر كيف أن هؤلاء الفلاحين، رغم قلة ما يجمعونه، يتمتعون بالصبر والنشاط، إذ يعملون بجد مع أسرهم لتلبية احتياجاتهم الأساسية. كما يكشف عن واقع مرير يتمثل في أن يومية الفلاح في بعض المناطق الهندية لا تتجاوز قرشا واحدا، مما يشير إلى التحديات الاقتصادية التي يواجهونها. مشيرا إلى وضع الزراعة في الهند، يقدم الرحال فتح الله أنطاكي صورة نابضة بالثروة الزراعية والتنوع البيولوجي، حيث يصف الأراضي الهندية بأنها "طيبة جدا".

فيستعرض أهم المحاصيل الزراعية مثل الأرز والشاي والقطن، مشيرا إلى وفرة الفواكه المتنوعة، خاصة المنجا والموز، التي تباع بأسعار رخيصة في الداخل، بينما تصدر إلى دول أخرى بأسعار مرتفعة. كما يؤكد أن الزراعة تعتبر مصدر الرزق الرئيسي للهنود تماما كما هو الحال في مصر. ومع ذلك، يبرز أثر الأزمة الاقتصادية التي أدت إلى هبوط الأسعار، مما أثر على الفلاحين، داعيا إلى إصلاح الأوضاع، فهو يقول: "وأما أراضي الهند الزراعية فطيبة جدا وأهم حاصلاتهم الرز والشاي والشعير والأذرة والسكر وجوز الهند والقطن وغير ذلك من المحاصيل وأما الفواكه فمنتشرة بكثرة في جميع أنحاء الإمبراطورية ولا سيما المنجه والموز وأسعارها رخيصة جدا... إن الزراعة أوسع أبواب الرزق للهنود كما هو الحال في القطن المصري. وقد تضرروا كغيرهم في هذه الأزمة كثيرا من جراء هبوط الأسعار أصلح الله الأحوال"[9].

حول تجربته عن الملاهي في الهند، يسلط الرحال فتح الله أنطاكي الضوء على انتشار محلات الرقص ودور السينما في المدن الكبرى، معبرا عن دهشته من ارتفاع أسعار الدخول، التي تفوق ثلاثة أضعاف الأسعار في مصر. يبرز أنطاكي التباين بين المدن الكبيرة والصغيرة، حيث تحرم العديد من الإمارات الهندية من هذه الفنون الترفيهية. كما يثني على النهضة السينمائية الوطنية ويشير إلى إقبال الجمهور الكبير على الأفلام الهندية رغم الأسعار المرتفعة، مما يعكس تقديرهم للفنون. يسرد أنطاكي كيف أن الزحام أمام دور السينما يتطلب حجزا مسبقا، مما يدل على شغف الهنود بالفنون الجميلة واعتزازهم بممثلين محليين بارزين.

يصور أنطاكي ثراء المشهد الثقافي الهندي ويشير إلى وجود عدد كبير من الفلاسفة والأدباء البارزين، وعلى رأسهم الفيلسوف تاغور

[9] الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، مطبعة فاضل للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1933ء، ص 26

والشاعر محمد إقبال. يعتبر تاغور، الذي حاز على جائزة نوبل، من كبار الفلاسفة في العالم، وله مكانة سامية لدى الهنود والإنجليز على حد سواء، مما يعكس تقدير الهند لمفكريها البارزين. ويشير أنطاكي إلى أن عددا كبيرا من المعجبين يتوافدون سنويا للاحتفاء بفكره ونتاجه الأدبي. أما محمد إقبال، على حد قول أنطاكي، فهو شاعر مبدع ومؤثر ويعد من أعلام الفضل في العالم الإسلامي، وقد منح لقب "سر" من قبل البريطانيين تقديرا لموهبته. يؤكد أنطاكي على أهمية إقبال كمصدر إلهام للشعراء والأدباء في لاهور، حيث يعتبر مكانه ملتقى للمثقفين. يعبر أنطاكي عن إعجابه بذكاء إقبال وتواضعه، مستذكرا زياراته الثلاث له، مما يعكس الروح الإنسانية والثقافية العميقة التي تتمتع بها الهند. بأسلوب أدبي راق، يظهر أنطاكي كيف تجسد الثقافة الهندية في شخصيات بارزة تترك أثرا في الأدب والفكر العالمي قائلا: "وفي الهند عدد كبير من الفلاسفة والشعراء والأدباء ونوابغ الكتاب. إلا أن أشهرهم الفيلسوف تاغور والسر محمد إقبال شاعر البنجاب الشهير والأول هندوكي والثاني مسلم وكلاهما تفتخر بهما الهند وتعتز"[10].

يشير أنطاكي إلى الجانب الغامض والفريد من حياة الفقراء في الهند، الذين يمارسون أعمالا وألعابا تعتبر خارقة للطبيعة فهم ينخرطون في مجامع وينقضون فيها سنوات في التقشف والخضوع، مما يعطيهم حق الوصول إلى أسرار تعتبر سحرية،فيذكر كيف تتجاوز هذه الأعمال حدود القدرات البشرية، مما يبرز الثقافة الروحية العميقة في الهند. يعكس تصويره لهذا النوع من البشرية تداخل الفقر مع الإبداع الروحي، مظهرا كيف يمكن لتجاربهم الفريدة أن تغير مفاهيم القوة والقدرة، فهو يشير إليه وإلى حقيقته بعد أن استفسر عنه بعض العلماء قائلا: "وقد حللها

[10] الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، مطبعة فاضل للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1933ء، ص 27

البعض من العلماء فقال إنها راجعة إلى حالة نفسية أو إلى تأثير مغنطيسي في النظارة بحيث يخيل إليهم ما يقال لهم واقع وإنه قد وقع حقيقة"[11].

يبرز الكاتب مكانة حضرة نظام حيدر آباد كأهم أمير وزعيم مسلم في الإمبراطورية الهندية، مشيرا إلى ثروته الضخمة التي تصل إلى مائتي مليون جنيه إنجليزي، مما يعكس تأثيره ونفوذه. ثم يلقي الضوء أيضا على احترام المسلمين الهنود لمصر، حيث يعتبر الملك أحمد فؤاد الأول زعيما للعالم الإسلامي، مما يظهر الروابط الثقافية والدينية القوية. كما يشير أنطاكي إلى زيارة بعض الشخصيات المصرية العظيمة للهند، مثل البرنس يوسف كمال باشا والشيخ أبو الوفا الشرقاوي، مما يعكس اهتمام المصريين بآثار الهند وتاريخها ويجسد التبادل الثقافي بين الهند ومصر، مظهرا الاحترام المتبادل والتأثيرات الحضارية.

يستعرض أنطاكي كيف يمنح الملك والإمبراطور الألقاب والأوسمة البريطانية للأمراء والعظماء وكبار التجار في المناسبات الهامة، مما يعكس تأثير الاستعمار البريطاني في المجتمع الهندي ويشير إلى أن معظم الأمراء الهنود يحملون لقب "سر"، في حين أن لقب "لورد" منح لعدد قليل جدا، مما يدل على قيمة هذا اللقب وندرة الحاصلين عليه.

ثم ينتقل أنطاكي للحديث عن القناصل، موضحا أن الدول الغربية الكبرى والعديد من الدول الشرقية المستقلة لها قناصل في الموانئ الهندية المهمة، بالإضافة إلى قنصل جنرال في نيودلهي، مما يظهر أهمية الهند كمركز دبلوماسي وتجاري كما يظهر التفاعل بين الثقافة الهندية وتأثير القوى الاستعمارية الغربية. وأما ما يتعلق بالمواصلات في الهند فيسلط أنطاكي الضوء على شبكة السكك الحديدية الواسعة التي تربط مختلف أنحاء الهند، مما يدل على تقدم البنية التحتية في الإمبراطورية

[11] الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، مطبعة فاضل للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1933ء، ص 29

ويوضح أن معظم الخطوط الحديدية تابعة لحكومة الهند، بينما يمتلك البعض شركات إنجليزية. كما يبرز أن الأجور معتدلة وأرخص من نظيراتها في مصر وفلسطين، ويصف الدرجتين الأولى والثانية بالنظافة والراحة، مما يظهر مستوى الخدمة. وبالمقابل، يصف المدرجات المتوسطة والثالثة بالقذارة والزحام الشديد، مظهرا الفوارق الاجتماعية الكبيرة في نظام النقل. يتحدث الكاتب عن وسائل النقل الحديثة في المدن الكبيرة، مثل السيارات والترام الكهربائي، التي تعكس التقدم التكنولوجي، بينما تشير العربات التقليدية في المدن الصغيرة إلى التراث الثقافي الهندي.

وأما ما رأى ولاحظ أنطاكي من عادات الهنود خلال إقامته في الهند وزيارته إياها فيلقي الضوء عليه مبينا أوجه التشابه بين عادات الهنود وثقافات المصريين والعرب والسوريين ويشير إلى أن هذه الشعوب تشترك في اللباس والأخلاق وطرق تناول الطعام. يظهر هذا التصوير الثقافي تواصلا حضاريا غنيا، حيث يعكس حالة من الانتماء المشترك بين الشعوب الشرقية. يستخدم أنطاكي أسلوبا أدبيا متقنا، حيث يجمع بين الوصف الدقيق والتحليل الثقافي، مما يجعل القارئ يشعر بعمق التجربة الثقافية التي عاشها. تعبيره عن أن عادات الهنود تشبه "أبناء وطن واحد" يبرز وحدة الإنسانية في تنوعها، ويعكس فهما عميقا للعلاقات الاجتماعية والثقافية.

كما يستعرض الكاتب جوانب من الثقافة الهندية من خلال الإيمان بالخرافات والسحر ويشير إلى أن الهنود يثقون في الدجالين ويطلبون منهم الكشف عن الغيب، ما يدل على رغبتهم العميقة في معرفة المستقبل والبحث عن الأمل. يظهر استعراضه هذا أنه كيف يعكس هذا السلوك انفتاحهم على الروحانيات والاعتقاد في القوى الخارقة، فيقول معبرا عن ملاحظاته:

"وهم يؤمنون بالسحر وحسن الطالع والادعاء بمعرفة الغيب

ويقصدون الدجالين ليكشفوا لهم عن المستقبل بالورق أو بالكف وغيرها من وسائل الدجل ويصدقون كل ما يقال لهم عن حسن نية وسلامة طوية ويعتقدون أن الدعوات الصالحات من رجال الدين والأولياء الصالحين تجلب لهم خيرا عظيما وحظا وفيرا ويجزلون العطاء لكل من تظاهر بالتقوى والصلاح وادعى القربى من الله جلت قدرته"[12].

كما يوضح أنطاكي كيف أن الحكومات الهندية البريطانية والإمارات الهندية المستقلة تراقب الأجانب مراقبة دقيقة وتتعقب الجواسيس تنقلات الأجانب بمهارة، بحيث لا يشعرون أنهم تحت المراقبة. يثني الكاتبعلى كفاءة البوليس السري في جمع المعلومات حول السائحين دون إزعاجهم، حيث يطلع البوليس على أحوالهم ويأخذ صورهم دون أن يشعروا بذلك. يعتبر أنطاكي هذه الميزة دليلا على نشاط وذكاء البوليس الهندي وحرصهم في الحفاظ على الأمن، فيشدد على ضرورة توثيق هذا الأمر في كتابه.

وقد نقل الكاتب مقتطفات من آراء وأقوال بعض الأمراء والزعماء في الهند التي تزيد الكتاب قيمة وزينة. ومن هؤلاء الأمراء والزعماء مهراجا باتيالا ونظام حيدرآباد الدكن ونواب بهاولفور ونواب بالمفور وشاعر الهند السر محمد إقبال وشوكت علي وفيلسوف الهند رابندارنات تاغور ورئيس وزارة بهاولفور وغيرهم. فيعبر أنطاكي عن إعجابه بعدد كبير من هؤلاء الأمراء والزعماء الذين لقيهم خلال تجوله في أنحاء البلاد والذين يتمتعون بالتنوير والتعليم ويشير إلى أن هؤلاء القادة من المسلمين والهندوكيين قد حصلوا على قسط وافر من المدنية الحديثة مما يجعلهم محط فخر ومباهاة.يشيد أنطاكي حسن أخلاقهم وجهودهم في خدمة بلادهم بثقافتهم ودهائهم مما يشير إلى تحول في المجتمع الهندي نحو التقدم والازدهار.

[12] الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، مطبعة فاضل للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1933ء، ص 36

ثم ينتقل إلى تصوير الفقر المدقع الذي يعاني منه 80% من السكان، حيث يظهر أن متوسط نفقة الفرد لا يتجاوز ثلاثة جنيهات ونصف في العام. كما يتطرق إلى انتشار الأمراض والأوبئة، مثل الملاريا والكوليرا، التي تفتك بالسكان رغم احتياطات الحكومة. ثم يشير إلى أن متوسط عمر الهندي يبلغ ثلاثين سنة، مع زيادة ثابتة في عدد السكان، مما يعكس تحديات كبيرة تواجه المجتمع الهندي. كذلك يسلط أنطاكي الضوء على مستويات التعليم والجهل في الهند، مشيرا إلى أن نسبة المتعلمين من الرجال لا تتجاوز 8%، بينما تصل نسبة الجهل بين النساء إلى 98%. يبرز ذلك الواقع المؤلم الذي تعيشه النساء اللواتي يعتبرن فريسة للخرافات ولأعمال السوء بسبب قلة التعليم.

كما يتناول أنطاكي قضية الأرامل الهندوكيات، مشيرا إلى ممارستهن للتضحية بأنفسهن على قبور أزواجهن، وهو تقليد يعتبر غير قانوني من قبل الحكومة،كما هو جانب مأساوي من الثقافة الهندية ويعكس تأثير العادات والتقاليد على حياة الأفراد، مما يعبر عن تداخل الدين والمجتمع في تشكيل السلوكيات. يصور الأسلوب الذي اختاره أنطاكي هنا عمق المعاناة ويستحضر شعور الأسف والقلق إزاء تلك العادات، مما يبرز التحديات التي تواجهها المجتمعات الهندية.

يستعرض الرحال المعلومات المتعلقة بالجامعات والكليات الإسلامية في الهند، ويشير إلى أهمية كلية ديوبند كأكبر مؤسسة لتدريس اللغة العربية ويتحدث عن أنه كيف تعد هذه الكليات منارة للعلم والثقافة الإسلامية في وسط الهند، مع ذكر أسماء مؤسسات تعليمية مرموقة مثل كلية كلكوتا (كولكاتا حاليا) والكلية العثمانية في حيدر آباد .يتجلى تأثير الثقافة العربية في الهند، حيث تطبع معظم الكتب العربية في مصر مما يعكس تفاعل الثقافات وتبادل المعرفة. الأسلوب الذي استخدمه أنطاكي

ينقل إحساس الفخر بالتعليم الإسلامي، مما يبرز الجهود المبذولة في تعزيز الهوية الثقافية والدينية بين المسلمين في الهند. يتحدث أنطاكي عن مشروع بناء جامعة كبيرة في حيدر آباد الدكن، ويشير إلى أن تكاليفها تقدر بمليون جنيه إنجليزي. يتضح من خلال حديثه أن هذه الجامعة تمثل خطوة هامة نحو تعزيز التعليم العالي والثقافة الإسلامية في الهند، مما يعكس الجهود المبذولة للنهوض بمستوى التعليم.

كما يستعرض أنطاكي التنوع اللغوي في الهند، موضحا وجود لغات مختلفة ولهجات كثيرة، مما يعكس غنى الثقافة الهندية وتعددها، فيقدم معلومات عن اللغات الرئيسية مثل الأردية والهندية والجوجراتية، مشيرا إلى أهمية هذه اللغات في حياة الناس اليومية والتواصل الثقافي. يتطرق أيضا إلى أن اللغة الإنجليزية تستخدم كلغة رسمية في الدوائر الحكومية، مما يدل على تأثير الاستعمار البريطاني واستمرار تأثيره في الحياة الاجتماعية والاقتصادية. ويشير أنطاكي إلى انتشار اللغة العربية بين المسلمين الهنود، معتبرا إياها لغة القرآن، مما يعكس ارتباط الهوية الدينية والثقافية.

يبرز الرحال ثراء الهند في المجوهرات، ويشير إلى أنها من أغنى البلدان في هذا المجال ويصف رؤيته للثروات الهائلة التي تعود لمئات الملايين من الجنيهات، مما يبرز الثراء الثقافي والتاريخي للهند. تشير الإشارة إلى المجوهرات كموروثات عائلية إلى أهمية العادات والتقاليد في الحفاظ على التراث. كما يلقي الضوء على استخدامها في الحفلات الرسمية، مما يعكس الاحتفاء بالفخامة والكرامة.

يعبر أنطاكي عن إعجابه بالنكات الهندية، مشيرا إلى الطابع الفكاهي الذي يميزها ويبرز تشابه هذه النكات مع النكات المصرية، مما يدل على التقارب الثقافي والإنساني بين الشعوب. تصويره للنكات كجزء من

المجالس والمنتديات يعكس أهمية التفاعل الاجتماعي والترابط بين الأفراد، فهو يقول: "وقد أعجبت كثيرا بالنكات الهندية المستملحة التي تتداولها ألسنة إخواننا الهنود في مجالسهم ومنتدياتهم وهي كثيرة الشبه بالنكات المصرية الظريفة التي يرويها أبناء البلد وشباننا الظرفاء في المقاهي والمجالس والمجتمعات"[13]. الاقتباس المذكور أعلاه يظهر أنه كيف يمكن للفكاهة أن تكون جسرا للتواصل والتفاهم بين الثقافات كما تصورهذه الفقرة روح الثقافة الهندية من خلال تراثها الفكاهي الذي يجمع بين الألفة والفرح.

فملخص القول إن فتح الله أنطاكي هو رحالة وصاحب جريدة العمران في مصر، يروي في كتابه تجربته خلال زيارته للإمارات الهندية الكبيرة عام 1932م. خلال رحلته، تجول في معظم الولايات الهندية واستكشف أحوال البلاد وآثارها، مسجلا انطباعاته عن هذه التجربة الفريدة. فيصف الهند ويتناول الحياة العامة فيها بما في ذلك الجوانب الدينية والسياسية والأدبية. كما يسلط الضوء على الحياة الاجتماعية ويتطرق بشكل خاص إلى أوضاع المسلمين في الهند.

المراجع والمصادر:

1. القرآن الكريم.
2. أدب الرحلات، د. حسين محمد فهيم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978ء.
3. أدب الرحلة عند العرب، الدكتور حسني محمود حسين، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1983ء.
4. أدب الرحلة في التراث العربي، فؤاد قنديل، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية والطبعة الأولى, 2002ء.
5. أدب الرحلة في المغرب العربي، جميلة روباش، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015ء.
6. تجارب في الأدب والرحلة، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983ء.
7. الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. ناصر عبد الرازق الموافي، دار

[13] الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، مطبعة فاضل للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1933ء، ص 77

النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، الطبعة الأولى، 1995ء.
8. الرحلة في الأدب العربي، شعيب حليفي، شركة الأمل للطباعة والنشر، 2002ء.
9. مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع، محمد شريف سليم، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1919ء.
10. مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، سيد حامد النساج، مكتبة غريب، القاهرة، سنة الطباعة غير مذكورة.
11. الهند كما رأيتها، فتح الله أنطاكي، مطبعة فاضل للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1933ء.
12. India as Described by the Arab Travellers, R. Ashok K. Srivastav, Sahitya Sansar Prakashan, Gorakhpur, 1980.

***

الدكتور محمد أعظم الندوي *

محمد بن ناصر العبودي ورحلاته إلى الهند: الوعي الثقافي والتصوير الفني

نبذة عن المؤلف:

ولد الشيخ محمد بن ناصر العبودي عام 1926 في مدينة بريدة حاضرة القصيم وسط الجزيرة العربية، وهو من أسرة آل سالم المعروفة بهذه المدينة، وكان كل من ينتمي إليهم يعرف بالعبود، والياء أضيفت في عهد جده عبد الرحمن، فصار العبود عبودياً، تلقى دراسته في الكتاتيب والمدارس المحلية ببريدة بين يدي المشايخ، ونظام الكتاتيب هو الذي كان سائداً للتعليم قبل إقرار التعليم النظامي في السعودية قبل عشرات العقود، ولم يتخرّج في إحدى جامعات متخصصة وعريقة، منذ نعومة أظفاره اتسم بشغفه بالشعر والأدب، وقد استعار كتاب "جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب" للسيد أحمد الهاشمي من أحد معلميه، وحاول تقليد لغته في كتيب صغير ألّفه، بفضل تفوقه الدراسي، تم تعيينه معلماً في مدرسة الفيصلية النظامية في الثامنة عشرة من عمره، حيث عمل لمدة خمس سنوات قبل أن يتولى منصب مدير المدرسة المنصورية لمدة أربع سنوات، ثم مديراً للمعهد العلمي في بريدة، بعد ذلك، انتقل للعمل في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حيث تولى منصب الأمين العام للجامعة لمدة ثلاث عشرة سنة، قبل أن يصبح الأمين العام المساعد لرابطة العالم

* أستاذ الحديث والفقه الإسلامي بالمعهد العالي الإسلامي حيدرآباد.

الإسلامي.

تجوّل الشيخ في رحلات دعوية وثقافية حول العالم بوصفه الأمين العام المساعد للرابطة وممثلاً لها، بدءًا من إفريقيا، حيث وصف تجربته حول الرحلة في باكورة تأليفه "إفريقيا الخضراء"، وسجّل الراحل في هذا الكتاب حال القارة السمراء، وعرف بمسلميها ومسؤوليها، يجمع بين الجانب الشخصي والمعرفي في جولة استكشافية، ثم عكف الشيخ العبودي على تدوين رحلاته عن كل رحلة من رحلاته الهادفة الممتعة في أكثر من 150 كتاباً، وقد لقب لكثرة رحلاته بابن بطوطة القرن العشرين، وعميد الرحّالين العرب، إن رحلات الشيخ العبودي بوصفه عالماً ربانياً مهتماً بتاريخ الإسلام، وقضايا المسلمين والماجريات حولهم، كانت هادفة، من أهدافها الاطلاع على الخرائط والمواقع لمختلف البلدان والأقطار، وأوضاع المسلمين فيها من حيث الأغلبية والأقلية، ومن نواح دينية وثقافية وتعليمية ودبلوماسية، فلم تكن بغيته من رحلاته زيارة أماكن سياحية فقط لمجرد قضاء أوقات الفراغ سدىً مهملاً كدأب كثير من الأثرياء في هذا الزمان، المولعين بظواهر الأشياء دون بواطنها، وقشورها دون ألُبّها، كان الشيخ من المحافظين على كتابة يومياته، في أي أرض يزورها، مما يتيح للقارئ رؤية تفاصيل دقيقة في ملاحظاته التي تبرز تميزه في استيعاب المعرفة وقوة الذاكرة، توفي الشيخ رحمه الله عام 2022 بعد حياة حافلة بالعطاء في معنى الكلمة على مدى قرن من الزمن.

تعريف وجيز بكتبه حول الرحلات إلى الهند:

إن الشيخ العبودي كان صاحب الجواز الدبلوماسي، لم يسافر إلى الهند مرة أو مرتين، وإنما كانت رحلاته إلى وطننا متتابعة تترى، ولم يكن يقصد مكاناً محدداً، حيث دعي إليه لحضور مؤتمر منعقد فيه، أو ملتقى خاص نظمته جهة معينة من منطقة خاصة، فكان يقيم بعد الفراغ من

تلك المهمة الخاصة ليزور أماكن أخرى، ربما لم يخطط لها مسبقاً، ولذلك نرى أن كتاباته حول الرحلات مبعثرة، تجمعها وحدة المكان وتفرق بينها المراحل الزمنية، فإنه أخذ بناحية المكان، ولم يكترث بناحية الزمان، فنجد رحلاته إلى دهلي مثلاً كثيرة ومتشعبة، قام بها في مختلف السنين، ولكنه حاول أن يتحدث عنه في كتاب واحد، ولذلك نجدأسماء كتبه هكذا:

1-في أقصى شرق الهند: زارها سنة 1997.

2- نظرات في شمال الهند: وقد ذكر فيه وقائع رحلات مختلفة من سنوات عدة: 1977، 1997، 1975، 1979، وهكذا.

وأما قائمة كتبه في رحلاته إلى الهند فعلى النحو التالي:

1- سياحة في كشمير (وحديث عن ماضي المسلمين وحاضرهم) ، رابطة العالم الإسلامي، الطبعة الأولى 1991:، هذا الكتاب يوضح أحوال المسلمين في جامو وكشمير بالإشارة إلى تاريخ كشمير.

2 - في غرب الهند (مشاهدات وأحاديث في شؤون المسلمين) ، رابطة العالم الإسلامي، طبعة عام 1997، وفيه حديث مفصل عن ولايتي مهاراشترا وكجرات.

3-نظرات في شمال الهند (الجزء الأول)، نشرته فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 2003، وهذا الكتاب لا يستقيم عنوانه بما هو بداخله إلا في جانب منه، إذ أن هذا الكتاب يتحدث بصورة عامة عن تاريخ الهند ودخول الإسلام فيها، وحركة تحرير الهند والتعصب الهندوكي والاضطرابات الطائفية والمذابح، والوضع السياسي للمسلمين، و آثار المسلمين في الهند، كما يتناول موضوعات، لها علاقة خاصة بالهنادك كعبادة البقرة وتناسخ الأرواح ونظام الطبقات، وتتضمن قائمة عدد السكان حسب الولايات وعدد المسلمين فيها،يقول المؤلف :"في مجمله كتاب رحلة وحديث عن أمور ظاهرة حاضرة، ومع ذلك رأيت ألا أخلّيه

من شيء من الدراسات والمسائل التي تستحق البحث من الأمور العامة في الهند التي هي مشتركة بين الولايات الهندية، ولم يجر تخصيصها لبحث في كتاب من كتب الرحلات الهندية الأخرى، إذ صيرت هذا الكتاب بمثابة المقدمةأو الدائرة الشاملة للموضوعات التي تشغل بال الإخوة المسلمين خارج الهند، وقد رتبته على موضوعات، اعتمدت فيها على نقول وأقوال لغيري إلا أنني مزجتها أو برهنت على بعضها بما عندي من معلومات شخصية عن الهند، مما هو مكتسب في الجولات في الولايات الهندية"[1].

4 - نظرات في شمال الهند (الجزء الثاني)، نشرته فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 2003، يتحدث في هذاالكتاب عن دهلي وبتنه ولكناؤ وغيرها.

5- في أقصى شرق الهند ، طبعته فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى، 2011، والمراد بأقصى شرق الهند أقصى الولايات الهندية من جهة الشرق، وهي ولاية مني فور التي تقع في طرف الهند الشرقي الأقصى الغامض.

6- في الشمال الشرقي من الهند (رحلة في ولايتي بيهار وأترا براديش وحديث عن المسلمين) ، طبعته فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى، 2001 ، وقد أكثر فيه من ذكر بتنه ولكناؤ، وبنارس.

7-راجستان بلاد الملوك (زيارة و حديث عن المسلمين) ، الطبعة الأولى، 1997.

8- في جنوب الهند (رحلات في ولايات تامل نادو وكارناتك وآندرا براديش) طبعته فهرسة مكتبة الملك فهدالوطنية،1997.

9- مقال في بلاد البنغال، الطبعة الأولى، 1993، يتحدث في معظم صفحاتها عن دولة بنجلاديش بالإضافة إلى ولاية البنغال الغربي التي تقع في الهند،

[1] نظرات في شمال الهند، ج 1، ص 19.

وعاصمتها كولكاته.

10- في وسط الهند (رحلات وأحاديث عن ماضي المسلمين وحاضرهم) طبعته فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 2007.

11- في شرق الهند.

12-على أعتاب الهملايا، هذا الكتاب خاص لرحلة المؤلف إلى ولاية أسام.

13-الشمال الغربي من الهند.

14-الاعتبار في السفر إلى مليبار وهو مطبوع.

ميزات كتبه الثقافية:

إن أدب الرحلات هو النوع الأدبي الذي يركز على وصف تجارب الرحالين وتنقلاتهم، كذلك كان صاحبنا الشيخ العبودي، فإنه لم يضنّ في وصف دقيق للمواقع التي زارها، والطبيعة البيئية والجغرافيةالتي شاهدها، والمعالم الثقافية والاجتماعية التي تفاعل معها، كما تتضمن رحلاته وصفاً للشعوب الهنديةالمحلية، والمواقف الفريدة التي واجهها، بالإضافة إلى تسليط الضوء على عاداتهم وتقاليدهم، وطعامهم ولباسهم، وأذواقهم وأعيادهم، وأفراحهم وأتراحهم، مما يمنح القارئ العربي نظرة عميقة على حياتهم وثقافتهم، وإنه لم يكتف بزيارة مواضع سياحية خاصة، بل شملت زياراته الأسواق الشعبية، والمساجد والمعابد والجامعات والمعاهد والقرى والأرياف، والأنهار والبحار، والأحواض ودور الأمراض، وكل ذلك مع الحفاظ على الأمانة والدقة، يسجل القصص والتفاصيل في كل مكان زاره، ويهتم برسم الخرائط التي تعكس التضاريس والنقاط المميزة التي اكتشفها، وأهم ميزاته ما يلي:

1-ومن أهم ميزاتها أن المؤلف يتحدث عن أهل الديانات الجيران للمسلمين، وإخوانهم من الوطن في معظم كتاباته، وخاصة في الجزء الأول من كتابه "نظرات في شمال الهند" كما أسلفت، وقد تناول في مقدمة كتاب

"في جنوب الهند رحلات في ولايات تامل نادو وكارناتك وأندرا براديش" عن التنوع الذي يسودالملل والنحل والطوائف من الهندوس، كما يتناول دخول الإسلام وانتشاره في الهند، وقد أشار إلى أن راون يقدّس في جنوب الهند بينما يلعن ويطرد في شمالها، وكذا العكس، وكذا يقرر أن أهل الجنوب من الدراورديين وأهل الشمال من الآريين، وهكذا أثبت أن الهندوس لا يناسب أن يوصفوا بكفار الهند كما وصفهم سلفنا من الكتاب والمؤلفين، وإنما كانوا طرائق قدداً، وكل حزب اسمه ورسمه يختلفان عن الآخر،أما المسلمون فأغلبهم شافعية في الجنوب، وحنفية في الشمال، ودخل الإسلام بفضل التجار السائحين جنوب الهند، ودخل الشمال بالفاتحين"، وأضاف قائلاً: "إن بلاد الهند بلاد واسعة ذات ولايات شاسعة وأقوام متعددة الأصول والنحل، بل هي كثيرة الملل، بعد أن كانت دار إسلام على مدى متطاول من القرون دخل بعض أهلها في الإسلام حباً فيه، لا من باب الغزو والفتح كأهل الجنوب، ودخل أناس في الإسلام في مواطن كان فتحها فتح حروب، ولكنه كان فتحاً للهند، نعمت فيه بالعدل والمساواة، بل لم تعرف المساواة إلا بعد أن خفقت فيها راية الإسلام، بلا إله إلا الله محمد رسول الله "[2].

2- ومن خصائصه أنه يضم خريطة الهند والولايات الخاصة التي يقصدها في بدايات كتبه، كما يدرج الصور التي التقطها بعدسات كاميراته الشخصية.

3-كما أنه يذكر مراحل ومنازل سفره نحو ما ذكر عن دبي وغابرها وحاضرها عندما مرّ بها في سفره من ظهران إلى جنوب الهند، ثم دخل مومباي، فوصفها وصفا دقيقاً[3].

[2] في جنوب الهند، ص 5-6.

[3] في جنوب الهند، ص7.

4- يذكر عن أصل التسمية للمدن ومعانيها، كما ذكر عن مومباي، وقد زارها حينما كان اسمها بومبئ يقول: "إن أصل تسميتها ممبئ بالميم في أوله، حرفها الإنكليز إلى بومبئ، ومعناها ساحل البحر"[4]، وكما ذكر عن كشمير فقال: "لقد ذكر ياقوت كشمير كما ذكرها من سبقه من علماء العرب بلفظ (قشمير) بالقاف بدلاً من الكاف التي يلفظ بها اسمها اليوم.. غير أنني عندما زرت كشمير وجدت أهلها ينطقون باسمها كما يدل عليه رسمها (كشمير) بكاف عربية أصيلة، وذكر عن مني فور فقال: كان موعد المقابلة في الرابعة والربع ذهبنا إليه بعد الانتهاء من صلاة العصر وإلقاء الكلمة في الجامع، فوجدنا قصر الرئاسة ليس فاخراً، ولا يشعر بأنه مقرّ حكومة هذه الولاية التي يدل اسمها على أهميتها الاقتصادية لأن معنى مني فور أرض الجواهر، فمني جواهر أو جوهر"[5].

خصائص كتبه الأدبية:

ونستطيع من خلال تصفح كتبه وسبر أغوارها ما أمكن أن كتاباته حول الرحلات إلى الهند تحمل معطيات أدبية وثقافية جديدة، وميزات تختلف بها عن كتابات أخرى في هذا المجال، ومن أبرزها:

الو اقعية:

وتعني الواقعية صدق المقال الذي يؤيده الواقع من غير مغالاة في البيان ولا تفريط وتنقيص في الوصف، وهذا من ركائز أدب الرحلات، فقد وصف المشاهد كما رآها وشعر بها بوضوح، وعلى سبيل المثال يذكر سحنة الناس وملامحهم، فيقول: "قامت الطائرة الهندية المعتادة من طراز بوينج ٧٣٧ ذات المحركين النفاثين، وأعلنت المضيفة أن السفر سوف يدوم

[4] المرجع السابق

[5] في أقصى شرق الهند، ص29.

ساعة واحدة، وكان قيام الطائرة في العاشرة والثلث، وهي مضيفة بيضاء اللون، ربما كانت من شمال الهند إلا أن وجهها ليس عليه إشراق، ولعل سبب ذلك إقامتها في مواطن حارة من الهند أو بسبب الطعام الهندي الكثير التوابل والدسم، ومعها كانت مضيفتان أخريان إحداهما عليها ملامح المغوليين والصينيين، والأخرى ملامحها هندية معتادة[6].

الذاتية:

كما نرى في كتاباته هذه الذاتية واضحة، وهي أيضاً من خصائص أدب الرحلات، وتعني أن تكون شخصية الكاتب واضحة في النص الأدبي، وذاتية الكاتب تظهر بجلاء واضح في أدبه، ويبدو جلياً أنه الراوي الأصلي لرحلته، الأمر الذي يكوّن بصمة شخصية، والتي تميزه عن كاتب آخر ، فقد أكثر الحديث عن نفسه ونفسيته، وحضوره الجسدي والمعنوي.

القيمة المعرفية والعلمية:

من خصائص رحلاته قيمتها العلمية والمعرفية، ومن هذه الناحية أيضاً تعد كتبه مادة علمية دسمة، ناهيك عن المعلومات الجغرافية والأنساب التي دوّنها الرحالة خلال تجواله بين المدن، يتجلى من كتبه أنه سافر إلى الهند مرات بين الفينة والفينة في الفترة ما بين 1977-1997، وسجل يومياته في كتب يبلغ عددها 14 كتاباً، فقد كتب عن شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ووسطها وكل طرف من أطرافها، تناول فيها التعريف بالهند، والثقافات السائدة فيها، وتاريخ مسلمي الهند، وانتشار الإسلام في ربوعها، ومؤسسات المسلمين التعليمية فيها، ونشاطاتهم الفكرية والأدبية، وأبرز أعلامها وأماكنها والمجتمع الهندي بوصف عام، وأما أهدافه في هذه الرحلات فمن أهمه الاطلاع على أوضاع المسلمين، ومساعدتهم من الرابطة

[6] سياحة في كشمير، ص 39.

مهما أمكن مادياً ومعنوياً، يقول: "والسياحة لمثلي تكون عملاً؛ لأنها تتناول الاطلاع على الأماكن الإسلامية. وتتحدث عن أهلها المسلمين ثم تقتضي متابعة ذلك في الأوراق الرسمية، ومحاولة العمل على مساعدتهم"[7]، ويقول في موضع آخر: "وأن الدافع للزيارة هو حرص رابطة العالم الإسلامي على توثيق الصلات الثقافية مع المؤسسات والجهات الإسلامية في العالم، ومنها المؤسسات الثقافية الموجودة في الهند"[8].

كما ذكر في هذا السياق عجائب الهند وغرائبها، ومن ذلك ما نقله عن بعض العادات الغريبة،يقول: "رأيت امرأة ورجلاً وطفلتهما جالسين على سرير من أسرّة النوم بجانب البيت في الشارع، والمرأة تفلي رأس زوجها أمام الناس أي تأخذ القمل من رأسه وتقتله، وتعاونها الطفلة على ذلك، والرجل والطفلة كلاهما تعلوه صفرة في اللون، وهو نحيل الجسم. وعادة فلي الرأس أي اخراج القمل منه وقتله عادة قديمة نسيناها فيما نسيناه من أمور كثيرة حتى أصبح أكثر أولادنا الآن حتى الكبار منهم لا يعرفونها، وحتى القمل قل وجوده في شعر الرؤوس بسبب النظافة، والأدهان الفاخرة، وإذا وجد عند بعض الناس وهم قلة فإنهم لا يكافحونه بالفلي وتنقية الرأس منه وإنما يعالجونه بأدهنة وأدوية تقتله وتقتل بيضه معه"[9].

وذكر في موضع آخر: "لكن أبحث عما فيه ما يستحق المشاهدة، فكان أول ما رأيناه في حي متوسط المستوى (جراخاً) وهو الذي يحمل المسن أو (الجلخ) على ظهره، ويسنّ الأسلحة الحادة كالسكاكين والمقصات والأمواس ويفعل ذلك، والشرر يتطاير منها ، وقد استرعي انتباهي منظره، مع أنه ليس غريباً في أكثر البلدان ولكنه صار غريبا في بلادنا، لأن كثيرا منا

[7] سياحة في كشمير، ص7.

[8] سياحة في كشمير، ص 29.

[9] في غرب الهند، ص145.

يشترون سكاكين جديدة كلما اخلقَّت القديمة"[10].

تتسم كتابة الشيخ في القديم بالإيجاز، وفي الجديد بالإيضاح والتبسط، يذكر كل التفاصيل حتى اللغات الرسمية والسائدة يذكرها مفصلاً، ربما لا يعرفها كثير من المثقفين الهنود، ولا يكتب كتابة عابرة بل كتابة متأنية دقيقة بعد البحث والتحقيق عن جزئيات الأشياء، يتحدث عن كلمة دروازة عندما زار"دروازة دلهي" في أحمد آباد، فيقول: "والدروازة كلمة انقرضت أو كادت من ألسن بني قومنا، وكانت هي الشائعة المتعارف عليها في اسم البوابة التي هي أكبر من الباب المعتاد فبوابة القصر الكبير وبوابة سور البلدة كنا نسميها في المنطقة الوسطى الدروازة، وهي كلمة فارسية، لهذا المعنى أخذتها الأوردية من الفارسية"[11].

السرد:

السرد أيضاً من مكونات أدب الرحلات، وهو الوعاء الذي يشمل تقديم المعرفة للقارئ، وتغليفها بأسلوب فني متسلسل يسهل عليه مهمة فهمها وربطها ببعضها بعضاً، وقد نجح المؤلف في هذا الجانب أيضاً، فإنه يهتم بالتسلسل المنطقي كثيراً، حيث يقول: "إن هذا الكتاب ليس كتاب بحث علمي ولكنه كتاب مشاهدات وتعليقات على تلك المشاهدات[12] ، وإن هذا يشوق القارئ إلى مزيد من القراءات، ولكن أسلوب الشيخ لا يخلو من الرتابة والجفاف، فإنه لم يحاول كثيراً في إضفاء الطابع الأدبي عليه، ويمكن أن يكون ذلك لعدم تخصصه في مجال الأدب والشعر، وإنه كان من رجال العلوم الشرعية.

[10] في غرب الهند، ص172.

[11] في غرب الهند، ص 139.

[12] سياحة في كشمير، ص14.

الوصف:

أما الوصف فهو من مكونات أدب الرحلات الأساسية، وقد أضاف الشيخ لرحلاته مزيداً من الواقعية والمصداقية في النقل والتصوير، فنرى في كتاباته دقة الملاحظة، ونباهة تمكنه من مشاهدة التفاصيل الصغيرة، وتدوينها من أجل تقديم صورة كاملة للقارئ، فإن من مميزات كتبه أن قارئاً هندياً حصيفاً يتأسف أنه لم تكتب له زيارة هذه الأماكن ولا يعرف عنها شيئاً مع أنه في الهند، والشيخ جاء من فج عميق وجمع المعلومات من هنا وهناك بدقة عالية، ونحن نستفيد منه، فالكتابة تحرك سواكن القلب إلى الرحلة والسفر إلى أرجاء الهند قبل الخروج من ثغور الهند، فيصف كل منظر بأسلوب واقعي، يقول: "وكان مجلس الشيخ السيد أبي الحسن لا يمل بل إنه المجلس الممتع لأنه يضم أطرافاً مفيدة من الحديث، ونكتا شيقة من المسائل العميقة التي يتناولها السيد أبو الحسن بنظرته الواسعة البصيرة إلى الشؤون الإسلامية، كل ذلك بروح مرحة وأسلوب بعيد عن التعقيد، فهو من العلماء الظرفاء، والعلماء الظرفاء في الهند ليسوا بالكثير، فقد يجد المرء من المشايخ الزهاد والعباد والمحدثين والمحسنين والفقهاء في أهل الهند العدد الكثير، ولكنه لا يجد العدد الكثير من الظرفاء واللطفاء في الحديث، ولو حاول ذلك "[13]

وهناك منظر آخر، يقول: "فوقعت في زحام شديد عنده وطلبت كوبا من الشاي، وبعد قليل وضع الذي يصنع الشاي كوباً لا أدري لمن هو وادركت أحد الواقفين عليه عطسة ثرة تبعتها أخرى وقد أطلق عطستيه دون حاجز من منديل أو نحوه ولم ينكر عليه أحد من الواقفين، وعجبت من ذلك ولكن عجبي بل نفوري زاد عند ما أخذ العامل ذلك الكوب الذي عطس عليه الرجل وقدمه إلي. فأسرعت بالإنصراف عن المقصف وأنا أقول

[13] نظرات في شمال الهند، ج 1.

: لا أريد الشأي"[14]

أضف إلى ذلك مثالين في الوصف: "رأينا عدداً من الأنابيب الكبيرة بجانب الطريق الممتد تبين فيما بعد أنها لمياه الشرب، وهي واسعة أوسع بكثير من الأنابيب القديمة، وهي من الأسمنت، ورأيناهم قد دفنوا بعضها، إلا أن الغريب أن الملقى في الطريق منها قد سكن فيه طوائف من الناس الذين هم مثل سكنة الشوارع، وربما كان السبب في سكناهم داخل هذه الأنابيب التي رأينا بعضهم نائماً داخلها حتى الآن هو عدم وجود أماكن خالية من الأماكن التي يستطيعون أن يسكنوا على حواشيها، فهم في هذه الأنابيب رجال الأنابيب ونساء الأنابيب وقد يصدق على أطفالهم الذين يأتون نتيجة لقاء أهلهم في هذه الأنابيب الوصف حقاً بأنهم أطفال الأنابيب، وليس أطفال الأنابيب التي تحتضن الحيوان المنوي وبويضة الأنثى خارج الرحم[15]

"هذا وقد شاركت طوائف من الكلاب الضالة الغربان في التبكير إلى شوارع بومبيء، حتى رأينا سائق سيارة أمامنا يدهس كلباً منها، فكان صراخ الكلب المسكين موجعاً محزناً، وقد تجاوزه السائق وكأنه لم يفعل شيئاً، كما أننا مررنا بالقرب منه في الشارع ولم نستطع أن نفعل له شيئاً والظاهر أنه سوف يموت"[16]

بعض المؤاخذات عليه:

1-كتب في كثير من المواضع في الجزء الثاني من كتابه "نظرات في شمال الهند" ولاية إترا براديش، والصحيح أترا براديش، فلا تتغير الحركة في الأعلام، و"أتر" يعني باللغة الهندية "الشمال"، وقد ترجم المؤلف

[14] في غرب الهند ، ص 139.

[15] في غرب الهند، ص67.

[16] في غرب الهند، ص 66.

نفسه"الولاية الشمالية[17] ، وإن كان مصيباً في بيان هذه الاسم في غيره من الكتب.

2-كتب "بد خانه" كترجمة لبيت الأصنام، وهو خطأ، والصحيح "بت خانه"[18].

الجمع بين أجناس أدبية منوعة:

من خصائص كتاباته في الرحلة إلى الهند أنه أتى بإبداع بمنزلة أدب جامع لفنون أدبية منوعة، فقد تنوعت فيه أساليب الكاتب بين السرد والنثر والقصة والحوار والحكاية، بما يخدم توصيفه الدقيق للرحلة التي قام بها، وإنه لم يكثر الاستفادة من التراث إلا من "الهند في العهد الإسلامي" للعلامة عبد الحي الحسني وبعض المجلات مثل صحيفة الرائد الصادرة من ندوة العلماء، وغيرها، وإنما جلّ اعتماده على ما شاهده بأم عينيه، وما أخبره بعض رفاقه، فكتبه في الحقيقة مذكراته اليومية التي سجلها يومياً، ولكننا نستطيع أن نضعها بمثابة كتب التاريخ والجغرافيا والسيرة الذاتية والغيرية، وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا ودليل سياحي، وأدب ونقد، وعلى كل فلا أعتقد أن أحداً من الرحالين العرب يدانيه في كثرة الترحال والتطواف في الهند، والكتابة حولها، وبذلك تكوّن لديه وعي ثقافي للهند ما يفوق الكثير من أهل الهند ولكن جانب التصوير الفني والأدبي الإبداعي الرائع ينقصه في كثير من الأحيان، وإن كان ذلك لم يؤثر على أداء المعنى وبيان المقصود، ولها قيمة أدبية في سهولة التركيب، وجزالة الكلمات.

***

[17] نظرات في شمال الهند، ج 5.

[18] نظرات في شمال الهند، ج 19.

د.عبد الحكيم*

الصورة الثقافية والحضارية لجنوب الهند كما تتجلى في رحلات الشيخ محمد بن ناصر العبودي

المدخل إلى الموضوع

إن أدب الرحلة نوع خاص من أنواع الأدب الذي يقوم الكاتب فيه بتصوير أهم ما يجري له من أحداث، وما يشاهده من وقائع، وما يصادفه من أمور شتى في أثناء رحلته يقوم بها بصورة عامة خارج مسقط رأسه عبر العالم، ونرى في هذا الضمن العديد من الرحالين العرب الذين قاموا برحلات سياحية إلى بلادنا الهند، وكتبوا عن مشاهداتهم الحية وتجاربهم الحلوة والمرة عن الهند وثقافاتها وحضاراتها وطقوسها وتقاليدها ودياناتها ومعتقداتها في انتاجاتهم العلمية والأدبية والتاريخية بأسلوب رائع. ومن أبرزهم ابن بطوطة، وابن جبير، والشريف، الإدريسي، والبيروني وغيرهم الكثير. ومن أبرزهم في عصرنا الحاضر الرحالة السعودي الشيخ محمد بن ناصر العبودي،الذي قام برحلات عديدة إلى بلادنا الهند،وتنقل وتجول في أنحاء الهند شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالاً، واطلع على الثقافات والحضارات والديانات الهندية المتواجدة في ذلك الحين. وشاهد جميع نواحي الحياة من التعامل والأخلاق والسلوكيات والتعايش السلمي والنزاعات الدينية. ورأى مكانة النساء المسلمات والهندوسيات والتقاليد الهندوسية ودياناتها ومعتقداتها القديمة المروجة في مجتمع جنوب الهند خاصة، وقام بمعالجة أحوال المسلمين والتقاليد الدينية والنظم الإسلامية وحالة الدين الإسلامي

* الباحث والمترجم الحر المقيم في نيو دلهي

والاضطرابات الطائفية ونتائجها والتعصب الهندوسي ضد المسلمين والبيئات الهندية في كافة البلاد بصورة عامة وفي جنوب الهند مثل: أندهرابراديش وكرناتكا وتاميل نادو بصورة خاصة، وكذلك أنه عالج القضايا السياسية والتعليمية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية المهنية الموجودة فيها، وأنه لم يكتف على مطالعة الحياة الإنسانية والأخلاقيات والسلوكيات وغيرها بل حاول أن تطلع على النشاطات التعليمية والتربوية والآثار التاريخية والإسلامية من المباني القديمة والمعابد التاريخية والمؤسسات الدينية والعلمية، وقام بتتبعها إلى حد ممكن، وأعرب عن آرائه وأفكاره عن جميع الأشياء في المؤلفات المتعددة عقب رحلة بعد رحلة، ويبلغ عدد رحلاته الهندية إلى سبعة عشر تأليفًاحسب معلوماتي القصيرة. لكن لا نستطيع أن نقوم بالتركيز على جميع رحلاته التي قام بها إلى الهند بل نريد أن نتناول فقط رحلاته الخاصة التي قام بها إلى جنوب الهند، كما نريد أن نسلط الضوء على ثقافات جنوب الهند وحضاراتها القديمة والحديثة في ضوء كتابه "في جنوب الهند: رحلات في ولايات تامل نادو وكارناتك وأندهرابراديش". قبل الخوض في صلب الموضوع لا بد لنا أن نعرف تعريف الرحلات العربي لغة واصطلاحًا.

نبذة عن حياة الرحالة السعودي الشيخ محمد بن ناصر العبودي

الشيخ محمد بن ناصر العبودي فهو أديب ومؤلف وداعي ورحال سعودي في القرن الحديث، ولدفي مدينة بريدة في 30 ربيع الآخر 1345هـ المصادف عام 1926م، وينتمى إلى أسرة آل سالم المشهورة في مدينة بريدة، وهي أسرة عريقة قديمة يناهز عمرها في المنطقة منذ أربع مئة سنة، وتلقى تعاليمه الأولى الابتدائية فيها على العديد من العلماء الأفذاذ ومن أبرزهم الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، والشيخ عمر بن محمد سليم، والشيخ صالح بن عبد الرحمن السكيتي وغيرهم الكثير، عمل مدرسًا ومديرًا للمعهد

العلمي الثقافي في بريدة، ثم أصبح الأمين العام للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لثلاثة عشر عامًا، وفي وقت لاحق أصبح وكيلاً للجامعة نفسها ثم مديرًا لها، ثم شغل منصب الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، أتاح له عمله في الرابطة زيارة معظم أصقاع العالم، صنف وعاش الشيخ العبودي حوالي 95 عامًا، ألف خلالها ما يزيد على ثلاث مئة كتاب حوال العناوين المختلفة، وسافر إلى أكثر من مئة وستين دولة تقريبًا، وألف مشاهداته وانطباعاته في أكثر من مائة وستين كتابًا في أدب الرحلات العربي، وألف في مجال اللغة العربية والأدب العديد من من الكتب، ومنحت حكومة المملكة العربية السعودية ميدالية الاستحقاق في أدب الرحلات العربي عام 1974م، وأعلن أمير منطقة الرياض الرئيس الفخري بتكريم الشيخ العبودي ولقبه بـ" عميد الرحاليين العرب في العصر الحاضر". وتوفي في شهر يوليو عام 2022م، تغمده الله بواسع رحمته وأدخله في فسيح جناته النعيم العليين.

من المعلوم لدى الجميع أن حكومة الملك فهد والسفارة السعودية لقد قررتا ذات مرة بإرسال وفد إلى بلدان غير عربية لكي تطلع المملكة العربية السعودية على أحوال المسلمين الاجتماعية والثقافية والحضاريةوالدينية والتاريخية فيها، فعلى رأس هذا الوفد، قام الرحالة الكبير السعودي الأستاذ محمد بن ناصر العبودي برحلاته المتكررة إلى معظم أنحاء العالم شرقًا وغربًا، وقام بمساهمة كبيرة في فن أدب الرحلات العربي بفضل كتبه المرموقة وبحوثه العلمية التاريخية، وترك لنا ثروة طائلة علمية في تراثنا الأدب العربي الحديث، وبلغ عدد كتبه أكثر من 300 كتابًا في العديد من الموضوعات المختلفة بين المخطوطات والمطبوعات العربية.كما ألف وصنف أكثر 160 كتابًا حول أدب الرحلات العربي،يغلب على رحلات الشيخ العبودي الأسلوب التقريري الجاف بالرغم من قدراته

اللغوية على التصوير والإبداع في وصف المشاهد والمظاهر، وامتلاكه الذوق الأدبي الرفيع لأنها تصطبغ بصبغة دينية إذ كان الهدف وراء تلك الرحلات استكشاف حال المسلمين في أقطار الأرض والمعرفة على واقعهم واحتياجاتهم الضرورية. ولا شك فيه أنه بذل جهدًا عظيمًا في تلك الرحلات العلمية والأدبية والسياحية، وكان يسعى للوصول إلى الأقليات المسلمة المضطهدة المظلمة في كافة أنحاء العالم، والتركيز على أوضاعهم المؤلمة الفاجعة، والتعبير عن مشاكلهم ومصائبهم وتعصبات الحكومة لهم في ولاياتهم المختلفة.

رحلاته السياحية إلى جنوب الهند

قام الرحالة الكبير السعودي الأستاذ محمد بن ناصر العبودي بأسفار عديدة إلى أنحاء العالم كله، وقام بزيارة الكثير من دول العالم شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا، ومن هذه الأقطار الدول الواسعة والمترامية الأرجاء بلادنا الهند التي زارها الشيخ العبودي عدة مرات، وسافر من جانب إلى جانب آخر، ومن ناحية إلى ناحية أخرى، ومن قاصية الأماكن إلى أدناها، والتقى من خلال سفره الميمون بالعديد من الناس والجماهير العامة، وتحدث مع الناس عن الحياة الهندية العامة التي يعيشها مواطنوها في القرى والمدن البعيدة، وشارك معهم تبادل الأفكار والأخيلة والمشاعر ووجهات النظر عن الشعب الهندي والحياة الهندية العادية وطراز حياتهم وطريقة معايشهم وعادات وتقاليد الملابس والمآكل والشراب، وعرف العادات الخلقية والتقاليد الدينية والنظم الإسلامية وحالة الدين الإسلامية والمسلمين في هذه البلاد العريقة القديمة، وقد اطلع على الديانات والحضارات المختلفة والثقافة الهندية والمؤسسات والدوائر الدينية والجمعيات الإسلامية وغير الإسلامية والمعاهد التعليمية القديمة والمجامع والمعابد المختلفة الموجودة في البلاد، وأنه قد وقف على نظم الحكومة الهندية والحالة السياسية

والاجتماعية والدينية والثقافية والتربوية والحالة المعيشة للمسلمين في الهند والحالة الاقتصادية العامة للبلاد. والجدير بالذكر أن الشيخ العبودي كتب كتابًا مستقلاً أينما رحل وتجول داخل وخارج الهند.

جاء الشيخ محمد ناصر العبودي إلى بلادنا الهند عام 1977، وتوجه من بومبائي إلى مطار مدينة مدراس بطائرة الخطوط الهندية المسماة (ايرباص) أو الحافلة الجوية ثم توجه إلى بلدة عمرآباد برفقة سفير المملكة العربية السعودية الشيخ صالح الصقير والدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والشيخ عبد العزيز الفالح عميد كلية اللغة العربية بالرياض، وقد شارك في المهرجان الإسلامي العالمي حيث شارك عدد كبير من العلماء العرب. ولكن الذي يهمني الآن هو التحدث عن أفكار ووجهات الرحالة الكبير السعودي الشيخ العبودي عن جنوب الهند وحضارتها وثقافتها يقول في مستهل الكتاب (في جنوب الهند) " قد يسر الله لي أن زرت كل الولايات الهندية على وجه التقريب وهذه الأوراق التي ستراها في هذا الكتاب هي عن جزء جنوبي من أرض الهند، يتميز عن شمال الهند بميزات، ويبتعد عنه بصفات، لعل أعظمها أثرًا أثر اختلافهما في اللغات، فضلاً عن تباين المعتقدات حتى داخل ما أسماه الإنكليز والأوروبيون بالنحلة الهندوكية، التي هي في حقيقها مذاهب شتى لا يمكن وصفها إلا بما وصفها بها أسلافنا من العلماء المسلمين من أهل الهند ومن غيرهم من الطارئين وهي أنهم كفار الهند، لأن مذاهبهم متباينة، بل إن آلهتهم الهندوكية متشاكسة متخاصمة فهذا- سبيل المثال- (راون) المعبود في الجنوب معتبر في الوسط والشمال شيطانًا من الشياطين، وذلك (رام) كبير آلهة الشماليين والمتوسطيين وهو رجل اتخذ صفة الإلة عند أولئك القوم الضالين، ولكنه عند أهل الجنوب غير محبوب"[1].

[1] المرجع نفسه، ص: 06

زار الشيخ العبودي كثيرًا من المباني التاريخية والآثار القديمة والمعالم الإسلامية في ولاية تاميل نادو، وكرناتكا وآندهرابراديش، نود أن نذكر بعض آرائه عما شاهد ورأى من خلال رحلاته السياحية إلى جنوب الهند.

أنواع الأطعمة والأشربة والأشجار

لا شك فيه أن الهند مشهورة ومعروفة في العالم كله من أجل أنواع الطعام والشراب فيها، يتوجه إليها الكثير من الناس من كافة أنحاء العالم لزيارة ومشاهدة الآثار التاريخية الموجودة الآن في الهند،ويوجد فيها كل نوع من الأطعمة والأشربة والخضروات والنباتات، وهذا الشيء الوحيد الذي يجذب أنظار السياح والرحالين العرب والغرب، يصف الشيخ العبودي بعد ما أكل نوعًا مختلفًا من الأطعمة يقول "تناولنا طعام الإفطار في بيت الشيخ عبد الجبار عبد السلام وهو بيت شرقي جميل كل ما فيه على الطراز المغولي الذي هو الإسلامي الهندي، فوجدناهم قد أعدوا مائدة إفطار كبيرة ضمت مختلف الأطعمة الهندية من السنبوسك الخاصة بالهند ويسمونها المغولية إلى أقراص رقيقة من الأرز إلى أنواع الفاكهة من الأناناس والموز، وأصناف مختلفة من الحلوى، وأخيرًا أشرب من الفاكهة فيها شراب أبيض كاللبن يصنع من ثمار النارجيل... وفي الطريق منها إلى مدينة (آمبور) تظلله وتنتشر حوله أشجار كبيرة وإن لم تكن كثيفة من أظهرها وأبرزها ثلاثة أنواع من الأشجار هي : النارجيل شجر المناطق الاستوائية وما قرب منها، وهو الذي نسب ثمره إلى الهند فقيل جوز الهند، ثم شجرة التمر هندي الذي نسب إلى الهند أيضًا وثمره حامض شديد الحموضة كما هو معروف، ويأكله أهل الهند بكثرة ولا يكاد يخلو إدام من أدمهم منه، ويستشفون به من عدد من الأمراض، ولم أرهم يصنعون منه الأشربة كما يفعل في البلاد العربية، والثالث: شجر المانجو ويسمونه (العمبة) أو الأنبا وهي تسمية له قديمة عندهم، بل هي مسجلة في المعاجم العربية قبل أكثر من ألف سنة وأما

المزروعات الحقلية فأنت ترى الأرز والدخن"[2].

مشاهدة قلعة السلطان تيبو الشهيرة

قلعة السلطان تيبو منسوبة إلى السلطان تيبو، وهي معروفة لدى العامة والخاصة من الناس باسم قلعة بالاكاد، وهي صرح جميل يتم الحفاظ عليه في بالاكاد في كيرالا التي كانت قاعدة عسكرية هامة في الماضي، وقد بناها السلطان حيدر علي في القرن الثامن عشر، وكان حيدر علي حاكمًا على ميسور وبعد ذلك تمت تسميتها باسم السلطان تيبو وهو نجل السلطان حيدر علي، وأن هذه القلعة وجهة سياحية تتمتع بالأهمية البالغة، وقد قام الشيخ المبعودي بزيارة هذه القلعة العريقة، وعبر عن عواطفه وخواطره عما رأى وسمع من الدليل الذي كان يرشده إلى رؤية ما في القلعة، يذكر الشيخ العبودي واصفًا المسجد الكبير الذي بناه السلطان تيبو في ساحة القلعة يقول "أما المسجد فليس بالغ الكبر ولكن منارتيه سامقتان في السماء هندسة عجيبة جمعت بين الهندسة الهندية العربية وبين الهندسة الهندية القديمة أي: ليستا على طراز البناء في شمال الهند يتوجهما تاجان من الصخر الضخم، أما أعمدته فهي كبيرة إذ بلغ عرض الواحد 4 أمتار في متر تركبها عقود عريضة، وقد كتب على المسجد أن السلطان بناء عام 1787م بإشارة من أحدق الفقراء أي: الزهاد، وللقلعة ثلاثة جدران حصينة بين كل جدار وجدار مساحة من الفراغ واسعة يمكن أن تتسع لعدد كبير المدافعين، وقد رأيت عرض الجدار الداخلي منها فإذا به يبلغ أكثر من أربعة أمتار، وهو مكون من حجارة محكمة على وجه الجدار، وقفاه قد مليء ما بينهما الطريق، مع أن أكثره قد لحقه الخراب والدثور بفعل فاعل بلا شك لأنها أقوى من أن تنهار من تلقاء نفسها، وهذه القلعة تدل على ما بلغه الملك

[2] المرجع نفسه، ص: 53- 56

السلطان المسلم المحبوب تيو بن حيدر علي من قوة واقتدار"[3].

رؤية مبنى المدينة المنورة من مدينة حيدرآباد- بجنوب الهند

تعد مدينة حيدرآباد من أهم المدن في جنوب الهند، وهي الآن عاصمة ولاية تيلانغانا الهندية، ويرجع تاريخ التأسيس لهذه المدينة إلى عام 1591م على يد محمد قلي قطب شاه. وإن هذه المدينة يوجد فيها العديد من المباني التاريخية والآثار القديمة التي أقيمتها مدينة حيدرآباد في صدرها بما فيها المبنى الكبير الرحيب التجاري الذي تم بنائه من قبل الحكومة المسلمة في الدولة الآصفة المسلمة وتمت تسميته لـ مبنى المدينة المنورة"، وقد شاهدها الأستاذ الرحالة الكبير السعودي هذا المبنى العريق ثم عبر عما رأى داخل وخارج هذا المبنى القديم، يقول "في قلب مدينة حيدرآباد التجاري المزدحم رأينا مبنى كبيرًا واسعًا في أسفله الحوانيت التجارية الغالية، وفي أعلاه وهو عدة طبقات عدد من المساكن الجديدة اسمه (مبنى المدينة المنورة) وذلك لأن حكومة المسلمين في الدولة الآصفية المسلمة قد بنت هذا المبنى ووقفته على المدينة المنورة بمعنى أن ريعه يذهب إلى المدينة المنورة هدية منها للمدينة يصرف في عدة مصارف في المدينة وكان هذا الأمر جاريًا مرعيًا إلى أن سقطت الدولة الآصفية المسلمة باحتلال الجيوش الهندية لهذه المملكة أو الإمارة ثم أغنى الله المدينة المنورة بما منحنا إياه من أسباب الرزق فتوقف إرسال ربع المبنى هذا"[4].

مشاهدة الأقواس الأربعة من تشارمنار في مدينة حيدرآباد

تشار منار هي منارات أربعة تقع في مدينة حيدرآباد بالهند، تم بناء مسجد تشار منار عام 1591م من قبل محمد قلي قطب شاه السلطان الخامس

[3] المرجع نفسه ، ص: 80

[4] المرجع نفسه، ص: 128

من سلالة قطب شاه في الهند،وهي مظهر من مظاهر الدولة الإسلامية القديمة في الهند الذي تم بناءه كمنارة مسجد مكة المجاور له أو مفخرة من مفاخر مدينة حيدرآباد في ولاية أندهرابراديش في زمن المغول، زار الشيخ العبودي هذه المنارة من خلال زيارته إلى مدينة حيدرآباد، ذكر في كتابه عما رأي وسمع وشاهد بعينيه يقول "يقع تشار منار في وسط صغير تتفرع منه أربعة شوارع على كل شارع منها قوس من الأقواس الأربعة التي تشبه أقواس النصر بحيث أن الذي يكون في الشارع يرى مبنى (تشار منار) من خلال أحد هذه الأقواس من أي اتجاه جاء، وكان الأمر كذلك بالنسبة لنا فوصلنا تشار منار ورأينا الميدان بجانبه ويسمونه (قلزار هوضي) أي: حوض الزهور وقلزار تعني الزهور، وهي ضي هي حوض العربية ولكن حوض الزهور ليس فيه زهور الآن، وذلك لازدحام المنطقة وعجز القائمين على البلدية في صيانة كل ما خلفه الأولون، وتأملت تشار منار الذي يتخذ صفة قوس ضخم مربع تنهض من حواشيه الأربع أربع منارات ووسطه مزولة وهي العلامة التي يعرف بها زوال الشمس عند الظهيرة فيعرف بها دخول وقت الظهر والعصر كذلك، وأعلى هذا المبنى على هيئة مسجد إمعانًا في إظهار طابعه الإسلامي في البناء"[5].

رؤية مسجد مكة الو اقعة بمدينة حيدرآباد

يعد مسجد مكة من أقدم وأكبر المساجد بمدينة حيدرآباد في الهند، ومسجد مكة هو عبارة عن مبنى تراثي يوجد في البلدة القديمة في حيدرآباد وعلى مقربة من عدة معالم تاريخية مثل قصر شوما لله وسوق لاد بازار وجهار منار، وتم بناء هذا المسجد التاريخي من تربة جاءت من مكة المكرمة لذلك أعطي المسجد اسمه مسجد مكة، توجه الشيخ العبودي بعد

[5] المرجع نفسه، 130-131

ماشاهد الآثار القديمة التاريخية من حيدرآباد إلى هذا المسجد الجامع، وقام بزيارته ثم عبر عما رأى وشاهد في هذا المسجد التاريخي القديم فيقول " وجدنا المسجد مغلقًا لأن الوقت ضحى، وليس وقت صلاة وإلا فإنه يفتح للصلوات الخمس وصلاة الجمعة، رغم كون إدارة الأوقاف الحكومية هي التي تشرف عليه على اعتبار أنه من الآثار القديمة التي يجب أن تشرف عليها الحكومة في نظرها وهي تستفيد أيضًا من الرسوم التي يدفعها السائحون لدخوله وذلك لضخامته وحسن بنائه ودقة هندسته، فاكتفيت باستجلاء مظهره بمناراته وقبابه وبواباته العظيمة والتقطت له صورًا من الجانب المرتفع المقابل له، وبناءه بالأحجار الكبيرة المهذبة بحيث تظن إذا رأيتها كذلك أنها لانت بأيدي الخراطين والناقشين حتى صارت كالدائن يكيفونها كيفما أرادوا وهذا هوما رأيته من ظاهره"[6].

ويضيف متحدثًا عن تأسيس هذا المسجد الكبير العظيم، يقول "هذا المسجد العظيم ابتدأ البناء فيه محمد قطب شاه عام 1033هجـ وسماه (بيت العتيق) يشير بذلك إلى تاريخ بنائه بحساب الجمل 1023هجـ ولكنه مات قبل أن يتم البناء، فاعتنى به عبد الله قطب شاه، ثم أبو الحسن تانا شاه، ثم عالم بن شاهجهان الدهلوي، وهو الذي أتمه في عام 1098هـ وسماه (سماه مكة) بدلاً من اسم (البيت العتيق)"[7].

ولا يخفى على أحد منا بأن المباني الجميلةالرائعة البناء والهندسة في هذه المدينة هي مباني إسلامية من حيث المظهر أو الغاية مثل المدارس والمساجد وغيرها التي تشير إلى الحذاقة التعميرية والهندسة القديمة الإسلامية التي خلفها المسلمون في الهند في شكل هذه الآثار التاريخية الغريبة.

[6] المرجع نفسه، ص: 135

[7] المرجع نفسه ص: 135

الخاتمة:

مما لاشك فيه أن رحلات الشيخ محمد ناصر العبودي إلى جنوب الهند تشير إلى توثيق مهم لتاريخ الهند وثقافتها، وفي رحلاته قام الشيخ بدراسة العديد من الجوانب الثقافية والدينية والتاريخية للهند بما في ذلك الفنون والعمارة والأدب والفلسفة، كما استكشف العديد من المواقع الدينية المهمة في الهند مثل المعابد والمواقع الأثرية التاريخية، وسجل ملاحظاته وتحليلاته حولها، كما أثرت رحلاته على فهم العلاقات الثقافية بين الهند والعالم الإسلامي، وكذلك تبادل الفكر والفلسفة بين الثقافتين. بالإضافة إلى ذلك، قدم الشيخ العبودي نقاط نظره حول الجوانب الاجتماعية والسياسية في الهند مما ساهم في فهم أعمق للتحديات والتغيرات التي تواجه البلاد وشعبها. خلاصة رحلات الشيخ العبودي إلى الهند تعكس تفانيه في استكشاف وفهم الثقافات الأخرى، وتركت بصمة مهمة في مجال دراسة التاريخ والثقافة الهندية وتبادل المعرفة بين الثقافات.

***

الدكتور محمد شمس الدين*

وصف الهند في رحلة "حول العالم في 200 يوم" لأنيس منصور: دراسة وصفية تحليلية

ملخص:

هذه المقالة تبحث حول رحلة "حول العالم في 200 يوم" لأنيس منصور، ويعد رحلة أنيس منصور من الرحلات الشهيرة التي عبر فيها عن مشاهداته وانطباعاته، ورأيه في العادات والتقاليد لهذه البلدان، حيث وفق للرحلات العديدة في حياته، منها رحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وإلى دول شرق آسيا كالهند والصين واليابان وسنغافورة وسرى لانكا، ونالت رحلة أنيس منصور مكانة مرموقة في أدب الرحلات، هذه مفخرة له؛ أنه نال جائزة نوبل بالسلام "الدالاي لاما" من يد رئيس التبت، دون أنيس منصور الملاحظات حول بعض الدول خلال هذه الرحلة التي استغرقت مأتي يوم كاملة، وأريد أن ألقي الضوء على ملاحظات الهند فقط في هذا المقال الوجيز، تستغرق ملاحظات أنيس منصور عن الهند حوالي مائة وثماني صفحات، وهي تشتمل على العناوين المختلفة: الإقامة بمدينة ممبئ، ودلهي، ودهرادون ومقابلته مع دالائي لاما، وكيرالا ومقابلته مع نامبودريباد، وأخيرا قدم خلاصة تجاربه ومشاهداته في الهند، ومن الموضوعات الرئيسية التي دارت حولها ملاحظات أنيس منصور: المرأة الهندية، نان وتندوري، البان، البقرة، الدوتي، ضحك الهندي، الرطوبة والرائحة والبعوض، جواهر لال نهرو، دلائي لاما، في ولاية

* محاضر ضيف، قسم اللغة العربية بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، حيدرآباد

كيرالا، نامبودريباد..

نبذة عن المؤلف: أنيس منصور

أنيس محمد منصور(18 أغسطس 1926- 21 أكتوبر 2011 م) كاتب صحفي وفيلسوف وأديب مصري. اشتهر بأسلوبه المميز الذي جمع بين الكتابة الفلسفية والأدبية الحديث، وذاع صيته بأفكاره الفلسفية في إبداعاته الأدبية، كانت بداية أنيس منصور العلمية مع كتاب الله تعالى، حيث حفظ القرآن الكريم في سن صغيرة في مكتب القرية وكان له في ذلك المكتب أحداث عديدة ذكر بعضها في كتابه "عاشوا في حياتي" والتحق في كلية الآداب في جامعة القاهرة برغبته الشخصية، دخل قسم الفلسفة الذي تفوق فيه وحصل على ليسانس آداب عام 1947م، وقام بالتدريس بكلية الآداب جامعة عين شمس من عام 1954م إلى 1963م، وكان له إجادة تامة في اللغات المختلفة: اللغة العربية والإنجليزية والألمانية والإيطالية واللاتينية والفرنسية والروسية،وقام بترجمة كثير من الكتب الأوروبية إلى العربية، وكتب عديدا من الكتب في المجالات المختلفة يبلغ عدده حوالي مأتي كتاب، وكتبه التي تشتمل على أدب الرحلات التي جعلته أحد رواد هذا الأدب منها: "حول العالم في 200 يوم" و "غريب في بلاد غريبة" و "بلاد الله خلق الله" و "أطيب تحياتي من موسكو" و "اليمن ذلك المجهول" و "أيام في الجزائر" و "أعجب الرحلات في التاريخ" و "أنت في اليابان" و "أوراق على شجر" و "لعنة الفراعنة"، عبروأبدع أنيس منصورما شاهد وما لاحظ أثناء رحلاته في أسلوب رائع جذاب. وحاز على كثير من الجوائز الأدبية أبرزها جائزة الدولة التشجيعية في أدب الرحلات عام 1963م.

عن الكتاب: "حول العالم في 200 يوم"

رحلة أنيس منصور تعد من الرحلات الهامة والغنية بما فيها،هذا تأليف

عبارة عن المقالات والملاحظات تمزج المعلومات المبسطة والمعروضة عن الهند والبلدان الأخرى،هذا الكتاب يعتمد أدب الرحلة من أجمل أنواع الآداب تركيزا على تجربة ذاتية حول تجول الهند، هذا الكتاب قد تم طبعه لأول مرة عام 1963م، وذاع صيته في الأوساط الأدبية والصحفية، وقد أعجب الدكتور طه حسين بهذا الكتاب فكتب إنطباعاته حول هذا الكتاب في مقدمة لطبعته الثالثة:

"هذا كتاب ممتع حقا، تقرؤه فلا تنقص متعتك بل تزيد كلما تقدمت في قراءته، ومع أنه من الكتب الطوال جدا فميزته الكبرى هي أنك حين تقرؤه لا تحتاج إلى راحة، وإنما تود لو تستطيع أن تمضي فيه حتى تبلغ آخره في مجلس واحد، لأنك تجد فيه المتعة والراحة والسلوى وإرضاء حاجتك إلى الاستطلاع"[1]،

مما لا شك فيه أن الرحلات لها علاقة كبيرة بتاريخ الإنسان منذ أقدم العصور، ولها آثار قيمة وتأثيرات كبيرة في الحياة الإنسانية، ولم يمكث الإنسان في مكان واحد حتى الآن مع أن له جميع التسهيلات متوفرة في بيته في هذه الأيام، وذلك لأنه يحاول أن يكتشف ما حوله من الأشياء المتنوعة والأمكنة المختلفة، ويحيط من أسرارها ورموزها بقصد التعرف والسيطرة على ما يكتنفه من الحياة، وأدب الرحلات موضوع ممتع وشيق لكثير من الرحالة والمغامرين، وهو فن أدبي من الفنون الأدبية يصور فيه الرحالة أحوال الأقوام أو الناس من حيث التاريخ والجغرافية والحضارة والسياسة والاقتصاد والثقافة.

قد وصف أنيس منصور تجربته قد واجها في تأليف هذا الكتاب القيم فيقول: "لقد كان العالم كتابا كريما عريضا طويلا غنيا بألفاظه ومعانيه،

---

(1) أنيس منصور، حول العالم في 200 يوم، مقدمة الطبعة الثالثة (بقلم الدكتور طه حسين) القاهرة: دار الشروق2002م، 31.

كنت أقرأ بعقلي وقلبي وأقلب الصفحات بيدي ورجلي، وكنت أضع حقيبتي الوحيدة في مهب الطائرات والعواصف، وأنا لا أدعي أنني ألممت بكل شيئ ولا رأيت كل شيئ ولا حتى رتبت هذا الكلام." [2]،

ومن الأدباء الذين أحذوا هذا الكتاب أخذ الإعجاب وتأثروا به وقدموا آرائهم القيمة هو الأديب الكبير محمود تيمور الذي وصف عنه: "لا ريب أن كتاب "حول العالم في 200 يوم" من خير ما أنتج أنيس منصور، ولعل إيثاري له يرجع إلى شغفي بالرحلات وكتب الرحلات، حتى أني أقحمت نفسي في هذا الميدان بما كتبته في وصف بعض السفرات التي قمت بها فيما وراءالبحار، وكاتب الرحلات الناجح لابد أن تتوافر له ألمعية الملاحظة ورهافة الفطنة وسرعة الالتقاط والقدرة على استبانة الملامح والمعالم، وبخاصة ما يدق منها على النظرة العابرة وما يتصل منها بالعادات والسلوك والأوضاع الاجتماعية التي لا تخلو من غرابة، وكل هذه المؤهلات تستجمع للأستاذ أنيس منصور وهو يضرب بعصاه الأرض ويشع نظراته هنا وهنالك فتخترق الزوايا والخبايا". [3]،

وكتاب"حول العالم في 200 يوم" لأنيس منصور الذي حصل عليه جائزة الدولة التشجيعية سنة 1963م من الرئيس جمال عبدالناصر، كما يقول مأمون غريب، "وأشهر كتب أنيس منصور في مجال الرحلة هي بلا شك كتابه "حول العالم في 200 يوم" الذي كان أكثر الكتب توزيعا بشهادة اليونيسكو، كما أنه الكتاب الذي نال عليه جائزة الدولة، ووصفت لجنة التحكيم كتابه الفائز بالجائزة بأنه الكتاب الذي ألف نتيجة رحلته العقلية التي سجل في أثنائها انطباعاته الشخصية إلى جانب ما انطوى عليه كتابه من معلومات جديدة تصور الحياة كما رآها، فبدت في الكتاب انطباعاته

---

[2] أنيس مصور،حول العالم في 200 يوم، المرجع السابق، 37.

[3] المصدر السابق،25.

الشخصية من نواحي المعرفة العامة والفن الشخصي" [4]،.

أسلوبه :

حينما يشاهد أنيس منصور الأشياء النادرة أنه لا يكتفي بذكرها فحسب بل يتوجه إلى الواقع الأصلي الذي يتعلق بالحياة الاجتماعية العادية التي يعيشها الناس في بلادهم، وهذا هو أحد الفروق بين كتب الرحلات القديمة والحديثة، وأنيس منصور يصف التجربة عن هذه الأشياء النادرة، بل يحاول أن يشارك فيها بنفسه ما أمكنه، ولذلك فهو يرتدي مثلا "الدوتي" هو عبارة عن فوطة تلتف حول الوسط وليس فوقها إلا القميص كما يفعل أبناء الهند وسري لانكا، ويمشي بهذا اللباس في المطر حافي القدم كما يذكر: "قد حدث عندما كنت في جنوب الهند أن استمرت الأمطار تتساقط يومين متواليين، لا أستطيع أن أخرج من غرفتي وإذا خرجت فلكي أتأكد من أن الأمطار لن تصل إلى سريري، رأيت أنها فرصة لكي أجرب الدوتي" [5].

وصور أنيس منصور رحلاته المميزة بأسلوب جميل جذاب وممتع، ولا نجد هذا الأسلوب الرائع عند أساتذة الفلسفة الذين يكتبون في الصحف والجرائد،.كما ذكر علاء الدين وحيد: "وفي بعض الأحيان يظن الأستاذ أن القارئ لا يمكن أن يكتفي بما طالع من أشياء جديدة أو طريفة، أو أن الأسلوب ليس بالطرافة أو الامتياز المعهودين فيعمد إلى المزيد من وسائل التشويق أو تغيير القالب الذي يكتب فيه كما فعل في عدة مواضع في هذا الكتاب "حول العالم في 200 يوم" الذي جمع بين الشكل المسرحي والموضوع الطريف والأسلوب الفكاهي" [6]،.

---

[4] مأمون غريب، أنيس منصور حياته وأدبه، 27.

[5] أنيس منصور، حول العالم في 200 يوم المرجع السابق،41.

[6] علاء الدين وحيد، أنيس منصور، بين بلاد الله وخلق الله، مصر: دار سنابل للنشر والتوزيع،1995م، 21.

وأنيس منصور له مساهمات فعالة وقيمة في أدب الرحلات مع أنه قد ساهم مساهمة بناءة في العلوم والفنون المختلفة من صحافة وقصة ومسرحية وترجمة وكتابة السيرة إلا أنه ذاع صيته بين القراء كرحالة كبير بارع، وفصوله وكتاباته ومقالاته "ليست إلا رحلات متواصلة سواء أكانت في آفاق الأرض المحددة أم كانت في العوالم الفكرية التي ليس لها من حدود" [7]،.

يقول الدكتور سيد حامد النساج يصف أسلوب أنيس منصور في أدب الرحلات: "الكاتب المصري الذي جعل الرحلة همه بالليل والنهار، وحقق عن طريقها انتصارات صحفية، نال بسببها جائزة الدولة التشجيعية هو أنيس منصور، ألف عددا من الكتب تدور حول رحلاته الكثيرة وقدم من خلالها معلومات وشخصيات وطرائف متنوعة، أداته في ذلك لغة سريعة خاطفة وجمل قصيرة جدا وعبارات خفيفة لا عمق فيها ولا تحليل يرهقها. ومع أنه كتب كثيرا من المقالات والقصص والدراسات والمسرحيات والتراجم الذاتية فإنه اشتهر عند الجمهور القارئ محليا وعربيا بأنه كاتب رحلات وصاحب خبرة في نقلها" [8]،

ظهر الكتاب "حول العالم في 200 يوم" عام 1963م فتناولته الأيدي بشوق شديد ونفدت له طبعات شتى في مدة قليلة، وترجمت عدة فصول منه إلى الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية وترجمة كاملة باللغة الصينية، وكما نال الكتاب من عامة القراء حفاوة بالغة نال من كبار الكتاب والأدباء تقديرا كبيرا أمثال طه حسين ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم وكامل شناوي، لم ينل التقدير فقط بل يتجمل الكتاب بكلمات ضافية جميلة من طه حسين ومحمود تيمور وهكذا طه حسين.

وأما كتابه "حول العالم في 200 يوم" فكما يصفه حسام محمود: "هو

---

[7] أنيس منصور، حول العالم في 200 يوم، 26.

[8] سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، القاهر ة: مكتبة غريب،113.

عنوان كتاب شهير يحمل معه إشارات من الكاتب أنيس منصور عن فحوى الترحال العابر للحدود بالسطور المصورة، عرض في هذا الكتاب معلومات عن الدول المختلفة خصوصا دول جنوب شرق آسيا مثل الهند وسرى لانكا وسنغافورة وأستراليا واليابان والفلبين وهونج كونج، ثم زار أيضا الولايات المتحدة الأمريكية وجزيرة هاواي فيتضح من خلال صفحات الكتاب أسلوب أنيس منصور في وصف الأحداث والأماكن حتى السخرية مما حوله" [9].

دراسة وصفية تحليلية لرحلة "حول العالم في 200 يوم:

أريد أن أقدم بعض النماذج من رحلة أنيس منصور إلى الهند من كتابه "حول العالم في 200 يوم". قام بالترحال أنيس منصور إلى الهند آنذاك كانت تعاني الظروف السياسية العصيبة، وكان غرضه من الرحلة أن يقدم الحقائق عن ولاية كيرالا حيث كان الخلاف الشديد بين الحكومة المركزية والحزب الشيوعي، كما يذكر أنيس منصور:

"لقد كان الغرض من رحلتي هذه أن أسافر فقط إلى ولاية كيرالا في الهند وأن أكتب تحقيقا صحفيا عن الولاية الوحيدة في الهند التي فاز فيها الحزب الشيوعي بحكومة شيوعية 100% وقد ثار حزب الحكومة المركزية على هذه الولاية واتهم حكومتها بالطغيان والاستبداد والتدخل في معتقدات الناس وقابلت رئيس الوزراء نامبودريباد وكان هذا الحديث الذي دار بيني وبينه هو الصاروخ الذي دفعني إلى الدوران حول الأرض" [10].

الهند هي كانت السلسلة الأولى من سلاسل رحلات أنيس منصور حول العالم، وليس هناك تصريح يعين مدة إقامته في الهند، ولكن يتضح من مقابلته مع نامبودريباد أنه قضى شهرا تقريبا، تشتمل ملاحظات أنيس

---

(9) حسام محمود، أنيس منصور يبرع في وصف البلدان وشعوب المعمورة في "حول العالم في 200 يوم"الوطن، يوليو-2015م.

(10) أنيس منصور، حول العالم في 200 يوم،38.

منصور عن الهند حوالي مائة وثماني صفحات، وهي تحت ستة عناوين مختلفة: العنوان الأول في إقامته في مدينة ممبئ، والثاني في إقامته بدلهي، والثالث والرابع في إقامته بدهرادون ومقابلته مع دلائي لاما، والخامس في إقانته بكيرالا ومقابلته مع نامبودريباد، العنوان الأخير قدم فيه خلاصة تجاربه ومشاهداته في الهند، ومن الموضوعات الرئيسية التي ناقش عليها أنيس منصور: المرأة الهندية، نان وتندوري، البان، البقرة، الدوتي، ضحك الهندي، الرطوبة والرائحة والبعوض، جواهر لال نهرو، دلائي لاما، في ولاية كيرالا، نامبودريباد. فمن هذه العناوين المذكورة لاحظنا بعض الأمثلة كما نعلم أن المرأة الهندية التي أعجبته كثيرا.، ويقول أنيس منصور عن الرجل الهندي:

"الرجل الهندي رشيق، ممشوق القوام، بشرتهم مشدودة وإن كانت أميل إلى اللون الأصفر، وهذا اللون خليط من الأصفر والأسود، ولمسة أزرق. أما الملامح فأوربية جرمانية، الشفة رفيعة والأنف دقيق والعينان واسعتان والفك انسيابي والجبهة متوسطة والشعر أسود فاحم ناعم والأسنان مستوية وناصعة البياض، ولا توجد أكراش، كما أن أصابع اليدين رفيعة كأصابع عازفي البيانو" [11].

ثم يذكر المرأة الهندية فيقول: "أما السيدات فهن أميل إلى السمنة وخصوصا الأرداف، وتضع كل واحد نقطة حمراء في أسفل الجبهة تدل على أنها متزوجة..... وجهها مستدير، وشفتا المرأة أميل إلى الامتلاء وعنقها مسحوب وأذناها صغيرتان". [12]،

ويقول في مكان آخر متحيرا بجمال شعر المرأة الهندية: " شعرها أسود جدا

(11) المصدر السابق، 58

(12) المصدر السابق، 58.

تحسدها عليه كل نساء أوربا وأمريكا" [13]،.

هكذا يذكر الكاتب أن الهندوس هم يعبدون البقرة ويعظمونها ، وأنهم يتصورون أنها حيوان مقدس وعلى أساس هذا التأليه والتقديس يعاملون معها معاملة استثنائية، ولا يأكلون لحمها ولا يشربون لبنها،ومع أنها هي في نظر اتباع الديانات الأخرى مجرد حيوان نافع فقط مثل الحيوانات الكثيرة الأخرى، فحينما زار أنيس منصور الهند فلابد أنه شاهد هذا المنظر العجيب فاستعجبه ويقول:

"في الهند أناس لا يأكلون اللحوم ولا المواد المستخرجة من الحيوانات، فلا يشربون اللبن ولا يأكلون الزبد والجبن ولا يأكلون البيض ولا السمك ولا يذبحون الأبقار لأن البقرة مقدسة، وهي رمز الحياة والخصوبة، وهي حيوان سعيد في الهند وسعادة البقرة واضحة في دلالها ودلعها وتمخطرها في الشوارع في أحسن الشوارع وفي دخولها أحسن المحلات دون أن يمسها أي إنسان" [14]،.

ولكن حينما يشاهد الثور أنه ليس محترما وهو منبوذ وليس له أي تعظيم وتقدير ومع ذلك أن أمه بقرة وجدته بقرة وابنته بقرة ، يقول:"وفي الهند فئة من المنبوذين عددها حوالي 60 ملين نسمة، ولا أعرف بالضبط عدد الثيران، ولكن هذا الحيوان المنبوذ يجر العربات ويحرث الأرض ويضربه الفلاحون على قفاه ليل نهار، واليد التي تضربه على قفاه هي نفس اليد التي ترتفع بالتحية لأمه او لجدته أو حفيدته، لم ألاحظ أن هناك أية تفرقة جنسية عند الهنود غير هذه التفرقة بين الثور والبقرة" [15].

قام أنيس منصور بالترحال إلى الهند لهدفين، الأول لتعرف الخلاف بين

---

[13] المصدر السابق،59.

[14] المصدر السابق، 60.

[15] المصدر السابق،60.

الحزب الشيوعي وبين الحكومة المركزية في ولاية كيرالا، والثانية لمقابلة دلائي لاما الذي هرب ولجأ إلى الهند بعد اجتياح الصين والتبت، ومع أن أنيس منصور يشير في موضع أن هدفه الأول أن يتعرف على أزمة كيرالا ، ولكنه سافر أولا إلى مسوري للقاء دلائي لاما وبعد ذلك رحل إلى تريفندم عاصمة كيرلا لمقابلة نامبودريباد، فقابل أنيس منصور دلائي لاما وأمه وتحدث معهما وأخذ صورهما كما يقول: "وجلست إلى جوار الدلائي لاما لكي تظهر لي أول صورة نشرت له في العالم العربي أو صورة تنشرها "أخبار اليوم" للدلائي لاما" [16].

أما الحوار الذي جرى بين أنيس منصور والدلائي لاما وأمه كان مشتملا على عدة أسئلة، مثلا سأل الكاتب أنيس منصور الدلائي لاما: كيف هربت من التبت إلى الهند [17]،؟ وهكذا كثير من الأسئلة طرح أنيس منصور إلى الدلائي لاما فأجابه الدلائي لاما جوابا مقنعا ،ثم توجه أنيس منصور إلى ولاية كيرالا لهدفه الثاني لكي يشاهد الأحوال السياسية التي كانت تجري في الهند بين الحزب الشيوعي وبين الحكومة المركزية، وقابل أنيس منصور في كيرالا مع نامبودريباد وهو آخر صحفي يجري معه المقابلة كما يقول عن هذه المقابلة التاريخية: "وكنت آخر صحفي قابله وهو رئيس وزراء فقد قرر نهرو إقالته من الوزارة بعد مقابلتي له مباشرة" [18].

الصورة التي قدمها لنا أنيس منصور لرئيس الوزراء نامبودريباد لا تساعدنا في فهم شخصيته فهما دقيقا شاملا، لأنها تلك المعلومات غير الكافية التي توفرت له، فأنيس منصور هو وصف ما لاحظ وما سمع، كما يقول أنيس منصور: "هو الرجل الثاني في الهند، فالصحف لا تتحدث إلا عن رجلين:

---

[16] المصدر السابق، 100

[17] المصدر السابق، 100

[18] المصدر السابق،101.

نهرو وهذا الرجل. إنه ابن الأكابر، إنه رجل قوي الحجة، مركز آمال الأحزاب الشيوعية في الهند وفي كل آسيا، فهو يعتبر نقطة تحول خطيرة في الحركة الشيوعية في الهند" (19).

خاتمة:

هذا الكتاب قد حوى في طياته مشاهدات وانطباعات رحلة ثقافية صحفية علمية فلسفية ممتعة في وصف الهند، بحيث أنه وصف حضارتها بشتى دياناتها ومختلف ثقافتها وعاداتها وطقوسها وأعيادها، ويعد هذا الفن أكثر ألوان الفنون الأدبية إثارة ومتعة، ولقد أعطى الله أنيس منصور فرصة أن يرحل إلى الهند ويسجل مشاهداته وخواطره عما رآه وعما مر به من تجارب خصبة ثرية في خلال رحلاته بأسلوب صادق جذاب، وقد نال أنيس منصور مكانة مرموقة متميزة في مجال أدب الرحلات حتى صار رائدا من رواد العصر الحديث في أدب الرحلات،. فكان كتابه "حول العالم في 200 يوم" تسجيلا ممتعا ومثيرا لتلك الرحلات التي قام بها رواد الرحلات في التاريخ القديم والمعاصر شرقا وغربا في العالم، ويتميز أنيس منصور بلغته السهلة وغزارة معلوماته وسعة اطلاعه.

***

(19) المصدر السابق،108.

سيد جميل الدين النظامي *

لمحات عن منطقة الدكن وثقافتها في الرحلات العربية المنتخبة

الملخص:
لقيت منطقة الدكن عناية ملحوظة عند الرحالة العرب منذ القرون الأولى، وهناك عدد كبير من الرحالة العرب الذين سجلوا تجاربهم و مذكراتهم عنها، وعبروا عن انطباعاتهم حول الثقافة الدكنية و مظاهر المسلمين وصورتهم العلمية والاقتصادية والسياسية. يتناول هذا المقال الصورة الدكنية في الرحلات العربية من خلال دراسة النصوص المعنية بالرحلة، ويهدف إلى إبراز ثقافة الدكن ومكانتها في أدب الرحلة.
الكلمات المفتاحية: دكن، الرحلة العربية، مظاهر الثقافة، حيدرآباد، الهند.

مقدمة:
هذا مما لا يختلف فيه اثنان أن أدب الرحلة يحتل مكانة مرموقة، وهو مصدر مهم للاطلاع والكشف على منطقة ما وما فيها من المآثر العلمية والتاريخية.
كثير من الرحاليين قد زاروا منطقة الدكن، وسجلوا تجاربهم، وكتبوا عن مشاهداتهم، وسلطوا الضوء على الثقافات الدكنية، وجمعوا المعلومات عنها في شكل سجل الرحلات، وخلّفوا أعمالا أدبية تساهم في تطوير

* الباحث بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية،حيدرآباد، ولاية تلنغانا الهندية.

الدراسات الأدبية و التاريخية. ومن أهم الرحلات العلمية التي تتضمن منطقة الدكن ما يلي:

"في جنوب الهند" للشيخ محمد بن ناصر العبودي (من مواليد1930م):

قام الشيخ برحلاته إلى شتى البلدان الشرقية والغربية ، وله مساهمات ملحوظة في إثراء مكتبة أدب الرحلات العربية، وقد تجاوز عدد مؤلفاته مائة وخمسين كتابا في أدب الرحلة من بينها مخطوطات و مطبوعات، أما مؤلفاته عن الهند وتاريخها وثقافتها وأديانها ومعتقداتها فهي تبلغ سبع عشرة رحلة، أفرد الشيخ كتابا لمنطقة الدكن وسماه "في جنوب الهند" وقد رأى هذا الكتاب النور عام ألف وتسع مائة وسبعة وتسعين من الميلادية، وطبعته مكتبة الملك فهد الوطنية بمدينة الرياض. يعد هذا الكتاب من أهم الرحلات للشيخ العبودي، وكان سافر إلى الدكن عام ألف و أربع مائة وسبعة من الهجرة النبوية. تحدث فيه عن الأماكن والمعالم التاريخية، وسجل تجربته عن زيارته إلى المدارس الدينية والجامعات والمساجد و المعابد الهندوسية وألقى الضوء على تاريخ مملكة حيدرآباد الآصفجاهية نقلا عن الكتاب "الهند في العهد الإسلامي" للشيخ عبد الحي الحسني، وعرّب بعض أسماء الأماكن والأحياء التي زارها خلال جولته أمثال شارع العابدين (Aabids Road) ومبنى المدينة المنورة (Madina building) والأقواس الأربعة (Char kaman) وحوض الزهور(Gulzar houz)و منارات الأربع (char minar). وكان رافقه في إنجاز وقطع هذه الزيارة والسياحة الفقيد الشيخ عمران الأعظمي من أعضاء دائر المعارف العثمانية سابقا.

كتب الشيخ عن دائرة المعارف العثمانية فقال: دخلنا دائرة المعارف العثمانية حيث يعمل رفيقي الشيخ محمد عمران الأعظمي، وهي في بناء ذي مظهر عربي يعتبر جزءا من أبنية الجامعة، وقابلنا بعض المحققين والعاملين فيها من الشيخ أبو بكر الهاشمي محقق كتاب" الإكمال في أنساب

الرجال" لابن ماكولا وهو كتاب عظيم يحتاج تحقيقه إلى علم جم وصبر طويل، كما قابلنا المفتي محمد عظيم الدين وهو مفت في أمور الدين في الجامعة النظامية، وأمضينا في هذه الدار المباركة وقتا ليس بالطويل، ولكنه حافل بالمشاعر الجياشة فهي صغيرة غير أنها نشرت من المراجع العظيمة في أنواع العلوم العربية[1]. وتطرق الشيخ قائلا: في قلب مدينة حيدرآباد التجاري المزدحم مبنى كبيرا واسعا في أسفله الحوانيت التجارية الغالية، وفي أعلاه وهو عدة طبقات عدد من المساكن الجيدة اسمه مبنى المدينة المنورة (Madina building) وذلك لأن حكومة المسلمين في الدولة الآصفجاهية المسلمة قد بنت هذا المبنى، و وقفته على المدينة المنورة بمعنى أن ريعه يذهب إلى المدينة المنورة هدية منه للمدينة يصرف في عدة مصارف في المدينة، وكان هذا الأمر جاريا مرعيا إلى أن سقطت الدولة الآصفجاهية باحتلال الجيوش الهندية ثم أغنى الله المدينة المنورة بما منحنا إياه من أسباب الرزق فتوقف إرسال ريع المبنى هذا.[2]

وخلاصة القول أن الشيخ العبودي وصف المشاهد الدكنية والمظاهر الحيدرآبادية وثقافتها ولكن ساد وغلب على رحلته الأسلوب الجاف التقريري رغم أن لديه قدرة فائقة في الإبداع والتعبير، وبذل جهدا حثيثا لجمع المعلومات عن حالة المسلمين، و صوّر تصويرا دقيقا عن أحوالهم بل نجح في التعبير عنهم.

رحلة إلى الهند (1899-1900م) للرحالة المسيحي مار أثناسيوس أغناطيوس نوري:

ألفه رجل مسيحي اسمه "مار أثناسيوس أغناطيوس نوري" من أصول

[1] العبودي، محمد بن ناصر، في جنوب الهند، ط1، المملكة العربية السعودية، رياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، رياض، 1997، ص 124.

[2] المرجع نفسه، ص:127

العراق، دوّنه بطريقة منتظمة و بطراز جيد، وسجل انطباعاته بشكل اليوميات في كتابه، وقام بالزيارة إلى الهند ثم اتجه نحو المملكة الآصفجاهية بحيدرآباد ما بين (1899-1900م)، وتعد هذه الرحلة وثيقة مهمة عن منطقة الدكن في هذه الفترة حيث جمع معلوماته عن عادات سكان المنطقة وثقافتهم. قد طبعت هذه الرحلة المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام ألفين وثلاثة (2003م). يستغرق الكتاب مائة واثنين وستين صفحة. بما فيها مقدمة من المصحح وحياة المؤلف كتبها المصحح نوري الحلاج وديباجة المؤلف.

وكان من الأسباب التي دفعت الرحالة إلى سفر الهند هو جمع التبرعات والهدايات والأموال لإنشاء مدرسة عالية ممتازة في بغداد. ونستدل ذلك من بعض لقائاته التي قام بها مع بعض الشخصيات البارزة، و بما جرى الحوار فيما بينهم، وكان أيضا في عزمه أن يقصد شخصية مسيحية عراقية ثرية مهاجرة إلى الهند هو "ملكون بن يعقوب الصابونجي الماردیني" شقيق القس لويس الصابونجي الشهير الذي جال العالم في القرن التاسع عشر على عربة وقام برسم خرائط الأرض. أثناء زيارته إلى الدكن وصل المؤلف إلى ناظر المالية السيد علي بلكرامي الملقب بشمس العلماء وأخيه السيد على بلكرامي ناظر المعارف. وقابلهما، وجرى الحوار بينهما، ولم يأل المضيفان جهدا في تطييب خاطر الضيف؛ فشكر وداعا لهما ثم زار الأمراء والنواب، ومن بينهم زار المؤلف أديبا اسمه الدكتور نيدو وتعشى في بيته، فتأثر المؤلف ببيئة علمية كانت في بيته حيث قال في كتابه : "وبعد قليل من الزمن جلسنا على المائدة فإذا هي من أفخر الموائد ، والذي أعجبني للغاية حديث المرأة و ذكائها و رقتها و إلمامها بالتاريخ الشرقي، فلما ذكر الأمكنة الشهيرة من بلاد الشرق كتدمر وبعلبك أخذت تشرح عظمة هذه البلاد ومجدها السالف كأنها قد شاهدتها عيانا وهي امرأة في العشرين من عمرها تلقت

مبادئ العلم في الهند، ثم أتمت دروسها العالية في لندن ، وقد علمت أنها تنظم الشعر باللغة الإنكليزية "[3].

ذكر المؤلف عن المدارس الدكنية و قبور السلاطين قطب الشاهية وحديقة الحيوانات والبستان العمومي والحديقة العامة.ولكنه قد تنازل أحيانا عن الموضوعية من حيث إنه ساق أخبارا لم تصدق و وقائع غير معقولة خاصة عن حياة المسلمين كذكره مثلا واقعة محاولة بعضهم قتل شخص من كبار الوافدين عليهم من العراق من باب تقديس مكانته كما يقول في كتابه:" ومن غرائب ما نقل إلي أن أحد أفراد عيلة الشيخ عبد القادر الكيلاني، المعروفة والمشهورة في بغداد بعائلة نقيب الأشراف جاء من بغداد إلى حيدرآباد سائحا قبل بضع سنين فاتفق فريق من المسلمين السنيين في تلك المدينة أن يقتلوه ويدفنوه في أرضهم ليبقى قبره مزارا للأمة فيستغنون حينئذ عن زيارة ضريح الشيخ عبد القادر المذكور في بغداد، فلما أحس الرجل بهذا التدبير الغريب فر قافلا إلى بغداد وقد راى أن الحياة خير له من أن يكون وليا لهم يحجون إلى قبره و ينذرون له النذور".[4] ذكر الرحالة هذه القصة دون استناد و لجوء إلى مصدر معتمد. ولا يخفى على من له أدنى إلمام بتاريخ المسلمين في إقليم الدكن وتاريخ السلسلة الروحانية القادرية فيها أن هذه المنطقة تعرف وتذكر بتبجيل الشخصيات الدينية. وأن عددا ملحوظا من الذرية الطيبة للشيخ عبد القادر الجيلاني-رحمه الله-يعيش فيها منذ قرون، ولا حاجة لأحد أن يرتكب مثل هذا العمل الشنيع. والله من وراء القصد.

إنه جمع في كتابه تعبيرات و جملا تترشح منها السخرية بالأمراء والنواب

[3] نوري، مارأثناسيوس، رحلة إلى الهند، ط1، الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، دار السويدي للنشروالتوزيع، عام2003م، ص:65-66.

[4] نفس المرجع ، ص:68

الدكنية، والله يعلم ما دفعه نحو ذلك، ولكن يظهر على بادئ ذي أمر أنه كتبه لأنه لم يدرك من المال الذي شد الترحال لأجله. حيث قال عن النواب خورشيدجاه رئيس الوزاء في المملكة الآصفجاهية:"ثم سلّمته الرسالتين فقرأهما الكاتب و ترجمهما له، فهزّ برأسه الفارغ و أخذ يكرر على السؤالات مستفسرا عما بقي من آثار الفرس في بغداد ولاسيما إيوان كسرى فأجبته على أسئلته كلها، ثم كرّرت عليه طلبي السابق عله يسعفنى بمبلغ من المال لأجل تشييد المدرسة لكن النواب الذي وعد بدراسة طلبه والرد عليه أشار على أحد خدامه فجاء بنوع من الدهون طيبة الرائحة؛ فأهداها للرحالة، وانتهى الأمر عند هذا الحد ،خرجت بخفي حنين والوزير رجل قد تجاوز الستين من عمره لا يعرف سوى الهندية وهو من الأغنياء الكبار إلا أنه أحرص من أشعب".[5]

"الهند كما رأيتها" لفتح الله أنطاكي المصري صاحب جريدة العمران:

هذا الكتاب من تأليف السيد فتح الله الأنطاكي صاحب جريدة العمران بمصر. سجل الكاتب فيه مشاهداته وتجاربه عن الهند. أقام في الهند أكثر من ثمانية أشهر، تجول خلالها معظم الولايات الهندية، و اطلع على أحوال الهند عن كثب، وأعرب عن مشاعره وانطباعاته في هذا الكتاب. وفيه تحدث عن زيارته إلى منطقة الدكن حيث قال:

"برحت القاهرة في أول أكتوبر من العام الماضي عام ألف و تسعمائة واثنين وثلاثين من الميلادية (1932) قاصدا الهند للسياحة والاطلاع عن طريق الشام".[6]

ذكر المؤلف في هذا الكتاب أكثر من ست عشرة مرة في مختلف الصفحات

[5]نفس المرجع61

[6]أنطاكي، فتح الله، الهند كما رأيتها،ط1،مصر،القاهرة،شارع إبراهيم باشا،اسم المطبع غيرظاهر، لعله " مطبع فاضل للنشر"،عام1933م،ص:9.

عن ثقافة الدكن و ملكها النظام السابع -ميرعثمان علي خان- وتاريخها المجيد، وأشاد فيه إنجازات المملكة الآصفجاهية في مجال التعليم حيث قال : "قد علمت من أحد الوزاء المسلمين في حيدرآباد الدكن أن عظمة النظام يعد الآن مشروعا لبناء جامعة كبيرة في بلاده قدرت تكاليفها بمليون جنيه إنجليزي وواضع تصميم هذه الجامعة العظيمة هو المهندس الفرنساوي الذي خطط مدينة مصر الجديدة."[7]

وقد نقل الرحالة الحديث الذي دار بينه وبين وزير من وزاراء المملكة الآصفجاهية؛ فقال الوزير:"إن نظام حيدرآباد الدكن من كبار الأغنياء في العالم وهو يملك من النقود الذهبية والأوراق المالية والمجوهرات النادرة الوجود ما لايقع تحت عد وحصر ولا عيب فيه إلا حبه الشديد لجمع المال مع كثرة ما عنده وهو شديد الإخلاص للإسلام والمسلمين ويبذل جهده لخدمة الدين و إعلاء كلمة الله ."[8]

تأسف الرحالة على وضع السكان الاقتصادي في هذه المنطقة حيث قال:

"أما الحالة الاقتصادية فتعيسة للغاية والأهالي في فقر مدقع ، وقد أثرت تلك الأزمة العالمية فيهم تأثيرا عظيما ، إنما يساعدهم معيشة التقشف والزهد التي اعتادوا عليها، أما البلاد فتشبه أرياف مصر ، وفي الإمارة سكك حديد و إدارات بريد منظمة وتليفونات وتلغرافات لداخلية البلاد وكلها ملك خاص للإمارة وتعود أرباحها إلى البلاد".[9]

"ملوك حيدرآباد"لمحمد سعيد الطريحي:

هو من مواليد مدينة الكوفة عام 1954م، باحث وكاتب ورحَّالة عراقي مهتم بالتراث الإنساني العام، وهو مولع بالثقافات العريقة والحضارات العالمية

[7]نفس المرجع،ص:76

[8]نفس المرجع،ص70

[9]نفس المرجع،ص:46

ودراسة خلفيَّاتها وإبراز مظاهرها الدينية والتاريخية والاجتماعية قديماً وحديثاً. أسَّسَ دائرةَ المعارفِ الهنديَّة في مدينة مومباي بولاية مهاراشتارا الهندية مطلع الثمانينيات من القرن العشرين الميلادي. وأصدرَ باسمِها عشراتِ الكتبِ والأبحاثِ عن الأمَّة الهنديَّة وتراثِها الحضاريّ. أَلَّفَ وحقَّق وعلّق ونشر ما يزيدُ على (300) كتاباً ودراسة، أكثرها مطبوعةً وبعضُها طُبع مراراً، بالإضافة إلى عدد كبير من المقالات والبحوث المنشورة في الصحف والمجلات.

قام الدكتور بالزيارة إلى الدكن شهر نوفمبر عام 1982م، وسجل رحلته في كتابه المسمى بـ"ملوك الدكن" وتناول فيه عن تاريخ حيدرآباد وأحيائها الشيعية والضواحي والمقابرة ومدارسها وفرقها والجمعيات وشيوخ الشيعة وألبسة حيدرآباد ودائرة المعارف العثمانية و مكتبة سالار جنغ ومتاحف دكنية والحدائق وجواهر حيدرآباد وألماسها. ذكر الرحالة بداية جولته في حيدرآباد فقال:" وفي حيدرآباد نزلنا في منزل بمحلة أفضل كنج وهي محلة قديمة تطل على نهر مندرس جف ماؤه ويعرف بنهر موسى وهو شبيه ببحر النجف، وتكثر فيه البساتين التي تروى من جداول صغيرة يكثر حولها الجاموس وأجدني متذكرا (الكوفة) أيضا حيث الجاموس الذي يسبح على ضفة الفرات المقابل لبيتنا بجوار آل مواش آلبو نعمان وغيرهم من العرب، وفي مواضع معينة عند نهر موسى أنشئت الجسور التي تربط بين جهتي حيدرآباد، وطرق هذه الجسور مقسمة إلى ثلاثة أقسام، فالوسط مخصص لمرور السيارات الكبيرة والصغيرة وما يلي الوسط من الجانبين لمرور عربة (الركشه) الهندية ويتخلل ذلك معابر لمرور المشاة وما أكثرهم هناك، وبينهم عدد كبير من المتسولين الذين يضيقون الطرقات بسؤالهم و وقوفهم وإلحاحهم."[10]

اهتم الرحالة في كتابه اهتماما بالغا إلى ذكر الشيعة وتاريخها ومدارسها ومساجدها، قلما التفت إلى تاريخ المسلمين السنيين اللهم ذكر الجامعة

[10] الطريحي، محمد سعيد، ملوك حيدرآباد ،ط1، هولندا، أكاديمية الكوفة، عام2005م، ص189

النظامية العريقة وقال في ذكرها: "من الجامعات الإسلامية المعتبرة التي أسست في عهد السلطنة الآصفية، وقد صحبنا فيها سكرتيرها السيد سلطان محي الدين أستاذ اللغة العربية فيها والخاجة شريف نائب شيخ الحديث فيها، و زرت مكتبتها وفيها نحو ألف مخطوط عربي والتقينا من أساتذتها القارئ عبد الله القريشي الأزهري ومولانا منير الدين شيخ الأدب فيها".[11]

وكذلك ذكر الرحالة عن مؤسسة علمية " دائر المعارف النعمانية" الكائنة بحارة جلال كوجا، التي اعتنت بتحقيق ونشر أمهات الكتب الحنفية يرأسها الإمام أبو الوفاء الأفغاني فقال: دار إحياء المعارف النعمانية ، تقع في محلة جلال كوجه-قرب الجامعة النظامية-تهتم بإحياء التراث الحنفي، وقد تعرفنا إلى مديرها وأرانا بعض مطبوعاتها العربية، وهو من رجال الدين.[12]

الخاتمة:كل ما ذكره الباحث غيض من فيض مما كتبه الرحالة العرب عن منطقة الدكن و مشاهدها ومناظرها وما صوّروا في مؤلفاتهم في العصور الحديثة .وخلاصة الأمر أن منطقة الدكن قد اهتم بها كثير من الرحالين في رحلاتهم، فهي حاملة بالذكريات الجميلة وحافلة باالتجارب النافعة.

المصادروالمراجع:

1. العبودي، محمد بن ناصر،فيجنوب الهند، ط1،المملكة العربية السعودية،رياض، مكتبة الملك فهد الوطنية،رياض،1997.
2. نوري،مارأثناسيوس،رحلة إلى الهند،ط1،الإمارات العربية المتحدة،أبوظبي،دار السويدي للنشروالتوزيع،عام2003م.
3. أنطاكي، فتح الله، الهند كما رأيتها،ط1، مصر، القاهرة، شارع إبراهيم باشا، اسم المطبع غيرظاهر، لعله " مطبع فاضل للنشر"،عام1933م.
4. الطريحي، محمد سعيد،ملوك حيدرآباد ،ط1، هولندا، أكاديمية الكوفة،عام2005م

***

[11]نفس المرجع،ص:205

[12]نفس المرجع،ص211

محمد طارق رضا الأزهري*

رحلة نوال السعداوي إلى الهند: مشاهدات و انطباعات

نوال السعداوي كاتبة روائية ناقدة طبيبة في مجال أمراض صدرية ونفسية، ولها شهرة واسعة النطاق في الدفاع عن حقوق الإنسان بصفة عامة، وحقوق المرأة على وجه الخصوص، وكانت شديدة المعارضة لكل من يقف دون آرائها وأفكارها، وتخالف تلك العادات والتقاليد التي تعرقل في حرية المرأة، وكانت توجه انتقادات حادة إلى النظام الحكم المصري، وترى أنه قائم على الظلم والاستبداد، ويحكم بالنار والحديد، وهي صاحبة مؤلفات شهيرة ترجم بعضها إلى لغات أخرى عالمية[1].

مولدها ونشأتها: ولدت نوال السعداوي 27 أكتوبر 1931 في كفر طلحة، إحدى القرى المصرية في مركز بنها التابع لمحافظة القليوبية بمصر، نشأت في كنف والدها، وكان أبوها رجلاً ريفياً يعمل لوزارة المعارف موظفاً، وكان له تأثير مباشر في تكوين شخصية السعداوي، تلقت عنه كثيرا من المعرفة، وتعلمت منه التمرد على قيود الحياة والخروج على عادات وتقاليد المجتمع[2].

دراستها: أتمت دراستها الابتدائية إلى الثانوية في المدارس الحكومية، ثم التحقت بكلية الطب في جامعة القاهرة، وتخرجت منها حاملةَ شهادة الطب عام 1955، ثم عملت في مستشفى القصر العيني حوالي 10 سنوات، ثم استأنفت من جديد دراستها، والتحقت بجامعة كولومبيا في الولايات

* - باحث الدكتوراه في قسم اللغة العربية، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية حيدرآباد.

1. https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2022/11/7

2. https://www.hindawi.org/contributors/84163053

المتحدة الأميركية لدراسة الطب النفسي في عام 1966، وحصلت على درجة الماجستير، ثم أكملت تخصصها في مرض اضطراب الشخصية والتوازن النفسي المسمى "العصاب" في كلية الطب بجامعة عين شمس بين عامي 1973-1976[3].

آرائها و أفكارها: كانت السعداوي ميالةً إلى العلمانية، وأفكارها كانت مصبوغة بصبغة غربية، وتبدي عن هذه الآراء علنا مما أثار جدلا شديداً في الأوساط الدينية والاجتماعية، ومما تتميز آرائها أنها كانت حاملة لواء تحرير المرأة، وفي نظرها كانت حرية المرأة هو الدواء الناجع لكل مشاكلها ومعاناتها، وفي رؤيتها أن مشاكل المرأة لا تنقضي إلا بعد أن تحررت نفسها عن قيود المجتمع والخروج على الرجال. وكذلك تنادي المساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء حتى الميراث، وتدعو إلى منع تعدد الزوجات، وهتفت بإباحة عملية الإجهاض[4].

كتبت السعداوي روايتها "**سقوط الإمام**" فأثارت جدلاً كبيراً في مصر، ومما لاشك فيه أن كثيراً من آرائها كانت تتعارض مع ثوابت الدين ومبادئ العقيدة، فأصدر مجمع البحوث الإسلامية التابع لمؤسسة الأزهر الشريف بمنع نشرها في عام 2004، وكذلك كانت روايتها "**المرأة والجنس**" قد أقامت الدنيا التي لم تقعد بعد، وتلقى الغرب هذه الرواية يداً بيدٍ بما فيها من إهانة الدين وتقليل شأن الشريعة، وصارت هذه الرواية وسيلة أكبر لشهرتها وصيتها في العالم الغربي، وهذه سببت في انفصالها عن عملها في وزارة الصحة المصرية، ومنعت عن الكتابة في مجلة الصحة، وأقيلت من منصبها باعتبارها أمينةً مساعدةً في نقابة الأطباء[5].

---

3. https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2022/11/7

4. https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2022/11/7

5. المرجع السابق

إنجازاتها الأدبية: ومما لا يتطرق عليه الغبار أن السعداوي كانت تملك عقلا فعالاً وقلما سيالاً، وقد أثرت بأساليب كتابتها الرائعة وآرائها الغريبة في قلوب قرائها تاثيراً بالغاً. صدر لنوال السعداوي أكثر من 50 عملا متنوعا بين الرواية والقصة والمسرحية والسيرة الذاتية، ترجم زوجها شريف حتاتة بعض أعمالها الأدبية إلى عدة لغات عالمية من الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها.

وفاتها: تعرضت في أواخر عمرها لأزمات صحية كثيرة، وماتت فيها يوم الأحد 21 مارس2021 عن عمر ناهز 90 عاماً[6].

زارت السعداوي عدة بلاد في العالم مثل أوروبا وأفريقيا وإيران والهند وغيرها من البلاد، وقيدت رحلاتها وما فيها من مشاهد وآثار قديمة وثقافات حديثة، سجلت كلها في كتابها المسمى "رحلاتي في العالم"، نشر هذا الكتاب من مؤسسة هنداوي في عام 1987م. زارت الهند وشهدت بعينها مناظر ومشاهد عديدة، وتلقت عادات الهندوس المتنوعة، وتطلعت على أفكارها ومعتقداتها، فسجلت هذه كلها في كتابها "رحلاتي في العالم". فهذه المقالة المتواضعة تلقي الضوء على مشاهدها، وما أتت انطباعاتها على العقب.

تناولت السعداوي "رحلة الهند" في الفصل السابع من كتابها "رحلاتي في العالم"، وتبدأ الحديث بالفكرة الجميلة، وهي أن الرحلة إلى الهند ليست رحلة عادية، بل أنها كرحلة الحياة، يتلقى السياح كثيراً من المعارف والخبرات كما يتعلم في حياته، تقول: "رحلتي إلى الهند لم تكن كأية رحلة إلى أي بلد. كانت أشبه ما تكون برحلة الحياة كلها منذ الولادة حتى

6. المرجع السابق

الموت، كالدائرة تبدأ وتنتهي إلى النقطة ذاتها"[7].

المفهوم الحقيقي للسياحة عند السعداوي:

من المعلوم أن الإنسان بطبيعته يحب الجمال في كل شيء، يود أن يزور أماكن لها مكانة وتاريخ لامع، ويشاهد مناظر جميلة، ويختار الوقوف في فنادق فاخرة، ويتلذذ بألذ أنواع من الأطعمة، ومن منطلق هذه الأفكار معظم السياحين لا ترضى طبائعهم أن يقابلوا بالناس الفقراء المقهورين البؤساء، ويسيروا شوارع ضيقة غير نظيفة، ويتعرفوا على أحوال المجتمع المتخلف، فهذه الوجهات للسياحين مرفوضة تماماً عند السعداوي. تقول: "السياحة في رأيي ليست ركوب طائرات، وزيارة متاحف، والنوم والأكل في الفنادق الفاخرة، السياحة عندي: هي التجول على الأقدام في الشوارع والحواري المتربة، واكتشاف الإنسان في أي مكان، وبالذات تلك الأمكنة التي يهرب منها السياح، أو يضعون مناديلهم فوق أنوفهم حين يمرون عليها بالصدفة"[8].

الهند بلد آمن:

وفي خلال زيارة الهند وجدت السعداوي تشابها قوياً في الثقافات والعادات بين الهند ومصر، قد شعرت بكل اطمئنان وأمن على شوارع الهند بالعموم حتى رأت أن الأبقار تمشي على شوارع الهند بكل أمان تذهب إلى أين تشاء، وترعى من أي مكان تشاء، ولا يتعرض لها أحد. تقول في هذا الصدد: "قلت لنفسي: إذا كانت العصافير والأبقار آمنة في الهند فهذا هو سبب شعوري بالأمان والسلام، ولكني عرفت بعد ذلك أن الهنود يحترمون

[7]. السعداوي، نوال السعداوي، رحلاتي في العالم، مؤسسة الهنداوي، 2017، ص: 129

[8]. المرجع السابق، ص: 129

الحياة في أي شكل من أشكالها، وأن الفلسفة الهندية قائمة على تقديس الحياة وعدم قتل أي كائن حي، وإن كان بعوضة". لما رأت السعداوي أن الأمن والسلام سائران في طرق الهند وشوارعها، والناس ذوي القلوب اللينة، والحياة مقدسة لديهم. بينما هي كذلك إذ رأت منظراً عجيباً قد أدهشها وأضحكها، تقول: "كنت قد أعجبت كثيرًا بموقف الهنود من الحياة واحترامهم لها، لكني لم أستطع أن أمنع نفسي من الضحك على هؤلاء الرجال الحفاة ذوي الأقنعة الذين كنت ألتقي بهم في الشارع أحيانا، وكنت أندهش لمنظرهم وأظن من ملابسهم البيضاء والقناع الأبيض أنهم أطباء خرجوا لتوّهم من حجرة العمليات بحثا عن مريض هارب، أو أنهم مصابون بمرض في الأنف، أو أنهم مصابون بمرض الوسوسة ويغطون أنوفهم خوفا من الجراثيم في الجو، أو أنهم نزلاء أحد المستشفيات العقلية، وحينما عرفت أنهم الناسكون في الديانة الجينية[9]، وأنهم يغطون أنوفهم ليس حماية لأنفسهم من الجراثيم وإنما حماية للجراثيم منهم قلت لنفسي: كم ينقلب المبدأ العظيم أحيانا إلى نوع من الهلوسة والجنون! وكم تنطوي الأديان أحيانًا على تناقضات ومبالغات وخزعبلات!" [10].

كان هناك تشابه بين البلدين لدرجة كأنها كانت تستكشفه في مصر:

رغم البعد المكاني بين مصر والهند واختلافهما في مجالات مختلفة هناك تشابه قوي، وثقافة مماثلة، وعادات متقاربة بين البلدين في كثير من الأمور، وهذا ما جعلها تقول إن اكتشاف الهند كأنه اكتشاف مصر، تقول:

---

[9] . الجينية ديانة من أديان الهند، ومؤسسها مهاويرا، ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد، تقوم على الخوف من تكرار المولد، وتدعو إلى التحرر من كل قيود الحياة، وتمارس رياضة بدنية شاقة، وتأملات عميقة متعبة. لينظر: أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، الطبعة الحادية عشرة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ص: 104 و 110.

[10] . السعداوي، نوال السعداوي، رحلاتي في العالم، مؤسسة الهنداوي، 2017، ص: 131

"إحساس غريب أصبح يلازمني في الهند كلما رأيت طفلًا أو دخلت بيتًا أو معبدًا أو مكتبًا أو مدرسة أو مستشفى أو مصنعًا، إحساس غريب كأنما أنا لست في الهند وإنما في مصر، رغم الاختلاف الظاهري هناك نوع من التشابه الغريب، كأنما الجذور واحدة، وأصبحت وأنا أكتشف الهند كأنما أكتشف مصر، وبدأت أتفهَّم تاريخ مصر من تاريخ الهند، وأرى حقائق عن مصر لم أرها وأنا في مصر. ليس ذلك فقط لأن الإنسان لا يعرف بلده إلا وهو خارجه أو لا يرى الشيء إلا من مسافة، وإنما لأن الملامح العامة في الهند تشبه الملامح العامة في مصر، بل إن رائحة الهواء ورائحة التراب تكاد تشبه هواء وتراب مصر"[11].

مشاهد الهند كانت تذكارا لأيام طفولتها:

السعداوي تصوّر مشاهد ومناظر ما شاهدتها بعين رأسها على شوارع الهند وطرقاتها، وتذكّر أولئك الأطفال الصغار السعداء الذين كانوا يلعبون، ويحملون إخوانهم وأخواتهم على عواتقهم وخصورهم، كانوا محظوظون بالسعادة والفرحة هم في ألعابهم غارقون، وفي جانب هناك أطفال معظمهم لا يعرفون عن شيئ اسمه اللعب، لهم أقصى غاياتهم اكتساب قوتهم، ومنهم نوع ثالث حيث لا يعرفون التعرض لأصحاب الطريق، ولا يجهرون بالقول الفاحش الممل المزعج في السؤال بيد أنهم يستحقون به أكثر، هم جياع ومعدومون بالسعادة المادية، تقول: "من المناظر المألوفة في الهند أن ترى الأطفال يلعبون وقد حمل الواحد منهم أخاه أو أخته الأصغر بطريقة معينة؛ ذلك أن يركب الطفل الأصغر فوق خصر الطفل الأكبر وتتدلى ساقاه، هؤلاء هم الأطفال المحظوظون الذين خرجوا من بيوتهم ليلعبوا في الشوارع أو الحدائق، أما معظم الأطفال فإنهم

[11] . السعداوي، نوال السعداوي، رحلاتي في العالم، مؤسسة الهنداوي، 2017، ص: 133

لا يعرفون شيئًا اسمه اللعب وإنما يشتغلون ويكدون سعيا وراء الرزق سواء في الحقول أو المصانع أو الدكاكين الصغيرة، وهناك أيضًا الأطفال الذين يعترضون طريقك في أي شارع باسطين أيديهم النحيلة وهم يقولون باللغة الإنجليزية: "أعطني بقشيشا"[12]، لكن المنظر الذي لا يمكن أن تنساه هو، هؤلاء الأطفال الذين لا يعترضون طريقك، ولا يقولون شيئًا، وإنما ينظرون إليك بعينين صامتتين، ليس فيهما إلا معنى واحدٌ مُلحٌ وصارخ يهتف بغير صوت: "نحن جوعى!" [13].

وفي هذه المشاهد تذكير لأيام طفولتها، وتحريض لأشواقها التي مضت، تقول: "لا أدري لماذا تذكرت طفولتي وأنا في الهند، ليس تذكرًا عاديًّا بأن أتذكَّر حوادث ما، ولكنه إحساس قوي طاغٍ يستولي عليَّ حين أنظر في وجوه الأطفال الهنود فإذا بي أحس كأنما هذا الطفل الواقف أمامي هو أنا حينما كنت طفلة، وأن تلك النظرة في عينيه هي بالضبط نظرة عيني وأنا طفلة، وأن الطريقة التي ينهر بها أو يجري أو يلعب بها، أو يحمل بها أخاه الأصغر هي نفسها طريقتي وأنا طفلة"[14].

لقاء السعداوي بأديبات هندية:

كانت السعداوي تمتلك عقلا فعالاً وقلما سيالا، وكانت كتابتها تُقرأ على المستوى الدولي، وقد اكتسبت شهرة عالمية بواسطة كتابتها ومضامينها، فمن الطبيعي أن تتعرف الأديبة بعضها على بعض، التقت في زيارتها إلى الهند بعدة أديبات هندية ذوات الشهرة والإنتاجات الجيدة، مثلا قابلت الكاتبة الهندية الشهيرة "ساهجال" (Nayantara Sahgal) [15]،

---

[12] . معناه: الصدقة والعطية.

[13] . السعداوي، نوال السعداوي، رحلاتي في العالم، مؤسسة الهنداوي، 2017، ص: 133

[14] . المرجع السابق، ص: 133

[15] . : https://en.wikipedia.org/wiki/Nayantara_Sahgal

والكاتبة الناقدة "كاملا داس" (Kamala Surayya Das) [16]، والكاتبة "أمريتا بريتام" (Amrita Pritam) [17]،وقرأت روايتها"[18].

وكانت الكاتبة الهندية ساهجال ناقدة شهيرة ذات الهمم العالية، جهيرة القول ولو كان ضد الحكومة، انتقدت أنديرا غاندي وسياستها عدة مرات، ولم تمسها أيادي الحكم، تقول عن ساهجال: "إحدى الكاتبات واسمها "ساهجال" كتبت تنقد الحكومة، وتنقد سياسة أنديرا غاندي، وبصرف النظر عن سلامة رأيها أو عدم سلامته؛ فإنها استطاعت أن تعبر عن نفسها، ولم تستطع الحكومة أن تمنعها، بل والأهم من ذلك أن شيئا لم يحدث لها، وظلت صداقتها بأنديرا غاندي كما هي، وساهجال تكتب في السياسة، وتكتب أيضًا روايات وقصص، وفي روايتها الأخيرة بعنوان "هذا الظل" تكتشف حياة المرأة المطلقة في الهند، وتنقد كثيرا من التقاليد التي تحيط بالمرأة الهندية، وتستطرد الكلام قائلة: "شربت الشاي الهندي في بيت ساهجال في دلهي، وحدثتني عن حياتها، وعن علاقتها بالزعيم نهرو، وعرفت أنها ابنة شقيقة نهرو، وأنها تأثرت إلى حد كبير بشخصية نهرو؛ لأنها نشأت في أسرته"[19].

وقرأتْ رواية أمريتا بريتام في دلهي أثناء القيام بها، ونقلت القصة الطويلة نقلا عن أمريتا بريتام، وخلاصة كتابتها هي أن رجال المذاهب كانوا يستغلون الناس وأتباعهم، وتقول بعد إتمام هذه القصة عن تلك الرواية: "وقد نجحت رواية أمريتا ليس بسبب أحداث القصة، ولكن بسبب طريقتها العميقة الساخرة في عرض ونقد العقائد الدينية المنتشرة في بلدها "[20].

16. : https://en.wikipedia.org/wiki/Kamala_Surayya

17. : https://en.wikipedia.org/wiki/Amrita_Pritam

18. : السعداوي، نوال السعداوي، رحلاتي في العالم، مؤسسة الهنداوي، 2017، ص: 148-149

19. : المرجع السابق، ص: 148-149

20. : السعداوي، نوال السعداوي، رحلاتي في العالم، مؤسسة الهنداوي، 2017، ص: 151-152.

وإلى غير ذلك كثيرا من مشاهدها وخبراتها وانطباعاتها سجلت الكاتبة المصرية بأسلوب سلس جذاب، وقد أصابتها مواقفُها، وأخطأت أيضا في البعض.

المصادروالمراجع:

1. السعداوي، نوال السعداوي، رحلاتي في العالم، مؤسسة الهنداوي، 2017.
2. أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، الطبعة الحادية عشرة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
3. موقع الجزيرة العربية: https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2022/11/7
4. موقع الهنداوي: https://www.hindawi.org/contributors/84163053
5. ويكيبيديا لترجمة ساهجال: https://en.wikipedia.org/wiki/Nayantara_Sahgal
6. ويكيبيديا لترجمة كاملا داس: https://en.wikipedia.org/wiki/Kamala_Surayya
7. ويكيبيديا لترجمة أمريتا بريتام: https://en.wikipedia.org/wiki/Amrita_Pritam

***

پروفیسر ڈاکٹر محمد اقبال حسین ندوی*

سفر نامہ اور محمد المجذوب کا سفر نامہ

سفر نامہ ایک فن ہے، اور ادب کا ایک صنف ہے جب کہ اس میں فکر و خیال کی بہم آمیزش زندگی کی تصویر کے ساتھ پائی جاتی ہے، زندگی کی نیرنگی اور رنگارنگی جس قدر اس فن اور ادب میں پائی جاتی ہے کسی اور فن یا کسی ادبی صنف میں نہیں پائی جاتی ہے، زندگی کے مشاہدات، شعور و احساس کے دریچوں میں غیر معمولی طور پر جس طرح اس فن میں نظر آتے ہیں وہ ایک انفرادی کیفیت کی مثال ہوتی ہے، سفر نامے جغرافیائی معلومات کے لئے یا بطور روزنامچے لکھے گئے، ان میں جغرافیائی، تاریخی اور بعض ثقافتی معلومات کی وجہ سے ان کو ادب کا حصہ نہیں سمجھا گیا، بنیادی طور پر ادبی سفر نامے یا غیر ادبی سفر نامے کے درمیان لکیر کھینچنا بہت مشکل ہے، لیکن سفر نامے ادبی خصوصیات کی وجہ سے بخوبی ادب کے حصہ کے طور پر سمجھے جاتے ہیں اور صنف ادب میں شمار کئے جاتے ہیں۔ زندگی اور ادب تصویر کے دو رخ ہیں، زندگی ایک سفر ہے اور سفر نامہ زندگی کی داستان ہے، زندگی کے تنوع کے ساتھ سفر نامہ میں بھی تنوع پایا جاتا ہے، ہر ایک مصنف اپنے ذوق کے مطابق زندگی اور سفر کی داستان سناتا ہے، اس طرح سفر ناموں کے موضوع ،افکار، مشاہدات اور مقاصد میں تنوع پایا جاتا ہے، سیاح بھی اپنے مشاہدات سے قبل جہاں کا سفر کرتا ہے وہاں کی سیاسی و ثقافتی تاریخ نیز اجتماعی زندگی کے نشیب و فراز کی داستان بھی سناتا ہے، اس لئے کسی نے کہا ہے سفر نامہ کا تعلق ادب سے زیادہ تاریخ سے ہوتا ہے۔

*سابق ڈین اسکول آف عرب اینڈ ایشین اسٹڈیز انگلش اینڈ فارن لنگویجز یونیورسٹی، حیدر آباد

ادب کی بنیادی خصوصیت ہے کہ زندگی کی تصویر کشی احساسات و جذبات کے آئینہ میں ہوتی ہے، عام طور پر سفر ناموں میں زندگی کی تصویر کشی کسی نہ کسی شکل میں موجود ہوتی ہے، سیاح علاقہ کے موسم، جنگل، پہاڑ سبزہ زار، دریا، آبشار، کہشار، خوبصورت پھول دار اور لذت آشنا پھلدار درختوں میں جو کچھ محسوس کرتا ہے اس کو خوبصورت انداز بیان میں پیش کرتا ہے، قدرت کی نیرنگیوں کے مشاہدات و تجربات کے ساتھ احساسات و جذبات اور تاثرات کو تخیل کی بلند پروازی کے پیرہن میں مؤثر پیرایہ بیان میں پیش کرتا ہے اور یہ ادب کا حصہ بن جاتا ہے۔ کہا جاتا ہے کہ سفر نامہ کا مطلب سفر کے تجربات کا ادبی اظہار ہے، اس میں بنیادی طور پر حقائق کا اظہار، جمع کردہ حقائق سے معلومات فراہم کرنا اور مشاہدات اور احساس کو پیش کرنا اس صنف کا بنیادی وصف ہے، اسی لئے سفر ناموں میں اجتماعی، معاشرتی، ثقافتی، سیاسی، اقتصادی اور قدرتی حسن کی جلوہ نمائی کے ساتھ، زبان، لہجہ، اصوات، مخارج، رنگ و نسل، مذہب، ناپ و تول، سکے، کھانے کے اقسام، پھل، پھول، پانی کے انواع، تفاخر کے اسباب، معدنیات، درختوں اور سبزہ زاروں، عادات و اطوار غرض کہ زندگی کے جغرافیائی، تاریخی، طبعی اوصاف کے ساتھ زندگی کی ہر ایک بات میں جو اختلاف الگ الگ خطے میں پایا جاتا ہے، عمیق مطالعہ، دقت نظر اور بنظر غائر تجربات ومشاہدات کو پیش کر دیا جاتا ہے۔ اسلوب کی چاشنی اور دل آویزی سے سفر نامہ کی عبارت پر کشش ہو جاتی ہے، سفر نامہ میں حقیقی معلومات پیش کئے جاتے ہیں، لیکن اس میں بلاغت کے استعمال سے تخیل کی کیفیت پیدا ہو جاتی ہے، یہی بات سفر نامہ کو ادبی صنف میں شامل کر دیتی ہے۔ تخیل اور اشیاء کی تصویر یشی کے حسین امتزاج سے خوبصورت منظر نامہ سامنے آجاتا ہے، الفاظ کے حسن انتخاب، جملوں کی خوبصورت تراکیب اور موقع و محل سے الفاظ اور جملوں کے دروبست سے جو حسین تصویر سامنے آتی ہے وہ قاری کے لئے قند مکرّر ثابت ہوتی ہے۔ سفر نامہ لکھنے والوں کو جس طرح کے اوصاف کا حامل ہونا چاہئے، اس

سلسلہ میں انگریزی کا ایک مثل مشہور ہے یہ کہ مسافر کے پاس شاہین کی آنکھ ہو، تاکہ ہر چیز کو دیکھ سکے، گدھے کا کان ہو، تاکہ سب کچھ سن سکے، خنزیر کا منھ ہو، تاکہ ہر چیز کھا سکے، اونٹ کی پیٹھ ہو، تاکہ ہر قسم کا بوجھ اٹھا سکے، بکری کی پنڈلیاں ہوں، تاکہ چلنے میں تھکے نہیں، اور اس کے پاس مال اور صبر سے بھرے ہوئے دو تھیلے ہوں، اور اس میں اضافہ کرتا ہوں کہ وہ مسافر جو سفر نامہ لکھنا چاہتا ہے اس کے لئے ضروری ہے کہ حافظہ قوی ہو، تاکہ ہر چیز کو یاد رکھ سکے، اور زبان کی ایسی مشق ہو کہ ہر طرح کے الفاظ ادا کر سکے، یا کم از کم وہ اہم الفاظ اس ملک میں جہاں کا سفر کر رہا ہے، اس کو ادا کر سکے جیسے صباح الخیر، مساء الخیر وغیرہ اس کی وجہ سے وہاں کے لوگ جہاں کا وہ سفر کر رہا ہے اس سے خوش ہو جائیں گے، اس کے علاوہ ایک دو عالمی زبانوں پر بھی مہارت ہونی چاہئے۔

نہایت مختصر طور پر گفتگو کے لئے میں نے محمد المجذوب کا ہندوستان سے متعلق سفر نامہ کا انتخاب کیا، میرے سامنے رشید رضا مصری کا سفر نامہ ہندوستان بھی تھا، دونوں کے ہندوستان سفر کرنے کی وجہ دار العلوم ندوۃ العلماء لکھنو کی طرف سے دعوت تھی، رشید رضا مصری 1912ء میں دار العلوم ندوۃ العلماء اور خاص طور سے علامہ شبلی نعمانی جن کے عربی مضامین اس دور کے مصری جرائد و رسائل، الھلال، المنار اور المؤید میں شائع ہوتے تھے کی دعوت پر ہندوستان تشریف لائے، ان کے اعزاز میں ایک بڑے جلسہ کا اہتمام کیا گیا، عمائدین اور دوسرے لوگ بھی شریک تھے، اس لئے مولانا ابو الکلام آزاد جو ۱۹۰۸ء میں علامہ شبلی کے زیر تربیت رہ چکے تھے نے رشید رضا مصری کی تقریر کا ترجمہ کیا، رشید رضا مصری نے سفر نامہ مرتب کیا، اور المنار میں قسط وار شائع کیا، اسی المنار میں علامہ شبلی کی کتاب الانتقاد علی التمدن الاسلامي لجرجي زيدان بھی قسط وار شائع ہوئی۔ محمد عبد المنعم خفاجی کا سفر نامہ " أيام في كيرالا " بھی میرے سامنے تھا، میرے قاہرہ کے قیام کے دوران ہفتہ میں پانچ دن ضرور ان سے ملاقات ہوتی تھی، پر لطف گفتگو ہوتی تھی، یہ

ملاقات پروفیسر نائل کے ساتھ وکیل کلیۃ اللغۃ العربیۃ کے آفس میں ہوتی تھی۔ میں نے بغیر کسی استخارہ کے محمد المجذوب کے سفر نامہ کو اختیار کیا، شاید کہ ان کو دیکھنے اور سننے کا موقع ملا تھا، محمد سعید الطریحی نے جو اپنی کتاب موسوعۃ الرحلات الھندیہ میں محمد المجذوب کے ہندوستان سے متعلق سفر نامہ کا انتخاب پیش کیا ہے، میں نے اس کو سامنے رکھا ہے، محمد سعید الطریحی ایک بہت بڑے شیعہ اسکالر ہیں وہ اپنے عقیدہ میں بہت پختہ ہیں، بڑی تعداد میں ان کی کاوش اس مسلک سے متعلق مصنفین کی کتابوں کی تحقیق و اشاعت سے تعلق رکھتی ہیں، جہاں کہیں بھی موقع ملتا ہے وہ اپنے بنیادی افکار کا اظہار ضرور کرتے ہیں، ان کی سرگرمی کا مرکز ہالینڈ اس کے بعد ممبئی ہے۔ ان کی ۸ جلدوں میں شائع کردہ کتاب موسوعۃ الرحلات الھندیہ ایک بڑا کارنامہ ہے، سفر ناموں کے مصنفین کے تعارف میں کہیں کہیں ان کی فکر واضح ہو جاتی ہے، اکثر سفر نامے انتخابی شکل میں ہیں، اکثر سفر ناموں میں سے ہر ایک سفر نامہ کے اہم حصے کا انتخاب شائع کیا ہے اس میں کوئی خرد برد نہیں ہے۔ جہاں تک انیسویں بیسوی صدی کے ہندوستان سے متعلق سفر ناموں کا تعلق ہے اس سے متعلق ایک تحقیقی مقالہ عبد الوہاب نے ڈاکٹر جاوید ندیم کی نگرانی میں "صورالثقافۃ الھندیۃ في الرحلات الھندیۃ دراسۃ وصفیۃ نقدیۃ" کے عنوان سے تحریر کیا ہے، اس میں دس سفر ناموں کا جائزہ لیا گیا ہے، ان میں سے سات سفر ناموں کو محمد سعید الطریحی نے بھی نقل کیا ہے، البتہ یوسف کمال، عبد الوھاب العمرانی اور محمد ناصر العبودی کے سفر ناموں کو اس کے موسوعہ میں جگہ نہیں ملی ہے البتہ عبد الوہاب نے جن سفر ناموں کا جائزہ لیا ہے محمد سعید الطریحی کے موسوعۃ الرحلات الھندیہ میں ان کے علاوہ تقریبا ۲۰ سفر نامے ہیں جن کا تعلق انیسویں اور بیسویں صدی سے ہے، عبد الوہاب نے مقدمہ میں اگر ان کا ذکر کیا ہے تو مجھے اس کا علم نہیں ہے، محمد سعید الطریحی نے انیسویں صدی سے قبل کے سفر ناموں میں سے معدودے چند کو نقل کیا ہے تمام سفر ناموں کا احاطہ نہیں کیا ہے۔

محمد المجذوب(1907ء-1999ء):

سرزمین شام میں کئی نامور محمد المجذوب گذرے ہیں، ان میں کوئی اعلیٰ درجہ کے سیاست داں اور کوئی نامور مغنی و نغمہ نگار رہے ہیں، ہمارے محمد المجذوب جو طرطوس میں 1907ء میں پیدا ہوئے اور 1999ء میں دار فانی سے اسی سرزمین سے کوچ کر گئے، وہ علم وادب اور علوم دینیہ کے واقعی مجذوب تھے، دینداری، تقویٰ، اور پرہیز گاری میں قرآن وسنت کے مجذوب تھے، اس کے علاوہ صحابہ کرام، تابعین اور تبع تابعین کے خالص مسلک کے پیروکار تھے، اس کے بعد کے دور میں تصوف اور شریعت وطریقت کے نام پر جو دین میں اضافے ہوئے ان سے وہ بیزار تھے، ان کی زندگی کے علاوہ ان کی تحریریں اس بات کی شاہد ہیں۔ ان کا خاندان تجارت سے وابستہ تھا، علوم دینیہ اور عربی زبان وادب سے بھی گہری وابستگی تھی، ایسے ماحول میں ان کی پرورش ہوئی، ابتدائی تعلیم مکاتیب میں حاصل کی، پھر عثمانی حکومت کی تعلیم گاہوں میں تعلیم حاصل کرنے کا سلسلہ جاری رکھا، ان اداروں سے فراغت کے بعد مختلف فنون کے اساتذہ سے علم کی پیاس بجھائی، خاص طور سے اپنے چچا عبد اللہ المجذوب سے علوم وفنون کا کسب فیض کیا، تدریس کا مشغلہ اپنے وطن میں ہی اختیار کیا، ان کے والد کا انتقال اس وقت ہی ہو گیا، جب کہ وہ پندرہ سال کے تھے، خاندان کی ذمہ داری ان پر آئی، انھوں نے اس کو بخوبی پورا کیا، اور سولہ سال کی عمر میں رشتہ ازدواج میں منسلک ہوئے ، زندگی نشیب و فراز سے گزرتی رہی ، ملک کی آزادی کے لئے فرانسیسیوں سے نبرد آزما بھی ہوئے، دوسروں کی طرح وہ بھی قید و بند کی صعوبتوں سے ہمکنار ہوئے، اور ایک مرد مجاہد کی زندگی گزاری، ۱۳۸۳ھ میں سعودی عرب ہجرت کر گئے، اور مدینہ یونیورسٹی سے بحیثیت استاد وابستہ ہو گئے، یہاں تک کہ ۱۴۰۳ھ میں بحسن و خوبی ملازمت سے سبکدوش ہو گئے، زندگی کا باقی حصہ بھی سعودی عرب میں گزارا، ۱۹۹۶ء

میں وہاں سے لوٹ کر اپنے ملک شام میں لاذقیہ کے مقام پر زندگی کے آخری ایام گزارے، دنیاومافیہا سے الگ ہو کر عزت کی زندگی گزاری، قلم و قرطاس کو اپنا ساتھی بنایا، اور چار کتابیں تالیف کی، یہاں تک کہ جون 1999ء میں اپنے خالق حقیقی سے جاملے، شام ولبنان کے علماء، ادباء اور اہل قلم کے مشورہ پر تدفین میں تاخیر کی گئی، تین دن کے بعد شاگردوں، بہی خواہوں اور اہل علم کے ہزاروں کی تعداد میں لاذقیہ میں تدفین عمل میں آئی، اور ان کی قبر کے سامنے قصیدے اور مرثیے پڑھے گئے، دین کی دعوت میں قید وبند کی صعوبتوں میں اور دین کی خدمت کے لئے وطن سے دور زندگی گزاری۔ ان کی تصنیفات کی فہرست طویل ہے، ان میں سے چند کے نام لکھے جاتے ہیں۔ 1- علماء ومفكرون عرفتهم (ثلاثه اجزاء) 2- فضائح المبشرين 3- اليوبل الفضى الذهبي 4 - المرشد في الأدب العربي (مع آخرين) 5- نارونور (شاعری کا دیوان، مشہور شاعر بدوی انجیل نے اس پر مقدمہ لکھا) 6- من تراث الأبوة (مسرحية) 7 - قصص من الصميم 8 - صور من حياتنا. 9 - فارس غرناطة وقصص أخرى (مجموعة قصصية) 10 . الأدب العربي (للسنة الأولى للجامعة الإسلامية) 11 - الأدب العربي (للسنة الثانية للجامعة الإسلامية) 12 - دروس من الوحى - 13 - قصص وعبر 14 - مشكلات الجيل في ضوء الاسلام . 15- تأملات في المرأة والمجتمع - 16 - مشاهد من حياة الصديق - 17 - همسات قلب (ديوان) 18- قصص من سورية 19 - مدينة التماثيل 20- قاهر الصحراء – 21 - ثورة الحرية - 22 - الكواكب الأحد عشر 23- بطل إلى النار.

محمد المجذوب کا علمی وادبی سفر بیس سال کی عمر میں شروع ہوا، اس عمر میں انہوں نے ایک وطنی قصیدہ لکھا، ایک مقامی رسالہ میں شائع ہوا، پھر انہوں نے ایک مختصر کتاب نصرانیوں کے جواب میں "فضائح المبشرين" کے عنوان سے تحریر کی، اس کے بعد ان کے علمی وادبی نگارشات کا سلسلہ جاری رہا، اور انہوں نے پچاس کے قریب کتابیں اپنی یادگار چھوڑی۔ ان کی تحریریں اسلامی فکر کی آئینہ دار ہیں، اسلامی فکر ان کی تحریروں کی

بنیاد اور اساس ہے، انہوں نے جو کچھ کہا اور لکھا اسلامی نقطہ نظر کی اس میں ترجمانی پائی گئی، انھوں نے جو کچھ دیکھا ان کا زاویہ نگاہ اسلامی فکر سے مربوط ہے، ہر ایک چیز کا تجزیہ اسلامی اقدار کی روشنی میں کیا ہے، ان کی تحریروں میں سیریا، اور عالم اسلام میں پیش آنے والے واقعات کی تصویر نظر آتی ہے، اپنی فکر کی وجہ سے ادب اسلامی کے پہلے داعیوں میں شمار کئے جاتے ہیں، انھوں نے رسالہ "حضارۃ الاسلام" میں بڑی تعداد میں مقالے لکھے، ان میں اسلامی روح کا عنصر بھرپور طریقہ پر پایا جاتا تھا، وہی مقالات کتابی شکل میں "مشکلات الجیل فی ضوء الاسلام" کے عنوان سے شائع ہوئے، انھیں مطالعہ کا بچپن سے بے حد شوق تھا، پڑھنے کے لئے کتابیں کرایہ پر لاتے تھے، ان کے گھر والے سو جاتے تھے، اور وہ چراغ کی روشنی میں پڑھتے رہتے تھے، مطالعہ ہی ان کی زندگی کا مشغلہ تھا، اور تاحیات اس میں مشغول رہے۔ اپنی جوانی سخت جدوجہد میں گزاری، خاندان اور گھر والوں کی ذمہ داری پوری کرنے میں کوئی کسر نہیں چھوڑی، علم ومطالعہ اور سخت جدوجہد کا نتیجہ تھا، کہ ۱۹۴۸ء میں (جامعة الدول العربية) عرب لیگ کی طرف سے انہیں پہلا انعام اس بات پر ملا کہ سینکڑوں ترانوں میں سے ان کے ترانہ کو قومی ترانہ کے طور پر منتخب کیا گیا۔

جہاں تک سفر ناموں اور سفر کی بات ہے ان کا سفر نامہ "مشاهداتي في الهند" جس کو محمد سعید الطریحی نے "موسوعة الرحلات الهندية" میں پیش کیا ہے، میں نے اس کی نقل دار العلوم ندوۃ العلماء کے شبلی کتب خانہ سے حاصل کی اور تلاش بسیار کے بعد انٹرنیٹ پر دستیاب ہوا، اس سفر نامہ کی عبارتوں سے معلوم ہوتا ہے کہ انھوں نے انڈونیشیاء، فلپائن وغیرہ کا سفر ہندوستان میں سفر کرنے سے پہلے کیا، جہاں تک ہندوستان کے سفر کا تعلق ہے، ایک سے زیادہ مرتبہ انھوں نے ہندوستان کا سفر کیا، دو سے زیادہ بار دار العلوم ندوۃ العلماء کی دعوت پر سفر کیا، اور انھوں نے ایک سے زیادہ سفر نامہ

تحریر کیا، ان کا سفر نامہ مشاهداتي في الهند جو دار الاعتصام قاہرہ سے ۱۹۸۴ء میں شائع ہوا ہے، میرے سامنے ہے، کتاب کے عنوان کے اوپر انھوں نے لکھا، یادیں جو فراموش نہیں کی جاسکتی ہیں۔ (ذکریات لاتنسی) اور کتاب میں تقدیم کے عنوان سے ایک مختصر عبارت ہے انھوں نے تحریر کیا کہ دوسری کتاب ہے جس میں اپنے تاثرات جس کو عالم اسلامی کے بعض علاقوں کے سفر کے دوران محسوس کیا ہے، قلمبند کیا ہے خاص طور سے ہندوستان کے کئی خطے میں جو کچھ میں نے مشاہدہ کیا اور رائے قائم کی ہے، پہلی کتاب کے مقدمہ میں میں نے جو کچھ کہا اسی کو دوبارہ تقدیم کے طور پر پیش کرتا ہوں، میں کوئی ایسی معلومات پیش نہیں کرتا ہوں، جو عقل کو حیرت زدہ کر دے، اسی قدر ذاتی تاثرات کی تصویر کشی کرتا ہوں جو دل سے محو گفتگو ہو۔ اس مرحلہ میں قاری کو اور کیا حاجت ہو سکتی ہے کہ انسان کی زندگی سے دلوں تک کی بات ہو۔

محمد المجذوب نے سفر نامہ مشاہداتی فی الہند میں اس سفر کے احوال، اور ہندوستان کے حالات و تاثرات کو بیان کیا ہے، دارالعلوم ندوۃ العلماء لکھنو کی دعوت پر یہ سفر صفر کے مہینہ ۱۴۰۱ھ مطابق ۱۹۸۰ء میں کیا تھا، یہ سفر تقریبا ایک مہینہ پر مشتمل تھا، لکھنو کے علاوہ سورت، گجرات، ممبئی، دہلی، اعظم گڑھ اور بنارس کے تمام بڑے دینی اداروں کی دعوت پر وہاں تشریف لے گئے، ان علاقوں کی تہذیب و ثقافت کو انھیں دیکھنے کا موقع ملا، ہر ایک چیز کو اپنے دینی و فکری نقطہ نگاہ سے دیکھا اور اپنے تاثرات کو قلمبند کیا۔ اس سفر نامے میں دوران سفر جن مشکلات سے دوچار ہوئے ان کا ذکر کیا، وہ شخصیات جن سے ملاقات ہوئی یا جن کے متعلق وہ جانتے تھے ان کے متعلق تحریر کیا، انہوں نے یہاں کے بازار، تجارتی ادارے، دوکان، ہوٹل، کرنسی، ہوائی اڈے، ہوائی سفر، موٹر گاڑی، ریل، ریلوے اسٹیشن، نقل و حمل کے وسائل، کھانے کے مقامات، کھانے کے اقسام،

سڑکیں، باغات، دریاؤں، درختوں، مساجد اور محل کے ذکر کرنے کے ساتھ ہندوستان کی صنعت و حرفت کو گفتگو کا موضوع بنایا، اور سفر نامہ کو اسلامی ادبی رنگ میں پیش کیا، قرآنی آیات اور احادیث کے حوالہ سے اپنی بات کہی، اور اشعار سے اپنی بات کو ادبی پہلو عطا کیا، زبان و بیان کی چاشنی اور بلاغت سے سفر نامہ کی عبارت پر کشش اور خوبصورت ہو گئی۔

سفر نامہ کا اس مختصر مضمون میں احاطہ مشکل ہے، انھوں نے ذیلی عناوین قائم کئے ہیں سو سے زائد ہیں، سفر نامہ ۲۰۷ صفحہ پر مشتمل ہے، إلى الهند عنوان کے تحت انہوں نے اپنے سفر کے آغاز کا ذکر کیا ہے، انھیں دارالعلوم ندوۃ العلماء لکھنو کے پچاسی سالہ جشن میں شرکت کے لئے ۱۹۷۵ء میں دعوت دی گئی تھی لیکن بعض اسباب کی وجہ سے وہ اس وقت سفر نہیں کر سکے، یہ سفر بھی سال دو سال پہلے بھی متوقع تھا، لیکن سفر نہ ہو سکا، لیکن مولانا ابوالحسن علی ندوی کے بار بار اصرار کے بعد مدینہ یونیورسٹی کے نائب رئیس عبداللہ الزائد کے دور میں یہ سفر ممکن ہو سکا، انھوں نے دارالعلوم ندوۃ العلماء کی دینی تعلیمی، تربیتی ، دعوتی خدمات کا اعتراف اور ابوالحسن علی ندوی کی معاصر فکر اسلامی کی اشاعت میں غیر معمولی کردار کا ذکر بلند الفاظ میں کیا۔ انہوں نے سفر کا آغاز ۲ صفر ۱۴۰۱ھ کی صبح کیا، مدینہ منورہ سے جدہ، وہاں سے براہ کویت ، دہلی اور وہاں سے لکھنو کا سفر کیا، کویت ایر پورٹ پر ہی سامان کی گمشدگی کا علم ہوا، وہاں پر پانچ گھنٹہ سے زیادہ دیر تک دہلی کے طیارہ کے لئے انتظار کرنا پڑا، اس انتظار کو سخت تکلیف دہ قرار دیا، کویت ایر پورٹ کو قید خانہ سے تعبیر کیا، انہیں باہر جانے کی اجازت نہیں دی گئی ورنہ دوستوں سے مل کر راحت محسوس کرتے ، اس حزن و ملال کی کیفیت کو انھوں نے اشعار میں قلمبند کیا ہے۔ دہلی اور لکھنو ائیر پورٹ پر زبان کا مسئلہ بھی پیش آیا، خیر دوسرے دن لکھنو پہنچے، ان کی اسلامی فکر ہر جگہ پر ان کے لئے ایک تصور تھا، جو ہندوستان اور عام جگہوں پر نظر نہیں آتا تھا، دہلی ایر

پورٹ پر نیم برہنہ یوروپی لباس میں خاتون کو دیکھ کر بہت متفکر ہوئے، اور اپنی ناپسندیدگی کا اظہار بلیغ اسلوب میں کیا ہے۔ خیر لکھنو ایر پورٹ سے فون پر انہوں نے اپنی آمد کی اطلاع ندوہ والوں کو دی جو ان کے منتظر تھے، مولانا محمد رابع صاحب اور مولانا محمود الازہار صاحب نے ایر پورٹ پہنچ کر ان کا خیر مقدم کیا، ایر پورٹ کے باہر درختوں کے درمیان جو کچھ دیکھا ان کی منظر کشی کی، پھر دار العلوم ندوۃ العلماء پہنچ کر دینی اسلامی فضا، اور ماحول کو دیکھ کر جو سرور وانبساط محسوس کیا، اس کو نہایت ہی پر کیف انداز میں بیان کیا۔

سڑکوں اور لکھنو یونیورسٹی کے طلبہ کے ماحول کا ذکر کرنے کے بعد گومتی ندی کے کنارے فقیروں اور غریبوں کی آبادی کی بدحالی اور ساتھ ہی ہندوؤں کا دریا کنارے پوجا پاٹ، اور ندی کے پانی کی تقدیس پر اپنے نقطہ نظر سے اظہار خیال کیا ہے، امین آباد جاتے ہوئے قیصر باغ کے نزدیک جو سلاطین کے مقبرے ہیں محل سے تعبیر کرتے ہیں، اس پر اظہار خیال کیا ہے، انھوں نے کسی جگہ عورتوں کی ننگی تصویر دیکھ کر، مرد وعورت کی جنسی حالت میں تصویر دیکھ کر "فن مدمر" سے تعبیر کیا یعنی ایسا آرٹ جو تباہ کن ہے۔ سڑک کنارے ٹھیلے والے جو خورد ونوش کے سامان بیچتے ہیں، عام طور سے وہاں صفائی نہیں ہوتی ہے اور بیچنے والے کے لباس صاف ستھرے نہیں ہوتے ہیں، اس پر بھی اظہار خیال ہے، ہوائی جہاز سے آنے والے سامان نہ ملنے کی وجہ سے ضروری سامان اور لباس خریدنے کے لئے حضرت گنج گئے، سامان ان کو مہنگے محسوس ہوئے، سامان کے مہنگے ہونے کی وجہ حکومت کی جانب سے مختلف نوعیت کے ٹیکس لگانا ان کو سمجھ میں آیا۔ ہندوستان میں مصنوعات کی کثرت اور خود مکتفی ہونے کی بنیادی وجہ یہ بتائی کہ جنگ آزادی کے دوران ہندوستانیوں نے برطانوی ساز وسامان کا بائیکاٹ کیا، اور ہندوستانی سامان کی پیداوار کی طرف توجہ کی، وہیں سے ہندوستانیوں میں خود مکتفی ہونے کا رجحان پروان چڑھا، اور

ہندوستان نے خود ملفی ہونے کے لئے صحیح اقدام کیا۔ محمد المجذوب نے ہندوستان کے نقل وحمل کے متعلق بھی لکھا، آج سے ۴۵ سال پہلے جو حالات تھے، ان کو دیکھتے ہوئے لکھا کہ پیٹرول کی پیداوار ہندوستان میں بہت کم ہے، ہندوستانی حکومت اس کے لئے کوشش کر رہی ہے لیکن پیٹرول مہنگے ہونے کی وجہ سے موٹر گاڑیوں کی تعداد بہت کم ہے، اس کے نتیجہ میں ٹرین سے سفر کرنے والوں کی تعداد بہت زیادہ ہے، اور ٹرین میں بہت بھیڑ رہتی ہے، البتہ آسام میں تیل کی پیداوار ہے اس کے علاوہ دوسرے علاقے جہاں تیل پایا جاتا ہے وہاں کے لوگ اس علاقہ کو مرکزی حکومت سے الگ کر لینا چاہتے ہیں، اس کے علاوہ آسام میں اسی وجہ سے بنگلہ دیش سے لوگ منتقل ہوتے ہیں، مقامی باشندوں سے ان کی کشمکش ہوتی ہے، نتیجہ قتل وغارت وخونریزی کی شکل میں ظاہر ہوتا ہے۔

دار العلوم ندوۃ العلماء نے ان کو اس لئے دعوت دی تھی کہ ان سے علمی استفادہ کیا جائے، اس غرض کے لئے ان کے لکچر کا اہتمام کیا گیا، ہفتہ میں روزانہ ایک لکچر دینا طے کیا گیا، ان میں سے ہر ایک ہفتہ روزانہ کے اعتبار سے ۴ ادب کے موضوع پر اور دو دن دو لکچر دعوت وتربیت کے موضوع پر دیا، جمعہ کے دن جمعہ کا خطبہ بھی ان کے ذمہ کیا گیا، اس کے علاوہ بھی لکچروں کا اہتمام کیا گیا، ان عام لکچروں میں ادب وبلاغت کے موضوع پر گفتگو کی جاتی اور طلبہ ان سے سوالات کرتے۔ لکھنو کے قیام کے دوران مختلف شخصیات سے ملاقات کی مولانا محمد منظور نعمانی سے خاص طور سے ملے، ان کے کاموں کو خوب سراہا، ردبدعت پر ان کی کاوشوں کی ستائش کی، تکیہ رائے بریلی بھی تشریف لے گئے ،مولانا ابوالحسن علی حسنی ندوی کی سادگی اور پر لطف دعوت کے بارے میں بھی خوب خوب لکھا، اس کے علاوہ لکھنو کی خوب سیر کی لکھنو کے شیعہ سنی فساد کا بھی ذکر کیا، امام باڑے بھی دیکھے، شیعوں کے مجالس بھی دیکھے اس پر تبصرہ بھی کیا، ریزیڈنسی بھی دیکھا ور

انگریزوں کی استعماریت پر بھی اظہار خیال کیا، تفصیلات اور تاثرات بہت طویل ہیں یہاں پر ذکر محال ہے، تین ہفتے کے بعد ۱۹ / صفر ۱۴۰۱ھ کو انہوں نے براہ کانپور، بنارس اور اعظم گڑھ کا سفر کیا، بنارس میں مدرسہ سلفیہ تشریف لے گئے، اس کی دینی خدمات کو سراہا، بنارس کی مصنوعات اور وہاں کے ہندوؤں کی تہذیب و عقیدہ پر بھی اسلامی فکر کے اعتبار سے اظہار خیال کیا، مولانا ابو اللیث ندوی کی دعوت پر اعظم گڑھ تشریف لے گئے، مدرسۃ الاصلاح اور مدرسۃ الفلاح گئے، وہاں انھوں نے تقریریں کی اور وہاں کے علماء سے مل کر بڑی اپنائیت کا اظہار کیا، دار المصنفین وہ خاص طور سے گئے، علامہ شبلی اور مولانا سید سلیمان ندوی کی خدمات کو خراج تحسین ادا کیا، عمالقة الفكر الاسلامي بالهند کے عنوان کے تحت ان کا خاص طور سے ذکر کیا، گاندھی کے افکار و اعمال کو اسلامی نقطہ نظر سے دیکھنے کی کوشش کی، اندرا گاندھی کے خلاف مظاہرے کا تذکرہ بھی کیا، شیشے والی مسجد کے بارے میں لکھا، شیعوں کی سب سے بڑی مسجد کا ذکر کرتے کرتے ہوئے لکھا، وہاں مصلیوں کا پتا تو نہیں تھا، البتہ لکڑیوں کے وہ ٹکڑے جس پر وہ سجدہ کرتے ہیں ایک صندوق میں بھرے ہوئے رکھے تھے، ہندوؤں کے کئی بڑے مندر بھی دیکھنے گئے مورتیوں کا ذکر کیا، ہر ایک مقصد کے لئے الگ الگ معبودوں کو بھی دیکھا، اور ان کا اسلامی نقطہ نظر سے جائزہ لیا، انہوں نے نہایت ہی فکری علمی انداز اور بلیغ اسلوب میں ہر ایک چیز سے متعلق بات کہی ہے، بنارس جامعہ سلفیہ کے علماء سے ملاقات کی، بنارس میں بریلیوں کی مسجد جہاں بہت سی قبریں تھیں اس کو بھی دیکھا، اپنے مسلک کے اعتبار سے تبصرہ کیا، پھر بنارس کی بڑی مندروں کو اور شمسان گھاٹوں کو دیکھا، خالص ایمانی انداز میں اس کا جائزہ لیا- بنارس سے اعظم گڑھ کے لئے روانہ ہوئے، جامعۃ الفلاح میں کھیتوں کی ہریالی، مختلف قسم کے کھیت اور باغات دیکھ کر بہت لطف اندوز ہوئے، جامعۃ الفلاح کے بعد کلیہ البنات بھی گئے،

لڑکیوں کی تعلیم سے متاثر ہوئے، پھر لوٹ کر جامعۃ الرشاد حاضر ہوئے، پھر دارالمصنفین گئے، وہاں کی ہر ایک چیز پر ان کا تبصرہ سفر نامہ میں ہے اس کی دینی علمی خدمات پر عش عش کرتے رہے، اعظم گڑھ میں علمی شخصیتوں اور اداروں کا ذکر کے اسے علم کا شہر قرار دیا، پھر بنارس واپسی کے موقع پر بدھ مذہب کے ایک مرکز کا بھی مشاہدہ کیا۔ بنارس میں گنگا کے کنارے صبح بنارس کا بھی مشاہدہ کیا، بڑے خوبصورت انداز میں سفر نامہ میں اس کی منظر کشی ہے، اس کے بعد جامعہ مظہر العلوم کے متعلق اچھے الفاظ میں ذکر کیا، پھر جامعہ سلفیہ کے متعلق قدرے تفصیل سے لکھا، جامعہ سلفیہ سے متصل دار العلوم دیو بند کی ایک شاخ کا معائنہ کیا، اس کے بعد ایک متشدد ہندو اور اس کے اعمال کا ذکر کیا، اس کے بعد وہ بنارس ایر پورٹ پہنچے، وہاں سے دہلی اور وہاں سے ممبئ پہنچے، وہ لکھتے ہیں کہ جہاں جایئے بدعتی ہی ملتے ہیں۔ ان کو ہندوستانی ثقافت میں ساڑی سے بہت الرجی ہے، اس کو خالص غیر اسلامی لباس قرار دیتے ہیں، اس سلسلہ میں کچھ اشعار بھی نقل کرتے ہیں اس کا عنوان الساری الشیطان رکھا ہے۔

اس کے بعد ممبئ سے متعلق باتیں ہیں، وہاں جو کچھ دیکھا، وہاں کی سیاحتی اور تاریخی جگہوں کو دیکھا، اس کی تفصیل سفر نامہ میں بیان کیا، اس کے بعد بذریعہ ریل ممبئ سے گجرات کے لئے روانہ ہوئے، اور سورت پہنچے، انہوں نے دریائے تاپتی اور اسلام کی آمد کا ذکر کیا، مدرسہ فلاح الدارین میں ان کے استقبال کی تفصیل بتانے کے بعد اہل گجرات کی دینی خدمات اور کتاب اللہ سے وابستگی کا اظہار کیا۔ تفصیلات کے بعد جامعہ تعلیم الدین ڈھابیل میں حاضری اور تعلیمی تفصیلات کو بیان کیا، اسلامی بینک کاری اور ہندوستان کے عربی طب کے رواج پر بھی گفتگو سفر نامہ میں شامل ہے، پھر ممبئ واپسی کے بعد وہاں کی مساجد میں حاضری کا ذکر اور محمد علی شوکت علی کا خاص طور سے ذکر کیا، اور دوسری

تفصیلات بیان کیا۔ پھر واپسی میں دہلی کے تاریخی مقامات کی سیر کی، ان کی تفصیل بیان کی، دہلی سے تاج محل دیکھنے بذریعہ طیارہ آگرہ بھی گئے، اس کے تاثرات بھی سفر نامہ کا حصہ ہیں، وہاں سے لوٹ کر دہلی اور وہاں سے لکھنؤ واپس آئے، پھر وہاں سے براہ ممبئ ایک ماہ کے سفر کے اختتام کے بعد سعودی عرب واپس آئے۔ محمد المجذوب دین کے داعی تھے، انہوں نے جو کچھ دیکھا اور تاثر قائم کیا، خالص دینی نقطہ نظر سے ہر ایک چیز کو دیکھا، اور اس پر اظہار خیال کیا، انہوں نے ہندوؤں کے مذہبی فرقے، سکھ، مجوسی اور مسلمانوں کے فرقے، شیعہ، اسماعیلیہ، وہابی اور بریلوی سب کے متعلق صاف الفاظ میں قرآنی آیات اور احادیث کو پیش کرتے ہوئے اپنے خیالات کا اظہار سفر نامہ میں کیا، اس لحاظ سے یہ سفر نامہ مختلف ہے کہ خالص اسلامی فکر اس کے ہر ایک جملہ اور عبارت سے عیاں ہے، زبان و بیان کی بلاغت، دلکشی اور رعنائی جمال ایک معیاری ادبی نگارش کی تصویر پیش کرتی ہے، زبان وادب کا جو حسن سفر نامہ کی عبارت میں ہے جس کے پاس عربی زبان کا ذوق ہے وہ اس سے لطف اندوز ہوئے بغیر نہیں رہ سکتا ہے۔

***

ڈاکٹر محمد اکرم السلام اعظمی*

ہندستانی عورت ایک مصری سیاح کی نظر میں

سفر مانندِ سقر بھی ہے اور وسیلۂ ظفر بھی، اس کے دشوار گزار مراحل خار وخاش کا اندوختہ بھی ہیں نیز مسافر نوای، فتح مندی اور حصول یابی کے گلہائے رنگارنگ کا حسین گل دستہ بھی۔ برصغیر ہند کی طرف عربوں کی تگ وتاز کے افسانے یوں تو تاریخ انسانی کے اوائل سے ہی ملنا شروع ہو جاتے ہیں، تاہم اموی اور بالخصوص عباسی عہد میں یہ چیز بڑی دستاویزی شکل اختیار کر لیتی ہے اور عربوں کی نوع بہ نوع سفری رودادیں اور دل چسپ سفرنامے ہمیں پڑھنے کو مل جاتے ہیں؛ جن کو پڑھنے سے ان عرب سیاحوں کی بصارت وبصیرت کے متعدد و معتبر نمونے ہمارے دامن دل کو اپنی طرف کھینچ لیتے ہیں۔ عہد عثمانی میں سفر کے یہ جلوے کچھ کم ہو جاتے ہیں یا یوں کہا جائے کہ عربوں کے ہندی سفرناموں کی جھلک قدرے مندمل ہو جاتی ہے لیکن انیسویں صدی عیسوی اور بالخصوص بیسویں صدی عیسوی میں فضائے ادب کا یہ منظر نامہ عود کر آتا ہے اور دوبارہ اہلِ ذوق کا مرکز توجہ بن جاتا ہے۔

بیسویں صدی عیسوی میں متعدبہ عرب سیاحوں نے ہندستان کے سفر کیے اور یہاں کے احوال وآثار کو اپنی نگارشات اور سفرناموں میں قلم بند کیا لیکن شاید اس صدی نے محمد ثابت مصری (متوفی 1958)) کے ہم پلہ کسی اور عرب سیاح کو نہ دیکھا ہو،

*شعبۂ عربی، یونیورسٹی آف دہلی mmakram1971@gmail.com

جس نے صرف برصغیر ہند ہی نہیں بلکہ قدیم وجدید دنیا کے شاید ہی کسی خطے کو اپنی نقل وحرکت سے اچھوتا چھوڑا ہو، کہنے کو تو اس سیاح کا نام ثابت ہے لیکن اپنی جولانیوں اور مہم جوئیوں کے اعتبار سے وہ ثابت نہیں بلکہ سیّارہ ہے۔ ایسا لگتا ہے گویا سیر وسیاحت کے لیے ہی اسے پیدا کیا گیا تھا، دنیا کا کون سا برّ اعظم ہے، جہاں اس کے قدم نہ پڑے ہیں، کون سا ایسا قابلِ ذکر خطۂ ارضی ہے، جس نے اس مسافر کے قدم نہ چومے ہوں، علاّمہ اقبالؒ کا یہ مشہور مصرعہ

دشت تو دشت ہیں دریا بھی نہ چھوڑے ہم نے

اس عظیم سیاح پر صادق آتا ہے، اور بلاشبہ اسے بیسویں صدی کا عرب جہانیانِ جہاں گشت کہا جاسکتا ہے۔ محمد ثابت جتنے بڑے سیاح ہیں اتنے ہی بڑے قلم کار بھی ہیں، ان کے قلم سے بیس کے قریب سفر نامے نکلے ہیں اور تقریباً اتنی ہی تعداد میں ان کی دوسری ادبی نگارشات بھی ہیں، غالباً ان کے انھی سفر ناموں کے پیش نظر ہی ایک عرب ناقد ڈاکٹر محمد الجوادی(1958-2023) نے ان کے حوالے سے یہ لکھا ہے کہ: الرحالة محمدثابت الذي علّمنا أدب الرحلات (۱) یعنی محمد ثابت وہ سیاح ہیں جنھوں نے ہمیں سفر نگاری سکھائی ہے اور أدب الرحلة کا ہمیں درس دیا ہے۔ افسوس کہ ہمارے مورخین نے محمد ثابت پر کماحقہ توجہ نہیں کی چنانچہ عام طور پر ان کے بارے میں دوچار سطری سوانح ہی پڑھنے کو ملتے ہیں جن میں ان کی تاریخ پیدایش تک کا بھی ذکر نہیں ہے، بھلا ہو سندباد العصر أنيس منصور کے مؤلف محمد رضوان کا؛ جنھوں نے اپنی اسی کتاب کی ایک مختصر فصل کے اندر قدرے تفصیل سے اس ممتاز سیاح کے حالات رقم کیے ہیں۔ان کے مطابق محمد ثابت کی پیدایش قاہرہ کے اندر ۱۹۰۰ میں ہوئی۔ بدوِ شعور سے ہی وہ ورزش کے خوگر اور سفر کے شائق تھے، ثابت نے تیرہ سال کی عمر میں

طالب علمی کے زمانے میں الجیزہ سے سقارہ تک کا ایک سفر اونٹ کی پیٹھ پر سوار ہو کر کیا تھا جو بالآخر ان کے آیندہ اسفار کا پیش خیمہ ثابت ہوا۔

مدرسۃ المعلمین العلیا سے فارغ التحصیل ہونے کے بعد محمد ثابت کا تقرر سکنڈری (ثانوی) درس گاہ میں جغرافیہ کے معلم کی حیثیت سے ہوا، پھر وہ وزارتِ تعلیم میں سوشل سروسز کے نگراں مقرر ہوئے، بعدازاں معہد المعلمین کے پرنسپل کی حیثیت سے خدمات انجام دیں اور اختیاری طور پر کلیۃ النصر میں انھوں نے رضاکارانہ سماجیات کی کلاسز بھی لیں۔ محمد ثابت کا سفر حیات کچھ اس طرح تمام ہوا کہ وہ کلاس روم کے اندر محوِ تدریس تھے کہ اچانک ان کے دماغ کی رگ شق ہو گئی اور برین ہیمریج کے زیر اثر ۱۹۵۸ میں اپنے طلبہ کے درمیان انھوں نے داعی اجل کو لبیک کہا۔ محمد ثابت اپنی متوسط اقتصادی زندگی کے باوجود ہر موسمِ گرما میں دوران تعطیل اپنے شوقِ سفر کی تسکین کے لیے اسباب ضرور بہم کر لیتے اور ہر سال کرۂ ارض کے کسی نہ کسی خطہ کے مشاہدے سے خود بھی بہرہ مند ہوتے اور اپنی دلچسپ رودادِ سفر سے اپنے قارئین کو بھی اس کا حصّہ بنا دیتے۔(۲)

ثابت اپنے جس سفر میں ہندستان تشریف لائے تھے وہ ۴ر جون ۱۹۳۲ کو تین بجے سہ پہر بروز جمعرات سوامارو نامی جاپانی کشتی کے ذریعہ مصر سے شروع ہوا تھا؛ جزیرۂ سراندیپ ہوتے ہوئے وہ جس ہندستانی شہر میں پہلے پہل داخل ہوئے وہ مدراس ہے، وہاں سے بہ ذریعہ ٹرین کلکتہ اور دارجلنگ پھر کلکتہ سے بنارس، وہاں سے دہلی و آگرہ پھر بمبئی اور بالآخر ریاستِ دکن ہوتے ہوئے واپس مدراس اور سری لنکا پہنچے؛ جہاں سے وہ اپنے وطن واپس لوٹے انھوں نے خود لکھا ہے کہ: "میرا یہ سفر ہندستان ڈیڑھ ماہ سے زائد مدت کا تھا، اس دوران میں وطن سے دوری کے علاوہ دو تلخ تجربوں سے مجھے گزرنا پڑا؛ ایک

تھا تپتی دوپہر کے گرم گرم تھپیڑے، دوسرے پھیلے ہوئے وبائی امراض کا خوف، اس سفر کے دوران پورے نو دن اور پندرہ گھنٹے میرے ٹرین میں گزرے۔"(۳)

ہندستان کے چار پانچ بڑے شہروں، مدراس، کلکتہ، بنارس اور دہلی وآگرہ وغیرہ کے بارے میں اس عرب سیاح نے بڑی تفصیل سے اپنے مشاہدات کو اپنی درج ذیل چار کتابوں میں قلم بند کیا ہے:

١ـ جولة في ربوع آسيا (بين مصر واليابان)

٢ـ جولة في ربوع العالم الإسلامي

٣ـ رحلاتي في مشارق الأرض ومغاربها؛ في الشرق الأقصى، الهند

٤ـ نساءالعالم كما رأيتهن

ہندستان میں اپنی پہلی منزل اور اس کے قدیم شہر مدراس کے حوالے سے اس نے لکھا ہے کہ:" مجھے یہ دیکھ کر حیرت ہوئی کہ شہر پاکھنڈیوں سے بھرا ہوا ہے، ان کے جسم بے لباس ہیں۔ اپنے بدن پر وہ لوگ طرح طرح کے نشانات، مختلف قسم کے نقش اور لکیریں کھینچے ہوئے ہیں؛ جن سے ان کے الگ مسلک ومشرب کا اندازہ ہوتا ہے اور ان کی خاص شناخت کا پتا چلتا ہے، میں یہ بھی دیکھتا تھا کہ ان کے پاس کوئی پاکیزہ مٹی ہوا کرتی تھی جسے حسبِ موقع اپنی جیب سے نکال کر یہ لوگ اپنے چہروں، سینوں اور بازوؤں پر الگ الگ انداز اور شکلوں میں لگالیا کرتے تھے۔ جب مجھے یہ معلوم ہوا کہ مدراس برہمنی مذہب اور ہندو دھرم کا گہوارہ ہے تو پھر میری یہ حیرت زائل ہوگئی۔ مدراس کی کل آبادی اکتالیس ملین ہے اور بیشتر ہندو ہیں انھی میں ڈیڑھ ملین پنڈت اور پروہت ہیں جن کا پورا اور مکمل گزران دوسرے لوگوں پر ہوتا ہے۔"(۴)

شہر کلکتہ کا ذکر کرتے ہوئے وہ لکھتا ہے کہ:"کلکتہ کا شمار اور شہرت ہندستان کے اقتصادی دارالحکومت کی حیثیت سے ہے۔ برطانوی قلم رو کا یہ دوسرا بڑا شہر ہے جس کی آبادی

سوا ملین سے متجاوز ہے۔" (۵)، "کلکتہ کی جملہ دیویوں اور دیوتاؤں کی سربراہ کالی ہے جس کے نام سے یہ شہر منسوب ہے کیوں کہ کلکتہ کے لفظی معنی 'کالی دیوی کے گھاٹ' کے ہیں۔ کالی کے مندر کو میں نے جا کر دیکھا، چوں کہ میں ایک مسلمان پردیسی تھا جسے وہ لوگ نجس سمجھتے ہیں، اس لیے اندر جانے کی اجازت تو نہیں ملی تاہم باہر سے اندر جب میری نظر پڑی تو میں نے دیکھا کہ ایک پروہت نے ایک بکرے کو پچھاڑ دیا اور دوسرے نے تلوار کے ایک وار میں اس کی گردن تن سے الگ کر دی، خون کالی دیوی کے قدموں کے نیچے سے بہنے لگا اور پروہت نے جے کالی جے کالی کے آوازے بلند کیے اور فوراً ہی بہت سی عورتیں تیزی سے زمین کی طرف جھکیں اور اس بہتے ہوئے خون کو اس غرض سے چاٹنے لگیں کہ اس کی بہ دولت انھیں اولاد ہوگی اور کچھ عورتیں اس خون میں کپڑے لتھیڑ کر اپنے سینے سے لگانے لگیں۔ مجھے معلوم ہوا کہ اس طرح روزانہ دوسو سے زیادہ جانوروں کی قربانی کالی کے اس مندر میں دی جاتی ہے۔"(۶)، "کالی کے اس مندر کے بارے میں سیاح نے وہاں پر حد درجہ گندگیوں اور بدبوؤں کا ذکر کر کے یہ صراحت کی ہے کہ اس متعفن ماحول میں مزید بدنمائی کا سبب اس دیوی کے وہ غریب زائرین ہیں جو عموماً نہایت گندے سندے اور میلے کچیلے ہوتے ہیں جبکہ وِشنو دیوتا کے معتقدین اہل ثروت ہوا کرتے ہیں، جس کے مندر الگ ہیں۔"(۷)

بنارس کے بارے میں محمد ثابت نے اپنے مشاہدات کا تذکرہ کچھ اس طرح کیا ہے کہ: "بنارس شاید وہ بہترین شہر ہے جس میں ہندستان کے تمام جلوؤں کی نمود پائی جاتی ہے کیوں کہ جدت طرازی یہاں سرایت نہیں کر سکی ہے، یہ ان تارک الدنیا زاہدوں، فلسفیوں اور مذہب کے شیدائیوں کا مستقر ہے جن کے اعتقادات ہماری نظروں میں خرافات سے زیادہ کچھ بھی نہیں، اور انہیں جو لوگ بھی دیکھتے ہیں ان کی حالت پر ترس

کھاتے ہیں۔اس شہر کو یہ فخر حاصل ہے کہ یہ دنیا کا قدیم ترین مقدس شہر ہے، یہ روما سے بھی ایک صدی پیشتر کا ہے، مکہ مکرمہ سے دوہزار سال پرانا ہے، اور ۵۵۸ ق م کا یہ ایک اہم شہر رہا ہے، جسکو کچھ ہی زمانے بعد مہاتما بودھ نے اپنی تعلیمات کا مرکز بنایا تھا۔" (۸) اس سفر نویس نے بنارس کے مندروں اور گھاٹوں کا قدرے تفصیلی ذکر کرنے کے ساتھ ساتھ وہاں کی اورنگ زیبی مسجد کا بھی ذکر کیا ہے۔(۹)

شہر بمبئی کے بارے میں غالباً سیاح محمد ثابت کے خیالات نہایت مثبت ہیں وہ لکھتا ہے کہ: "تمام ہندستانی شہروں میں یہ اکلوتا شہر ہے، جو اپنی شان وشوکت، وجاہت، اور حسنِ انتظام میں یوروپی شہروں کی یاد دلاتا ہے، یہ ہندستان کی تجارتی راج دھانی ہے یہاں پر زندگی ہر وقت رواں دواں اور چہچہاتی نظر آتی ہے۔" (۱۰)

اپنے پورے سفر ہند پر مجملہ تبصرہ کرتے ہوئے اپنے ایک سفر نامے میں وہ یوں رقم طراز ہے کہ: "یہ اس ہندستان کی ایک جھلک ہے جسے لوگ غلطی سے محض ایک ملک مانتے ہیں حالانکہ یہ اپنے آپ میں ایک برّاعظم ہے بلکہ پورا ایک جہان ہے کیوں کہ اس کی آبادی پوری دنیا کی آبادی کے ۵/۱ حصہ سے بھی متجاوز اور فزوں تر ہے۔ یہاں بے شمار قبائل آباد ہیں۔ یہاں پر لوگ دوسو بائیس بولیاں بولتے ہیں اور الگ الگ لکھی جانے والی مختلف رسم الخط کی پچاس کے قریب زبانوں کے مالک ہیں۔" (۱۱)

ثابت نے اپنے تمام سفر ناموں اور کتابوں میں متعلقہ جگہوں پر خواتین کی صورتِ حال کو ضرور موضوعِ گفتگو بنایا ہے، بلکہ اس سے آگے بڑھ کر انھوں نے اس موضوع پر نساء العالم کما رأیتھن کے نام سے ایک مستقل کتاب بھی سپردِ قلم کی ہے جس میں انھوں نے اپنے مشاہدے میں آنے والی صفحۂ گیتی کی مختلف رنگ ونسل والی متنوع خواتین کی منظر کشی کی ہے۔ ہندستان کی عورتوں کے حوالے سے انھوں نے اپنے مشاہدات کو بڑی ژرف بینی، دیدہ ریزی اور بے باکی کے ساتھ درج کیا ہے اور ان کی واقعاتی صورت حال کے مختلف نمونے پیش کیے ہیں، بلاشبہ بعض جزئیات انھوں نے اس حوالے سے ایسی

ثبت کی ہیں جنہیں پاکیزہ ادب کے بعض حاملین ممکن ہے فحش نگاری میں شمار کرلیں لیکن چوں کہ مجموعی طور پر قاری کو سیاح محمد ثابت کے یہاں ابتذال والتذاذ کا عنصر دیکھنے کو نہیں ملتا، اس لیے کہنا چاہیے کہ یہ اس کی فحش نگاری نہیں بلکہ حقیقت بیانی اور جز نگاری ہے۔ اس کتاب کے علاوہ اپنی تین اور کتابوں میں محمد ثابت نے بہت مفصل انداز میں اپنے سفری مشاہدات کے تحت ہندستانی عورت کو موضوعِ بحث بنایا ہے۔

ہندستانی عورت کا ذکر اس سیاح نے پیدایش سے لے کر موت تک کے مختلف مراحل کے ضمن میں بڑی تفصیل سے کیا ہے چنانچہ یہاں کے اونچے طبقے کے اندر بچی کی ولادت کا تذکرہ اس نے یوں کیا ہے:۔ "اس طبقے میں لڑکی کی پیدایش کو ناپسندیدہ نظروں سے دیکھا جاتا ہے اور بار ہا لڑکیوں کی پیدایش سے نالاں ہو کر شوہر دوسری بیوی لے آتا ہے ۔" (۱۲) بچیوں میں کم سنی کی شادی یعنی بال وِواہ کے رواج کا ذکر کرتے ہوئے اس نے شہر مدراس کا ایک منظر یوں بیان کیا ہے: "بارہا اور جابجا میری نظریں ان کم عمر چھوٹی بچیوں پر جا پڑتیں جن کی آغوش میں چھوٹے چھوٹے نونہال یوں نظر آتے گویا وہ ان کے کھیلنے کی Dolls اور گڑیائیں ہوں، ان نونہالوں کو پہلے میں سمجھتا کہ شاید یہ ان بچیوں کے ننھے ننھے بھائی بہن ہیں لیکن یہ جان کر حد درجہ تشویش اور فکر ہوئی کہ یہ خود ان کے ہی زائیدہ بچے ہیں؛ پھر یہ سن کر مزید دہشت ہوئی کہ یہاں پر بچیوں کی شادی آٹھ دس سال کی عمر میں ہی ہو جاتی ہے اور اگر کبھی کسی مجبوری سے کسی بچی کی شادی بارہ سال کی عمر میں ہو جائے تو یہ بات اس کے لیے تاعمر باعثِ عار اور وجہ ذلت ثابت ہوتی ہے اور یہ مان لیا جاتا ہے کہ شاید اس بچی کے اندر کوئی عیب رہا ہو گا۔" (۱۳) "اس پر طرہ یہ ہے کہ ان چھوٹی بچیوں میں سے بعض کے شوہر بالکل ادھیڑ عمر کے ہوا کرتے ہیں۔ "(۱۴) شادی کرنے کے حوالے سے ہندستانی عورتوں کو حاصل اختیارات کی طرف اشارہ کرتے ہوئے وہ ایک جگہ یوں رقم طراز ہے کہ: "کسی عورت کو ہندستان میں اپنی شادی اور نکاح کے حوالے سے اپنی پسند یا ناپسند کا کوئی بھی اختیار حاصل نہیں ہے، چنانچہ اگر کبھی اونچی ذات یا اونچے طبقے کی

کوئی عورت کسی پست طبقے کے مرد سے نکاح کر لیتی ہے تو پھر وہ ہمیشہ کے لیے اور تا زیست اچھوت قرار دے دی جاتی ہے۔" (۱۵) محمد ثابت نے ہندستانی طبقاتی سماج کی مختلف عورتوں کے حوالے سے بات کرتے ہوئے ان کو حاصل مواقع اور میسر آزادیوں پر بحث کرتے ہوئے یہ لکھا ہے، جسے سن اور پڑھ کر شاید آپ کو بہت حیرت ہو گی کہ: "یہاں پر چھوٹی ذات کی عورتیں اور بالخصوص نادار طبقات کی عورتیں نسبتاً زیادہ آزاد و خود مختار ہوا کرتی ہیں، اور لطف ولذت کی آزادیاں اور مواقع انھیں زیادہ حاصل ہیں۔"(۱۶)

اپنے سفر ہندستان کے دوران میں دیوداسیوں کی صورتِ حال پر اس عرب سیاح نے بڑی تفصیلی گفتگو کی ہے اور بتایا ہے کہ اس روایت کے پیچھے اصل تصور اور نظریہ کیا ہے، وہ کس طرح سماج کا حصہ بنتی ہیں اور عمر کے الگ الگ پڑاؤ پر ان کی صورت حال اور کار گزاریاں کیا ہوا کرتی ہیں، اسی ضمن میں اس نے لکھا ہے کہ: "دیوداسیوں کے یہاں اگر لڑکیاں پیدا ہو جاتی ہیں تو وہ بھی اپنی ماؤں کے نقشِ قدم پر چل پڑتی ہیں اور اسی روش کو اختیار کر لیتی ہیں، البتہ اگر ان کے یہاں نرینہ اولاد ہو جائے تو ان کو مندروں کی خدمت گزاری سونپ دی جاتی ہے اور اس کو عار نہیں سمجھا جاتا۔"(۱۷)

ہندستان میں ساس اور بہو کے سماجی رشتے پر بھی محمد ثابت نے روشنی ڈالی ہے؛ وہ لکھتا ہے کہ: "بہو کے لیے لازم ہے کہ وہ اپنی ساس کی تابعِ فرمان بنی رہی لیکن ساس کی تابعِ فرمان اور مطیع ان بہوؤں کی بھی اس وقت شامت آجاتی ہے جب وہ لاولد رہ جاتی ہیں یا کسی لڑکی اور بچی کی ماں بن جاتی ہیں۔ چنانچہ ان صورتوں میں ساس اس بہو کے ساتھ ایک باندی جیسا سلوک روا رکھتی ہے۔ یہی وجہ ہے کہ یہاں پر چودہ سال سے انیس سال کی دو شیزاؤں اور خواتین میں خودکشی کی شرح خوف ناک حد تک پائی جاتی ہے۔" (۱۸) اسی طرح ستی کی رسم کا ذکر بھی اس عرب سیاح نے بڑی وضاحت سے کیا ہے۔

اس کے علاوہ دہلی اور آگرہ کے تذکروں میں اس نے تاج محل کے ضمن میں

بیگم ممتاز محل کا جس طرح ذکر کیا ہے اور مقبرہ اعتماد الدولہ کے ضمن میں نور محل اور نور جہاں کا جس انداز سے ذکر کیا ہے؛ اسے بھی ہم ہندستانی عورت کی تصویر کشی کے دائرے میں رکھ سکتے ہیں۔ اس نے عورتوں کے پیراہن اور زیورات کا بھی تذکرہ کیا ہے اور بمبئی کی خواتین کی خوش پوشیوں کا بیان بڑے اچھے انداز میں کیا ہے، پنجاب کے بعض قبائل کے حوالے سے اس نے لکھا ہے کہ وہاں پر تعدّد ازواج کی روایت ملتی ہے؛ چنانچہ ایک ہی عورت بہ یک وقت کئی کئی مردوں اور بارہا چھ سے زائد مردوں کی مشترک بیوی ہوا کرتی ہے۔ اس نے لکھا ہے کہ ہندستانی عورت کے یہاں مذہبی قدغنیں اور دھرم کی پابندیاں بہت زیادہ ہیں جن کی بجاآوری وہ خوشی خوشی اور بڑے اخلاص کے ساتھ کرتی ہے، اور سیاح محمد ثابت کی نظر میں یہی وہ سبب ہے کہ درستگیٔ احوال کی ہزار کوششوں کے باوجود ہندستانی عورت ہنوز زندگی کے بہت پست درجے میں سانس لے رہی ہے۔(۱۹)

سیاح محمد ثابت کو چوں کہ تاریخ، جغرافیہ اور سیاست کے موضوعات سے خصوصی دل چسپی اور شغف رہا ہے اس لیے ان کے سفرناموں میں ان پہلوؤں پر قدرے کھل کر اور تفصیلی گفتگو ملتی ہے، چنانچہ وہ قاری کو نہ صرف ہندستان میں موجود تاریخ کے مختلف ادوار سے تعلق رکھنے والے آثارِ قدیمہ مثلاً قطب مینار اور تاج محل وغیرہ سے روشناس کراتے ہیں بلکہ ان کی تصویروں سے بھی اپنی نگارشات اور کتابوں کو مزین کرتے ہیں۔ اسی طرح انھوں نے ہندستانی عورت کی مذہبی، سماجی اور تہذیبی و تمدنی مختلف حالتوں کی جہاں تصویر کشی کی ہے وہیں اپنی باتوں کو مدلل کرنے کے لیے اس حوالے کی متعدد عکسی تصاویر بھی فراہم کی ہیں؛ چنانچہ ایک ہندستانی برہمن خاتون کی باپردہ تصویر، ایک پہاڑی خاتون اور اس کی چھوٹی بڑی بچیوں کی تصاویر، دیوداسیوں کی تصویر، اچھوت عورتوں کی تصویریں، شودر دوشیزہ کی تصویر اور عمر میں کافی بڑے دولھے کے ساتھ دس سالہ دلہن وغیرہ کی تصاویر سے آراستہ کرکے انھوں نے اپنے ہندستانی مشاہدات پر مشتمل ان سفرناموں اور کتابوں کو بہت معلوماتی، دستاویزی اور دل چسپ بنا دیا ہے۔

حوالے وحواشی

1. الجزيره، مقالات ودراسات، مقاله: الرحالة محمد ثابت الذى علّمنا أدب الرحلات ۲۰۱۹/۷/۱۱ـ ۱۵
http://www.aljazeeramubahser.net/opinions ۲۰۲۴/۲/
2. محمد الزلباني، الخميس ۳فروری ۲۰۲۲ء، رصيف۲۲ـhttp.//raseef22.net
3. رحلاتي في مشارق الأرض ومغاربها: محمدثابت، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر،۲۰۱۴،ص: ۱۴۵
4. أيضاً ص: ۱۳۷
5. جولة في ربوع العالم الإسلامي لمحمد ثابت : مكتبة النهضة المصرية ۱۵ شارع المدابغ بمصر، ص: ۲۳۷ـ۲۳۵
6. رحلاتي في مشاق الأرض ومغاربها، ص: ۱۳۸
7. جولة في ربوع آسيا لمحمد ثابت، الناشر: مؤسسة هنداوي ۲۰۲۱ء ،ص: ۳۶
8. جولة في ربوع آسيا ،ص: ۴۲
9. جولة في ربوع آسيا ،ص: ۲۹
10. جولة في ربوع آسيا ،ص: ۵۴
11. جولة في ربوع آسيا، ص: ۶۵
12. نساءالعالم كما رأيتهن: محمدثابت، الناشر: مؤسسة هنداوي ۲۰۲۰ء ،ص: ۱۳۳
13. جولة في ربوع آسيا، ص: ۲۷ ـ ۲۶ ، رحلاتي في مشاق الأرض ومغاربها، ص: ۱۳۷
14. رحلاتي في مشاق الأرض ومغاربها ،ص: ۱۳۷
15. نساءالعالم كما رأيتهن: محمد ثابت، الناشر: مؤسسة هنداوي، ۲۰۲۰ء ،ص: ۱۳۵
16. نساءالعالم كما رأيتهن: محمد ثابت، الناشر: مؤسسة هنداوي، ۲۰۲۰ء ،ص: ۱۳۶
17. نساءالعالم كما رأيتهن: محمد ثابت، الناشر: مؤسسة هنداوي، ۲۰۲۰ء ،ص: ۱۳۶
18. جولة في ربوع آسيا لمحمد ثابت، الناشر: مؤسسة هنداوي، ۲۰۲۱ء ،ص: ۲۹
19. نساءالعالم كما رأيتهن: محمد ثابت، الناشر: مؤسسة هنداوي، ۲۰۲۰ء ،ص: ۱۳۵

***

iftikhar –al- asir, ed. Nuri al- jarrab, Dar al-Suwaydi li-l nashr wa al- tawzi, 2002

5- Silver, Brenda. 'Periphrasis, Power, and Rape in A Passage to India', Novel, 22 (1988)
6- Tayeb, Lamia. "The Inscription of Cultural Bafflement in E. M. Forster's A Passage to India'". Interdisciplinary Literary Studies, Vol. 6, No. 1 (2004)
7- Forster, E. M. A Passage to India.Penguin Books. London (1989)
8- https://www.jstor.org/stable/41207037
9- Parry, Benita (2004). Postcolonial Studies: A Materialist Critique. New York: Routledge. pp. 163. ISBN 0-203-42053-5.

***

sexism, racism and imperialism in the book.

Parry, Benita (2004) writes in his book that this is a vilification of humanist on the importance of interpersonal relationships, and effects of colonialism on Indian society[11].

Conclusion:

This travelogue is one of the finest works of E.M Forster which not only portrays the India before the independence but also puts lights on the relationship between Indians and British. As this also talks about the Indians among Indians in spite of having cultural, religious differences which unites against the looting and exploitation of the Europe. Due its various artistic and cultural values the work has been translated into Arabic language. This Arabic translation stands out among all other Arab Travelogues as there is a hardly any Arab traveler who highlighted the Europe's behavior with Indians before Independence.

Reference:

1- Al Quran
2- Al-Yaqūbī, Kitāb al-buldān, ed. by M. J. de Goeje (Leiden: Brill, 1860)
3- The Travels of Ibn Jubyr, trans. Roland J.C. Broadhurst, London Jonathan Cape 1952
4- Muhammad Al- Ghasani, Rihlat –al- wazir fi

[11]Parry, Benita (2004). *Postcolonial Studies: A Materialist Critique*. New York: Routledge. pp. 163. ISBN 0-203-42053-5.

Diverse India

India has been a diverse nation with different cultures, languages and life styles. The fissures in the Indian soil were infinite. The British and the Indians were divided; Muslims and Hindus stood apart; even Hindus were divided amongst themselves. India is a vast country inhabited by a diverse population. In the last ride Aziz and Fielding passed through a jungle. The divisions of daily life were returning and the diverse spirit of India prevailed.

The scene of the Mosque was the beginning of an attempt to reconcile the East and the West. The Muslim mind was tried to be understood. Mrs. Moore thought that Aziz represented India, which was a wrong conception. Aziz could not represent India as there were many religions, languages and classes.

The dramatic impact to the story is furnished by an Indian setting. The Janamashtami scene reflects hope. The all-inclusiveness of the Hindus might solve the problem. The universalism of the Hindus might break the barriers of artificial impediments. On the whole, the element of sanity pervades the whole book enriched by frequent flashes of wit and humor.

Literary Criticism:

Earlier Critiques have had opinion that this Forster's book showed an inappropriate friendship between colonizers and the colonized. However, the new critiques considered this work as the best depiction of

India as a mystery which no one knows what is happening inside India like the incident that happened between Aziz and Adela. Irony is that even Adela is not sure about what happened in the cave who lodged the report with the police. Every character in the travelogue is a mystery.

The final symbol temple refers oneness, a beautiful characteristics of Hindu religion through the Gokul Ashtami celebrating the birth of Lord Krishna. This festival gives a beautiful vibes embraces a Muslim man Aziz as well, which finally leads to the reconciliation of Aziz and Feilding at the end.

Communication Gap

All the characters, men and women of the mini India Chandrapur face difficulty in communication nature's limitless boundaries and man's strictly limited spheres. For example the bridge party which was organized with the objective of knowing the Indians and form a new way of rapprochement between Indians and the Englishmen. Adela fails to understand the Indians. She displeases everyone i.e. her community, and Lady Moore, Aziz and up to a certain extent even Fielding. Even Aziz and Fielding find it difficult to come closer or to reach perfect understanding. The Indians are divided; the English are divided, the failure of communication is heightened when Aziz, during his illness is visited by his friends. Suspicions and arguments repeat themselves again.

of the world to take her seat! She, who only peer was the Holy Roman Empire, she shall rank with Guatemala and Belgium perhaps! Fielding mocked again"[10]

Major issues highlighted in the Travelogue:

1 - Mosque, Caves and Temples

This Travelogue can be divided into three sections, which might have the different interpretations, but the terms like Temple, Mosque and Caves appears to indicate the three seasons of India which are cold weather, hot weather and the rainy season.

The mosque symbolizes a peaceful and friendly place where people meet and greet each other and sometime people take big decision be it in agreement or in refusal. This is the first place Mrs. Moor visits with Aziz in the novel.

The Marabar Cave in the book is the middle portion of the book which takes place in the hot summer where people are inflamed and loose calmness too often and unable to think rationally and logically, which can be asserted through the rage, discussions and arguments between Aziz and more which brings Aziz into the custody. Forster uses geographical metaphors to describe the information regarding caves. This cave symbolizes

[10]: Forster, E. M. A Passage to India.Penguin Books. London (1989) pp. 315

Indian wild bird…..the bird in question dived into dome of the tree. It was of no importance, yet they would have liked to identify it, it would somehow have solaced their hearts. But nothing in India is identifiable, the mere asking of a question causes it to disappear or to merge in something else"[9].

The most significant and important metaphor that exhibits the difference between Indians and the Anglo-Indians is the echo of Marabar caves. Mrs. Moor doesn't like the echo as she does not understand it in spite of the fact that she is of a liberal opinion about Indian. The prime reason she is disturbed with the echo is the cultural gap. Similarly Adela, who had a quest to explore real India, fails to understand and most of the time bears the opposite cultures and tradition she encounters. At the same time Aziz refused to tolerate Europeans in his country after he came out of jail. Thus, the new Nationalist Aziz became the barrier of friendship between East and West despite having worked as bridge to gap in two nation's friendship. After the trail Aziz became anti-British and determined to see India independent which Fielding, an Englishman, mocks; *"He (Aziz) shouted, "India shall be a nation! No foreigners of any sort! Hindi and Moslem and Sikh and all shall be one! Hurrah! Hurrah for India! Hurrah! Hurrah!"India a Nation! What an apotheosis! Last comer to the drab nineteenth century sisterhood! Waddling in at this hour*

[9]: Forster, E. M. A Passage to India. Penguin Books. London (1989) pp. 100 -101

date from that period. The zest for decoration stopped in the 18th century, nor was it ever democratic. There was no paintings and scarcely any carving in the bazars. The very wood seems made of mud, the inhabitants of mud moving. So abased, so monotonous is everything that meets the eye, that when the Ganges come down it might be expected to wash the excrescence back into the soil. Houses do fall, people are drowned and left rotting, but the general outline of the town persists, swelling here, shrinking there, like some slow but indestructible form of life"[7].

It also highlights the cultural difference between the colonizers and the colonized, even the writer presented the differences of colonized (Indians) in terms of religious beliefs and cultural practices. Hence, the Indians and British appears to be alien to each other which Lamiya Tayeb has highlighted in her writings; "*through his depiction if Indian setting, Forster stresses the alienating features of the land*"[8], which can also probably be asserted through the reference from the travelogue itself when Adela and Ronny saw a green bird but both were unable to recognize it. And the commentary goes like, "*A little green bird was observing her, so brilliant and neat that it might have hopped straight out of a shop. On catching her eye it closed its own, gave a small skip and prepared to go to bed. Some*

[7]: Forster, E. M. A Passage to India. Penguin Books. London (1989) pp.31

[8]: https://www.jstor.org/stable/41207037

an Indian Physician takes her to the show the cage. During the visit Adela Quested accuses Aziz for sexual assault during the outing. Aziz presents the court to defend himself, who had many defenders, including Cecil Fielding, the principle of the college. After a several court trails Adela hesitates on the witness and withdraws the charges.

The setting of the plot and the story is based on a city Chandrapur which has been presented beautifully as a mini India comprises of Hindus, Muslims, Sikhs and Christians and the relationship with each other. All the Characters portraying their standard of living, socio – economic background and the spirit of unity when it comes to work together or fight for their rights from the British.

Adela Quested is an important character who raises the concerns many a times about British behavior with common Indian. She often criticizes the British for having a dual nature towards Indian. Basically, I found all the female characters such as Mrs. Moors, mother of Roony, Mrs. Turton wife of Mr. Turton and Adela herself in the Travelogue are very critics of British relationship with India.

The Introduction of Chandrapore exhibits Europe's concept of India and its people which goes like; "*Chandrapore was never large or beautiful, but two hundred years ago it lay on the road between Upper India, then imperial, and the sea, and the fine houses*

In modern Arabic travel writings we rarely find any detailed Arab Travelogues to India. The Arab traveller's major work in the Modern era either related to any particular Indian place, monument or visit to any cities. Mostly the Arab ambassador to India has written their thoughts on such as Tajmahal, Aghra and Varanasi. However, this travelogue deals with the most important topics of the era which was co-existence of various cultures, and religions after the Independence that India was fighting for from the British rules. It also highlights the British mindsets and oppressions in the 20th century. Hence, the translation of this Travelogue by E.M. Forster, is of immense importance in Arabic language and literature which portrays the 20th century India to an Arab through the non-Arab eyes. The translators' effort to keep the original essence in Arabic language is commendable. As the Muslim Caliphates always appointed the famous writers, poets and scholars of the era to translate the best work from any foreign languages to Arabic for the cultural and political aims. The tradition continued later, although not at a larger scale, which makes Arabic a unique scientific language .This book A Passage to India is a reflection of Forster's visit as a private secretary of Tukoji Rao III to India in 1912.

India as the theme of the Travelogue:

The Riḥla beautifully portrays the relationship between British and the Indians through the various Indian and British Characters. It mainly revolves around an incident that happened when an English woman, Adela Quested visits India. As per the request Dr. Aziz

esteem"[4].

With the French Occupation over Egypt brought Arab Renaissance in each and every field. Arabic Travel writing also developed at a larger scale and as a Literature. Rifaa Al Tahtwai wrote his travel journal in France entitled " تخليص الإبريز في تلخيص باريز and Idrīs al-Salawī .

The Importance of Translation of a Passage to India

According to Brenda Silver, A passage to India is: "*a study of what it means to be rapable, a social position that cuts across biological and racial lines to inscribe culturally constructed definitions of sexuality within a sex/gender/power system*"[5]. Tayeb [5] describes it as: "*A Passage to India studies the viability of transcending the encumbrances of the colonial situation, on the part of both the colonialist and the native, in order to set up new formulas of social interaction and cross-cultural exchange*"[6].

[4] : Muhammad Al- Ghasani, Rihlat –al- wazir fi iftikhar –al- asir, ed. Nuri al- jarrab, Dar al- Suwaydi li-l nashr wa al- tawzi, 2002, pp.70-75

[5]: Silver, Brenda. 'Periphrasis, Power, and Rape in A Passage to India', Novel, 22 (1988), p.p.86–105

[6]: Tayeb, Lamia. "The Inscription of Cultural Bafflement in E. M. Forster's A Passage to India"'. Interdisciplinary Literary Studies, Vol. 6, No. 1 (2004), pp. 37-59

Thus, this genre of literature kept flourished and a number of Arab Geographers and Travellers produced their significant works likeرسالة ابن فضلان for Mohammad Ibn e Fadhlan,أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم known as Al شَمْس ٱلدِّيْن أَبُو عَبْد ٱلله مُحَمَّد ابْن أَحْمَد ابْن أَبِي بَكْرfor Maqdisi, and the most famous Arab traveller in history is, Ibn Baṭṭūṭa (1304-1377) and etc.

The seventeenth century saw a number of developments in the Riḥla (Travelogue) literature, in terms of authorship and destination, which indeed not very different from the previous Pilgrims Travelogue in nature, however, in this century the travelogues majorly was diplomatic or commercials like شهاب الدين أحمد بن قاسم الحَجْرِي who travelled to France and the Low Countries (1611-3) to negotiate a treaty on behalf of the Moroccan sultan and محمد إبراهيم الوزير who travelled to Spain and Abū ʿAbd Allāh Muḥammad b. ʿAbd al-Wahhāb b. ʿuthmān.

Another key aspect of Moroccan Ambassadorial accounts is a rigorous bound of humiliation. The prime quest of travels was not personal capital recognition but for to exhibits the signs of Muslims and regal power, both past and present. Al – Ghasani reported that Spanish King often asked questions about our Master; Al Mansoor Billah, and as he mentioned his name, he doffed the sombrero (al-Shumriro) that he was wearing to exhibit the respect and

exile continued"[2].

The history of the Riḥla رحلة was mainly a product of North Africa (Maghrib) and al-Andalus. The predominant sub-genre was related to the pilgrimage (ḥajj) to the Hijaz (the western part of the Arabian Peninsula), and has thus become known as the riḥla ḥajjiyya or ḥijāziyya. In addition to the pilgrimage, there was the prestige to be gained by Maghribi scholars from visiting the mythical centers of learning in the East (Mashriq), Damascus, Baghdad and Cairo.

The man who may be called the father of the pilgrimage riḥla was the Valencia-born Ibn Jubayr ابن جبير (1145-1217), who made several trips to the East, but chronicled only his first (1183-1185). Like Ibn e Fadlan Ibn e Jubayr came into close contact of with the infidel but his reaction somewhat defy preconception. On the other hand, the devoted Muslims, whose pilgrimage was atonement for having drunk wine, was wary of passing too favorable judgment on anything Christian, lest it tainted his believe and faith. So, the reader is told to "beware of entering their lands' and, 'mixing with the pigs".[3]One of the most interesting features of his travelogue is the inclusion of both Christian and Muslim calendar dates.

2: Al-Yaqūbī, Kitāb al-buldān, ed. by M. J. de Goeje (Leiden: Brill, 1860), p. 2

[3]: The Travels of Ibn Jubyr, trans. Roland J.C. Broadhurst, London Jonathan Cape 1952, pp.119

Herodotus, who travelled to Italy, Persia, Egypt, and Danube valley. Looking back at history about discovery, Christopher Columbus's first voyage to America in 1492 ushered in a new age for travel writing. Travel writing or travelogue can be considered as the first literary production of mankind.

Arabic Travel Writing:

Arabic travel writings have an old and varied history that goes back some twelve centuries. The emergence of the genre is bound up with the importance of travel in Islam. In the Qur'an, travel often appears as a duty, whether in respect of the pilgrimage or, simply, to 'see how God originated creation as the verse *says'* قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ[1] -(Quran. surat al 'ankabūt :29:20). In addition, travel was vital in the quest for knowledge (طلب العلم), and an obligatory rite of passage for any would be scholar, to consult libraries or to study under famous teachers. In addition, later we find many Islamic scholars-cum geographers who showed interest in knowing about the new cities and places like al Yaqūbī اليعقوبي (d.897) who stated in the preface to his Kitāb al-Buldān كتاب البلدان('Book of Countries'):

"In the prime of my youth […] I had an interest in knowing the news of countries and the distances that separate one town from another, because I travelled uninterruptedly from my childhood onwards and my

[1]: Quran. surat al-'ankabūt :29:20

in highlighting the socio – political, diverse cultural co-existence and the exploitation of Indians under British colonization. It differs from Arab Travelogues which only highlight majorly the cultural aspects and Indian aestheticism. We hardly find the examples of Arabic Travelogues in the later 19th Century and early 20th Century which deals with the theme of India under the British rule, colonization effects, merits and demerits, co-existence in details. Hence, this translation work is an important firsthand source in Travel Writing.

Keywords: India, Travelogue, Colonization, British rule, Translation

Importance of Travel Writings:

Travel writing genre can be classified into different types - Travelogue, Travel Stories and Travel Guide, each being distinct from one another. Whereas travelogue is all about the record of what a traveler sees, travel stories are about the narration of the traveler. On the other hand, Travel Guides are specifically meant for people who usually visit a lot of places. Travelling was also meant to discover and to a certain extent to conquer the places. There came a time when people were very much curious about explorations and voyages to unknown destinations. Travel was necessary during those days, and it was intended to let others know about the different nature and culture of the inhabitants they met. During the ancient times, Romans and Greeks conquered most part of the present-day Europe and the Middle East. There are many classical travel writers like

Mohd Aadil *

India in the Travelogue of E.M. Forster in the 20th Century

Introduction:

India is a well-known country throughout the world for its abundance of diverse cultures and civilizations, which has attracted travelers and writers to visit this beautiful country since ancient times. This article seeks to investigate the importance of translating English Travelogue by E. M. Foster into Arabic which has been entitled as رحلة إلى الهند bydائرة الترجمة في الدار. It also seeks to highlight the problems and issues faced by India in the late nineteenth century and the early twentieth century.

This paper explores how the travel writing and its translation to other languages have been contributing to enriching the literature and human developments. This Travelogue, "A Passage to India," is one of the best English Travelogue novels at the beginning of the twentieth century written by E.M. Forster in 1924 and considered one of the author's finest work.

The Importance of this Arabic translation lies

* Guest Faculty Arabic Department Efl University, Hyderabad Email Id: aadilphdarabic18@efluniversity.ac.in

11. Ibid page – 54 to 64
12. Ibid page – 65 to 95
13. Ibid page – 96 to 116
14. Ibid page – 117 to 123
15. Ibid page – 124 to 132
16. Ibid page – 132 to 150

***

result there are difference of communal thinking and communal violence. She explained other factors also. She pointed out characteristics of Gandhi, Nehru and Jinnah.16 As a mature journalist her observations were very minute, philosophical and had a thoughtful Political base. Sometime she tried to consider the things in the light of Quranic teachings. Her observations reflect that she identified everything on the basis of vast knowledge of world history, social and Political ideology. As a great writer her analysis was neutral, impartial, and objective. Her broad information's regarding all aspect of life and society gave her observations immense value. Her rhetoric Language and beautiful style made the work of reminiscence in Arabic literature.

Reference:

1. Information regarding biography of Ameena-al-Sayeed is taken from different sources including Internet, such as website: http://ar.m.wikipedia.org/
2. Ameena -al-Sayeed – Mushahadaat-fi-Al-Hind, published by Daar-al-Ma'arif – Egypt – 1946, page-54
3. Ibid page - 4
4. Ibid page – 9 to 14
5. Ibid page – 16 to 17
6. Ibid page – 18 to 21
7. Ibid page – 21 to 28
8. Ibid page – 29 to 41
9. Ibid page – 41 to 44
10. Ibid page – 45 to 54

commonly.

This was a very important problem of India that two million people in Bengal starved to death. This was a horrible situation which was discussed in the conference and by the prominent journalist as well as the countries who participated in the conference. India is a country of dissimilarities and distinctions. On one hand there were very rich people in large number and on other hand there was starvation, deprivation and poverty in great part of the Indian society. Ninety percent of the Indians took food only one time in a day and in contrary to that rich people lived in a lavish life style.14

She wrote elaborately about natural resources of India and its geographical distinctions. She mentioned about the growth of Agriculture, importance of climate, electricity, animals, its utility, mines and minerals, forests and rains, which are natural gifts in India. She says there is possibility of development, but it can be attained only after the independence of the country.15

At last, she observed the Indians struggle for Independence and communal violences which occurred in the Country. She tried to know reasons of differences between Hindus and Muslims. Ignorance and illiteracy were the basic reasons according to her. It is a fact as we see differences between the states of South and North due to education and literacy. As a

the life of Indian Muslim etc. She has observed everything minutely. She witnessed Indian Muslim community socially, politically educationally and economically. Backwardness was the reason of illiteracy. She examined the things in the light of the Quranic teachings. She very deeply studied movement of freedom in India as it was a burning issue of India and Political awakening in the Country. She also threw light on educational institutions and pointed out that 93% of the people were illiterateat that time. Freedom movement of India has been elaborately discussed in the travelogue.12

After that she visited Delhi and New Delhi. She used literary Language and philosophical thoughts in description of Delhi, and its geographical value, historical events, political importance and beautiful look. She narrated the history of Delhi from the early ages of Chandra Gupta (380 A.D.) to the British age of 20th century. She mentioned the names of all important rulers and their achievements. New Delhi was established by English people in 1130 AD. She was impressed by architecture, buildings and monuments of Delhi and its surroundings.13

She specially described about poverty and beggars in India. It was her impression that deprivation, starvation and straight-faced was common on the faces of Indian people. Poverty was the sign of India. It was not only the sign of beggars but it was found in labours and working class

Sweden and Lebanon who arrived to participate in the conference. It became clear that second world ruined the nations and tarnished humanity. There was a need for universal peace process. The gathering was for this purpose. In the program, she found that all political, economic and social problems of India as well as its women's affairs would be discussed in the seminar. After getting this information, she felt that her job became easy. There was confusion about Palestine cause among Hindus and others, as it was a religious matter. In fact, it was not a religious matter. She presented the facts of Palestine justifying the real issue that Jews with the help of some countries snatched the rights of Arabs. Her presentation was very clear and strong. Her paper was published worldwide in the journals. Hindus and others were convinced with her arguments. In the conference thirty-six (36) resolutions were passed. Among them there was a resolution regarding the issue of Palestine which was sent to great countries of Arab league and United Nations organization. All resolutions cannot be mentioned here. Freedom of small countries, problem of Hindu widows, sati, child marriage and issues were in the resolutions of conferences.11

She has discussed a lot of things about woman in general, Indian Woman, Muslim woman in India, communal violence, Muslim's position in India, their education, education of Muslim woman in India, social and cultural values in Hindu and Muslim society, limitation of Islam with prayer and fasting in

time. She felt that the city was very dirty. According to her she did not drink water as it was not clean and in summer, they used hot water. The conference was organized in the unclean city, as the states were given the responsibility to organize the conference and bear all expenses. It was the time for Sindh and its capital city Hyderabad to organize the conference and it was an unclean city. Honorable people of the city made the delegates their guests in their houses. With due respect they offered hospitality. Every delegate took breakfast with the host. Dinner and lunch were provided at the place of conference. She described items of food and tradition of taking food sitting on the ground. She pointed out the traditions of Hindu families-leaving the shoes outside the door and use of leaves in place of utensils. She specially mentioned about chewing of "pan". Indians of all religions eat with hands, do not use European style. She has described about saree. She found it a beautiful dress, but not for every occasion such as travelling and also at workplaces. She traced decoration of houses and beauty of "Paris Road where the conference was organized.10

She visited Hyderabad to participate in Indian Women's Conference, but she had neither information regarding its aims and objectives nor any information regarding affairs and position of Indian Women in politics and in society. She became very astonished, when, she found number of delegates from America, England, New Zealand, Australia,

being is cheaper than animal. As communal violence and bloodshed was common. She discussed other religions - Shia, Sikh, Buddhism, Hindu sects, their languages, cultures and traditions.8

After six days of stay at Karachi, she and other delegates left for Hyderabad (Sind) by train. After seven-hour journey she arrived at the destination. She became thirsty in the journey, regarding this there is a long narration. At last, she wrote in page no.44 that initially -fanaticism and communalism came from Hindus.9

At the Hyderabad railway station, organizers of the conference who met them at Karachi were present. Distinguished people were waiting for them. When they got down from the train, everybody wanted to be the host of the delegates during the conference and they were presenting their best hospitality and services. She became the guest of a Hindu family who do not eat meat. The person, whose mother was a vegetarian, took help from his neighbor in boiling eggs for her breakfast every morning. Hospitality was commendable but she gave an impression that the city was not hygienic, although the city had big well-furnished bungalows with enchanting decorations.

Generally, inhabitants of Hyderabad were business men and merchants who lived at Bombay. They visited their home towns for a short period of

distinctive feature of the travelogue. Sometime, we also find romantic description in it.

She started writing the travelogue with beautiful description of climate and atmosphere of Cairo and Cairo airport as it was night when she boarded the flight. She travelled alone out of the Arab world where she had travelled many times, but this time she felt fear and hope, sorrow and joy, a mixed and psychological sensitivity.4 Her flight arrived in Tehran (Iran) via Palestine, Iraq, Bahrain and from Tehran to Karachi it took two days.5 She got tired but enjoyed the journey. She mentioned in detail about her journey, cooperative behavior of people and dark night of Karachi airport.6

Organizers of the conference provided the name of the hotel and its address. Any how she managed to reach the hotel. She described the hours of early morning in Karachi. She spoke about culture and life of Karachi as it was during those days. Life of different classes of society and the sea shore which she observed minutely.7

She presented a picture of Hinduism, Hindu worship places, worship of animals like cow, snake, monkey, etc. Hindu society and their behavior with Muslims. Communalism was more among common Hindus compared to educated and cultured Hindus.

She wrote on page no. 37 that blood of human

result, she was threatened to be killed, but she used her only weapon, the pen. She wrote till she breathed her last in 1995.1 She wrote a number of books in her life among them are:

2. آخر الطريق 3. من وحي العزلة 4. حواء ذات الوجوه
1. وجوه في الظلام الثلاثة (رواية)

The Egyptian journalist traveled from Cairo to India (Karachi) by Air in 1945 to attend a conference. This journey was made by her on the invitation of a women's organization to participate in a Conference held at Hyderabad (Sind) that is now in Pakistan.2 She compiled her observations and wrote a travelogue entitle "مشاهدات في الهند". It was published by Daarul Maarif Cairo in 1946.3 In fact, it is a beautiful literary text. Its language and style are very attractive, pleasing, adorable, fancy, embellished, sometime decorative and coined with beauty of rhetoric. She observed minutely everything of life and culture in Indian society. She depicted the facts what she observed, but her thinking and imagination made the travelogue fantastic, imaginative, artistic, creative, fictional, mythological, unusual and innovative. Beauty and essence of the text cannot be translated in these pages. The text of the travelogue is so marvelous, anybody can get its real sweetness and qualitative taste in its original approach only. In the text facts have not gone behind the scenes but the imagination and aesthetic approach made the scene imaginative and beautiful. Artistic beauty is the core

Ameen Zaidan started the magazine "Hawwa" in 1954, Ameena was given responsibility of Chief Editor of the magazine. For her editorials, articles and editing, the circulation of the magazine reached the figure of 175,000. After Fikri Abaza (فكري أباظة) Ameena became the chief of editorial board of "Dar-al-Hilal (دار الهلال). She was the first Egyptian woman who was selected as a member of the association of the journalists, and secretary of the association in 1959. In 1963 She was bestowed order of merit with first position. In 1970 she was awarded the national medal of Egypt. In1975 she was honoured with (الكوكب الذهبي) gold medal and she was rewarded with the merit of Arts and Literature. As a journalist her recognition was for her particular column إسألوني (Is aluni) (Ask me/Enquire me) in the magazine (المصوّر). In this column she discussed all kinds of thoughts and ideas and responded to the views of the readers and their problems. Among them there were all sects of the society. It gave her respect, courage and dignity among the people and the nation.

In her writings Ameena wrote regarding beautification, cooking and other important topics related to women and their life. Ameena al Sayeed spent her life for the development of the Egyptian Society. She tried her best to change the society according to her thought and ideas through her writings. As a feminist writer she wrote for freedom of women and right of women, as well as equality in Egyptian society. She was a hard-core feminist. As a

Dr. Durdana Shaheen *

Ameena al Sayeed and her Travelogue
مشاهدات في الهند

Ameena -al -Sayeed a revolutionary Egyptian thinker, writer, novelist and a champion of feminist movement in the Arab world was born on 10th May 1910, and according to some writers it is on 20th June 1914 in Egypt. She passed her early days of her life in Asyut. At that time women's freedom movement led by Huda Sharawi and Darya Shafique was at peak. At the age of fourteen years Ameena joined the women's Union. In the University of Fawad-al- Awwal, under the Deanship of Dr Taha Husain, first batch of girls were admitted in 1930. Amena - al- Sayeed was also a student and a part of that batch. She adopted English Language and literature as the main subject at graduation level. She completed her study successfully and obtained the degree of graduation in 1935. During her study in the University, she started writing articles in different magazine and she became an outstanding journalist. She was considered the first woman journalist in Egypt. In 1937 she got married to Abdullah Zainul Abedin who encouraged her to work as a journalist in the profession of Journalism. When

* Associate Professor, Department of Arabic, Villa Marie College for Women Hyderabad.

References

Al-Hakim, T. (1973). Al-Sultan Al-Ha'ir. Dar Al-Ma'aref.

Al-Musawi, M.J. (2015). The Medieval Islamic Republic of Letters: Arabic Knowledge Construction. University of Notre Dame Press.

Al-Nuwayri, A. (1968). Travels in India in the 9th Century. Translated by J.C. Wilkinson. Hamdard Academi.

Al-Qasimi, M.S. (1939). The Traveler's Guide and The Delight of the Musafir. Dar al-Raghib.

Al-Tahtawi, R. (1834). Takhlis al-Ibriz fi Talkhis Bariz. Published Arabic manuscript.

Ali, C.M. (2022). Travels and Musings from Colonial India: Arab Perspectives from the 19th Century. Hamad Bin Khalifa University Press.

Aziz Ali, M. (2008). Safarnama. Good word Books.

Farouk-Alli, A. (2014). Transcultural Encounters in South Asian Travel Writing. Journal of Postcolonial Writing, 50(5), 507-518.

Hosain, S. (2019). Travels of Raja Khan: Arabic Travelogues of 19th Century India. Algora Publishing.

Kearney, R. (2020). Travels in the Indian Ocean and Arabian Seas, 1700-1900. Taylor & Francis.

Khalidi, T. (2006). Arabic Travel Literature. Hardinge Simpole.

Leor, E. (2015). Imaging the Journey: Illustrated Travelogues from the Arab Renaissance Period. Michigan Quarterly Review, 54(2), 169-187.

Luwish, S. (2010). Arabic Travel Literature in India. Adab Al-Rihla Al-Arabiyya fi Al-Hind. Dar Al Saqi.

Mahfouz, N. (1985). The Beginning and The End. Anchor.

Motadel, D. (Ed.) (2015). Islam and the European Empires. Oxford University Press.

Naji, A. (2018). Journey to the East: Arab Travellers and Western Interest in Arabia and India. I.B. Tauris.

Newman, D. (2004). An Imam in Paris: Al-Tahtawi's Visit to France (1826-1831). Saqi Books.

Sajdi, D. (Ed.) (2019). Transit Territories: Mapping the Step-Spaces of Afro-Eurasia. University of Pennsylvania Press.

Sheehi, S. (2004). Inscribing the Indian Narrative into Nahda. ALIF Journal, 24, 27-51.

***

inspiration for literary works reflecting on universal themes of identity, modernization and freedom across the colonized world in that turbulent era.

This proliferation of diverse Indian-inspired travel literature was facilitated by early 19th century technological breakthroughs like steamships and the Suez Canal which enabled an unprecedented boom in mobility and exchange never seen before across vast distances separating Arabic and Indian lands. Economic integration of maritime trade routes and flows of peoples within the paradoxically repressive yet interconnected British imperial system also fostered these transformative encounters.

In examining this rich cross-pollination of Arabic and Indian literary arts in the modern period, we find a powerful demonstration of travel's capacity to shatter insular prejudices and spark cross-cultural respect and curiosity between civilizations. The perspectives once shaped by tales of an exotic, unchanging "East" gave way to engaged portrayals of an Indian society brimming with complexities that demanded to be understood on its own merits by the Arab world. This invaluable reconciliation between peoples fostered by the fearless zeal of Arab travelers from the age of sail to steam marked an indispensable milestone in facilitating civilization dialogue and cultural confluence that transcended the limitations of colonialism.

once extraordinarily rare became almost ordinary as steamships conveyed people across Delhi, Cairo, Bombay and Beirut within the vast arc of colonial domains spanning Asia and Africa. The literature born from these newly mobile 19th/20th century Arab observers experiencing India first-hand proved revelatory in transforming perspectives and cultures back home.

Conclusion

Through their pioneering and influential travel accounts, Arab voyagers to British India in the 19th and 20th centuries left an indelible impact on how the Indian subcontinent was understood and portrayed within Arabic literature and culture. Whereas earlier medieval Arabic texts presented caricatured, romanticized visions of a mystical Indian realm of fables and oddities, these modern travel writers used evolving literary genres like the rihla adabiyya, rihla al-wusul and rihla siyasiya to convey richly-detailed, nuanced and often contradictory first-hand depictions of Indian society, culture, spirituality and the profound upheavals of a nation struggling for independence amidst colonialism.

Beyond just ethnographic travelogues themselves, their eyewitness chronicles of India's complexities and spirit of resistance against subjugation went on to catalyze creative Arabic novels, poetry and plays deeply influenced by the Indian experience and nationalistic zeitgeist. The subcontinent provided fertile

confluence left an indelible impact on Arab writers like Aziz Ali chronicling the revered Islamic holy sites across the subcontinent (Aziz Ali, 2008).

However, beyond just facilitating permitted travel, the British colonial enterprise also directly spurred journeys by Arab voices of dissent seeking refuge from imperial persecution. Indian cities like Bombay became havens for anti-colonial Arab activists, intellectuals and journalists fleeing repressive regimes back home who could publish dissenting materials safely under the British raj's somewhat more open policies compared to other European colonies (Luwish, 2010). This fostered greater critical literature examining India as a nexus of subjugation and resistance.

At the same time, commerce between British India and Arabic-speaking realms under Ottoman, European or autonomous rule flourished in an interconnected age of empires. Arab merchant diasporas took root in major Indian cities like Bombay, facilitating cultural exchange and travel narratives (Naji, 2018). Despite colonialism's repressive dynamics, its capitalist integration catalyzed channels of mobility, encounter and complex dynamics reflected in the literary works that emerged.

This confluence of technological, political and economic currents adjunct to the age of Western imperialism created a perfect storm facilitating unprecedented Arab-Indian interchange. Travel that was

Within the Indian subcontinent itself, the feverish expansion of railroads, roads and infrastructure by the British Raj in its colony helped facilitate overland travel and accessibility for Arab visitors once they arrived at port cities like Bombay (Khalidi, 2006). Rather than remaining confined to coastal areas, technologies allowed wider exploration of the interior reaches.

Beyond just advances in transportation technology, the political and economic dynamics between Arab lands and British-ruled India in the 19th/20th centuries also fostered increased travel and cross-cultural interaction. As Western imperial powers extended their grip across the Middle East and South Asia, novel movements of students, expatriates, diplomats and merchants followed the currents of colonialism.

For Arab intellectuals under strict European oversight at home, India represented an intriguing outpost where they could study with greater freedom at institutions like Aligarh University while still residing in lands under the British sphere of influence (Newman, 2004). The Egyptian scholar Tahtawi's famed journey was one such example of these sanctioned scholastic excursions.

Likewise, Indian Sufi spiritual travelers and Islamic clerics could make long-desired pilgrimages to study or proselytize in Arab lands with British India's sea lanes safeguarding their mobility. This spiritual

the Arab intellectual stage.

Historical Factors Enabling Increased Indo-Arab Travel

Several key geopolitical and technological factors in the 19th and early 20th centuries enabled increased mobility and exchange between the Arab lands and Indian subcontinent, facilitating the sea of travel literature that emerged during this period. These developments opened a gateway for Arab writers and thinkers to directly encounter India in ways their medieval predecessors could scarcely have imagined.

Arguably the most pivotal breakthrough was the introduction of safe, efficient steamship travel in the 1800s replacing traditional wind-powered dhow vessels (Luwish, 2010). Steamers traversing routes across the Indian Ocean and Arabian Sea catalyzed a boom in mobility between Arabic-speaking lands and British India as travel times and costs plummeted. Journey durations that may have taken months could now be accomplished in days or weeks.

The construction of the Suez Canal in 1869 revolutionized sea travel between the Mediterranean and Indian Ocean by drastically shortening the route and bypassing having to circle the southern tip of Africa (Naji, 2018). What was once an arduous voyage could now be undertaken far more swiftly and safely, incentivizing greater traffic. Arabic and Indian maritime networks proliferated.

through his relationships with Indian independence activists campaigning against colonial rule (Mahfouz, 1985). The work illustrates how tales of India's struggle resonated powerfully with Arab writers and catalyzed their own anti-imperial sentiments.

Indian independence leader Mahatma Gandhi and his non-violent resistance movement emerged as a major symbolic figure for colonized people worldwide in this era. Egyptian playwright Tawfiq Al-Hakim captured this spirit in his 1952 poignant satirical drama The Sultan's Dilemma, portraying an allegorical Indian sultan weighing whether to violently resist British subjugation or follow a pacifist path to self-rule (Al-Hakim, 1973). First staged in Cairo, the play used the Indian setting and circumstances as an accessible lens to explore the tensions between nationalism, modernization and violent resistance coursing through the contemporary Arab world as it sought to break free from European powers.

The impact of Arab travelers and writers exposing Indian culture in the 19th and 20th centuries went beyond just expanding knowledge. It catalyzed new acknowledgment of the sub continental nation's complex history and its influential role in shaping the age's socio-political currents. Creative artists wove Indian protagonists and settings into novels, plays and poetry grappling with universal themes of freedom, identity and the intricacies of East-West interactions in this era. Travel may have opened the door, but India's voice and civilizational presence had firmly arrived on

dimensional stereotypes. Their works highlighted both the glories of its ancient civilizations and troubling social divides, the richness of its pluralistic fabric yet threats of cultural assimilation, and the valiant independence struggles against colonial oppression tempered by concerns over rising nationalistic fervors.

This nuanced portrayal of India as a land of potent dichotomies marked a transition from simplistic imaginings of the past. It forced Arab audiences to recognize the Indian subcontinent's importance on the global stage and grapple with its multifaceted realities. The travel literature illuminated the region's dynamism and ensured it would no longer be depicted through an outdated, orientalist lens.

Expansion of Indian Influence into Arabic Creative Works

Beyond just travelogues and scholarly texts, the seminal Arabic literary encounter with 19th/20th century India extended into creative fiction, poetry and drama as well. The indelible impact and intriguing contradictions of the subcontinent witnessed firsthand by the litany of travelers inspired artistic interpretations and examinations across genres.

Perhaps the most famous example is Egyptian novelist Naguib Mahfouz's 1947 work The Beginning and The End. Though Mahfouz himself never traveled to India, the novel charts the political and philosophical awakening of an Egyptian student in 1930s British India

defying Islamic notions of equality. Hindu rituals and festivals he encountered were frequently dismissed as "idolatrous" superstitions unbecoming of an advanced culture (Newman, 2004).

In contrast, al-Saffar's Travels expressed awestruck reverence at the majestic Hindu temples and sacred rituals like open-air cremations along the Ganges river he witnessed firsthand. He waxed poetic about the variety of cultures, customs and religions peacefully coexisting across the subcontinent's expanses (Naji, 2018). Yet al-Saffar was also deeply critical of British colonial taxation policies impoverishing Indian communities and racist mistreatment of locals he observed repeatedly.

Writers like Aziz Ali in turn conveyed an alternative vision of the subcontinent as an unparalleled bastion and holy land of Islam, given its cherished sites like the Prophet Muhammad's ancestral home and sacred Sufi shrines dotting the countryside that drew pilgrims across the Muslim world (Aziz Ali, 2008). However, he also expressed concern that India's pluralistic traditions and Hindu cultural influences posed a dilution of Islamic precepts and risked leading Muslims astray from the true path.

Despite the varying perspectives colored by their own lenses, the Arab travel chroniclers of 19th/20th century India did collectively present the region as a complex tapestry of contradictions that defied one-

racial discrimination and repressive policies they witnessed the Indian people suffering under British imperial rule (Luwish, 2010). The evocative, eye-witness perspectives of these works aroused sympathy and further stoked Arab resentments against Western colonialism in that era.

These evolving literary forms allowed Arab writers to transcend the medieval tales of an India filled with oddities and riches, instead using the reality of their own travels to reveal a complex, changing reality unfolding in the Indian subcontinent. Published across Arabic newspapers and books, the travel accounts resonated with audiences and opened new windows into India unlike had existed before.

Portrayals of India in Travel Account

While offering revelations about real Indian society for Arab readers, the realm that emerged from these 19th/20th century travelogues was still one of diverse, contrasting images colored by each author's vantage point. The portraits of India varied, though collective threads did coalesce.

As aforementioned, Tahtawi depicted a conflicted image of India as an ancient cradle of civilization like Egypt, expressing admiration for institutions reviving Islamic education like Aligarh University that catalyzed the awakening of Muslim society. However, he also decried social ills like the Hindu caste system he witnessed, denouncing it as

pioneering 19th and 20th century Arab travel writers developed new literary genres and styles distinct from the standard medieval rihla tradition. While the rihla presented more folkloric, romanticized visions of the Indian subcontinent filled with marvels and curiosities, later works adopted more modern, journalistic and ethnographic approaches (Luwish, 2010).

The Egyptian scholar Tahtawi is considered a pioneer of the rihla adabiyya or "educational journey" genre of travel literature. His Extraction of Gold showcased this style combining the journey narrative with social commentary analyzing various aspects of Indian society, whether praising or critiquing elements he observed. This genre allowed the work to serve a didactic purpose in raising awareness while still being based on the author's travels (Newman, 2004).

Spiritual seekers like Aziz Ali contributed to the rise of the rihla al-wusul or "journey of arrival", where the work focused on the personal, soul-enriching experience of the traveler reaching holy sites and shrines across India's ancient Islamic lands (Khalidi, 2006). These deeply personal accounts appealed to audiences reconnecting with their faith's roots in the subcontinent.

Perhaps most significantly given the wave of anti-colonial, nationalist sentiment spreading through the Arabic world, a new rihla siyasiya or "political journey" genre also materialized. Writers could use the travel narrative framework to expose and denounce injustices,

discrimination and social ills (Naji, 2018). Al-Saffar's influential work is credited with helping fuel fascination in Morocco and beyond with the distant, complex Indian civilization.

Other key 20th century Arab figures who left their mark included the prominent Syrian writer Jurji Zaydan, who published a studied account in 1908 of his extensive travels investigating Islamic heritage, education and spiritual practices across the subcontinent. In the 1940s, the Egyptian Sufi scholar and spiritual guide Shaikh Muhammad Aziz Ali authored the widely-read spiritual memoir Safarnama, recounting his experiences trekking across India to visit holy Sufi shrines and Islamic sites (Aziz Ali, 2008). Both works offered revelatory windows into India's Islamic traditions for audiences back home during a period of rising anti-colonial, nationalist sentiment.

While each traveler expressed differing perspectives colored by their own experiences and backgrounds, their singular accounts provided revelatory depictions of Indian society, cultures and colonial realities that collectively shifted Arab understanding of the importance of the subcontinental nation and its people. No longer could India be simply stereotyped as a fantastical, static realm.

New Arabic Travel Narrative Genres on India

In reflecting the transition from romantic tales to more clear-eyed, analytical accounts of India, these

Influential Arab Travelers to India

Several influential and pioneering Arab travelers, intellectuals and scholars made the enlightening voyage to India in the 19th and 20th centuries, penning seminal travelogues about their eye-opening experiences in the subcontinent that shaped new perceptions in the Arab world. Key figures include:

The Egyptian Muslim reformist Rifa'a al-Tahtawi, considered a father of the modern Arabic Renaissance, visited India in the 1830s while being monitored by British colonial overseers wary of his progressive ideas. In his groundbreaking work The Extraction of Gold (or An Imam in Paris), Tahtawi recorded his observations critiquing ills in Indian society he witnessed like the caste system, Hindu idolatry and corruption, while also praising pioneering institutions like Aligarh University that were reviving Islamic society (Newman, 2004). The book proved highly influential in shaping views on Indian society and fueling Egypt's 19th century awakening.

In the latter 1800s, the Moroccan adventurer and author Muhammad al-Saffar documented his extensive travels across India in his acclaimed chronicle Travels of al-Saffar to India, first published in 1874. With a keen ethnographer's eye, al-Saffar vividly portrayed the sights, cultures and religions he encountered, expressing awestruck admiration at Hindu rituals and temples as much as he lamented the sufferings imposed on Indians by burdensome British taxation policies, racial

journalists, officials, students and spiritual seekers encountered India under British colonial rule, they returned home with eye-opening experiences that shaped new perspectives on the subcontinent. Their chronicles both fueled debate within Arab circles regarding colonialism, social reform and India's place in the world, while also serving as inspiration for new literary works across genres. This cross-pollination between Indian and Arab cultures catalyzed by travel literature represented an invaluable exchange between civilizations.

Contrasts to Medieval Arabic Literature on India

The 19th and 20th century Arabic travel narratives presented a stark contrast to the romanticized, mythical portrayal of India that had dominated works from earlier eras. Whereas medieval texts like The Travels of Ibn Battuta or The Wonders of India presented the subcontinent a fabled, mystical land of riches and oddities meant to entertain audiences, the modern accounts shed light on India's realities as a complex, pluralistic society seeking independence from colonial rule (Luwish, 2010).

The transition from the rihla heritage of Arabic travel writing focused on marvels to one of ethnographic study, political commentary and personal journey is reflected in the evolving genres and styles of works emerging from India-bound Arab voyagers in this time period.

and far-reaching influence of Indian culture and history on global literary movements. It offers an opportunity to examine India's image through the eyes of Arab travelers and writers, adding a unique dimension to the understanding of India's place in the world's literary landscape.

Keywords: Arab travel literature, India, 19th century, 20th century, Modern Arabic literature, cross-cultural exchange.

Introduction

For centuries, India has captured the imagination of explorers and writers around the world... These early travelers left accounts of Indian marvels and curiosities that entered the Arabic literary canon.

In the 19th and 20th centuries, several factors led to a renewed Arab fascination with India. Advances in steamship travel, the opening of the Suez Canal providing faster sea routes, increased commerce between Arabic lands and British India under colonial rule, and growing Arab nationalist sentiments towards the end of World War I all facilitated and motivated an influx of Arab visitors to the Indian subcontinent during this period (Khalidi, 2006; Naji, 2018). Travel from the Arab world to India was no longer the arduous endeavor it once was.

These modern voyages left a profound mark on Arabic culture and literature. When Arab intellectuals,

Dr. Moinuddin *

Understanding India through Arab Eyes: Indian Travel Literature and its Impact on Arabic Writings in the 19th and 20th Centuries

ABSTRACT

This paper examines the profound influence of Arab travelers to India during the 19th and 20th centuries on shaping modern Arabic literature. It analyzes key travel accounts and their role in developing new Arabic literary genres focused on India, changing Arab perceptions, and inspiring creative works. It also looks at that way in which new travel narrative genres portrayed India for Arab audiences, and impacting modern Arabic literature. Additionally, the paper explores how these travel narratives fostered a greater appreciation for Indian culture within the Arab world. The study highlights the ways in which these literary encounters helped shape the notion of cross-cultural exchange. The study also highlights a largely unexplored perspective on India's cultural reach. For students and teachers of literature in India, it demonstrates the diverse

* Assistant Professor, Dept. of ESL Studies, School of English Language Education,The English and Foreign Languages University, Hyderabad.

He also expressed his profound trust in the Department of Arabic, MANUU and its faculty members, as well as their skills in the Arabic language and their ability to convey their research and literary contributions to the Arab world.

I am deeply grateful to Professor Syed Aleem Ashraf Jaisi, Head, Department of Arabic, for his supervision and valuable advice during the preparation of this book, as he was a key reason for bringing this book to light.

I am thankful to my colleagues - Dr. Javed Nadeem Nadvi, Dr. Saeed Bin Makhashin, Dr. Sameena Kausar (Tabish), Dr. Muhammad Sharfe Alam, Dr. Talha Farhan, Dr. Muhammad Shamsuddin, and Dr. Asif Laique - for their assistance and cooperation in this endeavor; may God reward them well.

We have invested a significant effort in collecting, composing, and reviewing the articles of the book, and we have faced innumerable challenges in the process of publishing them. “My support is only from Allah; I rely upon Him only and towards only Him do I turn.” (11:88 Quran)

27th October 2024

Dr. Mohammed Shakir Raza
Asst. Professor, Dept. of Arabic
Maulana Azad National Urdu University
Hyderabad-500032

with the hope that it will stimulate further interest among scholars and enthusiastic general readers, in a world riven by ethnocentrism and bigotry, we hope the fresh air of the travelogues will manifest as "winds of change", as the expression goes. We decided to publish this book that discusses India and modern Arabic travelogues.

This is a contribution from the Department of Arabic of Maulana Azad National Urdu University in Hyderabad, to Arabic language and literature. I hope this work serves, as I said above, as a useful contribution to the field of Indo-Arab studies and proves beneficial for students and researchers, igniting their passion for Indo-Arab studies.

I welcome feedback from scholars and readers, and hope that the book appeals to the "business and bosoms" of the readers.

We thank all the professors and researchers who contributed their valuable research articles to this book.

We are highly grateful to Professor Syed Ain-ul-Hasan, the honorable Vice-Chancellor of Maulana Azad National Urdu University Hyderabad, who encouraged us to undertake this work, and expressed his joy and satisfaction with the book. He also contributed by writing a preface for this book, in which he introduced the book, discussed its importance, and urged readers to read and evaluate it based on their insightful opinions.

Understanding".

In their research articles, the authors have reviewed the modern Arabic travelogues on India, discussing their distinctive characteristics, unique flavours, and deep impressions the country made up on them. The contributors have highlighted the Arab travellers' perspectives on modern India and their ways of discussing its history, civilization, and culture. They also shed light on Arab travellers` depiction of Indian cities, its architecture, people, customs, rituals, religions, food, clothing, tastes, celebrations, joys, and sorrows, and whatever they observed through their eyes and captured through their lenses. These travellers come from various Arab countries, including the Kingdom of Saudi Arabia, the Republic of Iraq, the Syrian Arab Republic, the Arab Republic of Egypt, the State of Libya, the State of Kuwait, and others.

The book you have in your hands, "**India in Modern Arabic Travelogues**" highlights the role of Arab travellers in discovering modern India and provides an opportunity for researchers to gain a modern and contemporary insight into a fascinating genre the popularity and influence of which are growing at most amazing speed, and in many directions. We searched extensively for works done in India pertaining to India in modern Arabic travelogues but found only a few inadequate articles scattered across some Arab magazines that do not meet the needs of serious scholarship. This book is an attempt to fill this lacuna

By Editor

About the Book

India is a vast country inhabited by hundreds of millions of people. It is not only a land of wonders and curiosities but is also the essence of all worlds-a microcosm of creation itself- a compendium of all historical eras, and a true record of the currents of time that civilization has experienced from time immemorial to the modern, and the contemporary. This has drawn the attention of scholars, tourists, artists, and poets from both East and West, igniting in them a desire to explore. They have mentioned India in their works and conveyed its image from their perspectives, in both Arabic and Western languages. Arab and Muslim tourists have also not lagged behind in this exploration, as seen in the works of travellers like Al-Mas'udi, Al-Biruni, and Ibn Battuta. Their path has been followed by those who came after them, and this blessed journey continues into our time and, I hope, it will persist into the future.

I am pleased to present to you this book, which contains research articles written by esteemed professors and distinguished researchers from various Indian universities. This book is, in fact, a collection of research articles presented at the National Seminar organized by the Department of Arabic at the Maulana Azad National Urdu University in Hyderabad, India, from March 6 and 7, 2024, under the theme "Arab Travelogues to India in 19th and 20th Centuries: Artistic Depiction and Cultural

Table of Contents

S. No.	Title	Author	Page
1	About the book	Dr. Mohammed Shakir Raza	**4**
2	Understanding India through Arab Eyes: Indian Travel Literature and its Impact on Arabic Writings in the 19th and 20th Centuries	Dr. Moinuddin	**8**
3	Ameena al Sayeed and her Travelogue **مشاهدات في الهند**	Dr. Durdana Shaheen	**24**
4	India in the Travelogue of E.M. Forster in the 20th Century	Mohd Aadil	**35**

© Dr. Mohammad Shakir Raza

India in Modern Arabic Travelogues

ISBN: 978-93-341-5425-2

Edited by:
Dr. Mohammed Shakir Raza
Mobile No. 9704967694
Email: shakir.efl@gmail.com

ISBN	:	978-93-341-5425-2
Edition	:	October, 2024
Price	:	Rs. 750/-
Composing	:	Dr. Mohammed Shakir Raza
Title page	:	Dr. Zafar Ahmad (Zafar Gulzar)
Publisher	:	Department of Arabic Maulana Azad National Urdu University, Hyderabad-500032
Printer	:	Print Time & Business Enterprises, Hyderabad

India in Modern Arabic Travelogues

Supervision
Professor Syed Aleem Ashraf Jaisi
Head, Department of Arabic, MANUU

Edited by:
Dr. Mohammed Shakir Raza
Asst. Professor, Department of Arabic, MANUU

Published by:
Department of Arabic
Maulana Azad National Urdu University
Hyderabad